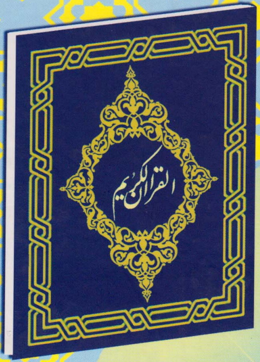


الإسلام

منهج مشرق للحياة

باقر شريف القرشي

الإسلام

بحث

منهج مشرق للحياة

تأليف
باقر شريف القرشي

قرشی، باقر شریف، ۱۹۲۶ - م.
الاسلام منهج مشرق للحياة / تأليف باقر شريف القرشي. - قم: مهر أمیر مؤمنین، ۱٤۲٥ ق. = ۲۰۰٤ م. = ۱۳۸۳.
۲٤۷ ص.
ISBN 964 - 8173 - 37 - 0
فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
کتابنامه به صورت زیرنویس.
۱. اسلام - بررسی و شناخت. الف. عنوان.
٥ الف ٤ ق / ۱۱ BP ۲۹۷

مكتبة الامام الحسن عليه السلام العامة
فيها كتب قيمة
النجف الاشرف

إصدار مكتبة الإمام الحسن عليه السلام العامّة

الإسلام
منهج مشرق للحياة

باقر شريف القرشي

* الناشر: مهر أميرالمؤمنين عليه السلام *
* الطبعة: الأولى / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م *
* المطبعة: شريعت *
* عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة *
* شابك: ٩٦٤ - ٨١٧٣ - ٣٧ - ٠ *

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى العاملين على نشر القيم الإسلاميّة وإشاعتها بين النّاس

أرفع لهم هذا المجهود الذي يتحدّث عن القيم الأصيلة التي جاء بها الإسلام، والتي صاحبت الإنسان منذ وجوده إلى نهايته. آملاً أن يجدوا فيه الفائدة والمتعة، وهو ما أتمنّاه .

المؤلّف

تقديم

١

وليس من الإنصاف فـي شـيء القـول بـأنّ رسـالة الإسـلام قـد عـنت بـالطقوس الدينيّة ، كالصلاة والصـوم والزكـاة والحـجّ ، ولم تـحفل بـغيرها مـن قـضايا الفكـر والسلوك ،كما لم تعنِ بشؤون الحكم والإدارة ، ولا بأُمور الاقتصاد والسياسة ، فإنّ هذا القول رخيص ومجافٍ لواقع الإسلام الذي تبنّى بـصورة مـوضوعيّة وشـاملة جـميع قضايا الإنسان ، حتّى النفسيّة والاجتماعيّة ، ولم يترك أي جـانب مـنها حـتّى وضـع لها الحلول الحاسمة ، حتّى ارش الخدش ـ حسبما نطقت بـه الروايـات ـ ومـا يـنكر ذلك إلّا مكابر أو جهول ، وتعرض هذه الدراسة الإسلاميّة إلى إيـضاح ذلك ، وإقـامة النصوص عليه .

٢

الإسلام هبة من الله تعالى لعباده ، ورحمة لهم يقيم أودهم ، ويـهديهم للـتي هـي أقوم ، ويحرّرهم من العبودية ، ويفتح لهم آفاقاً كريمة في رحاب الكون تنمّي عقولهم ، وتهذّب سلوكهم ، وترشدهم إلى الطريق المستقيم الذي لا التواء فيه ولا منعطفات .

وقد سار المسلمون في عصورهم الأُولى فاتحين ومحرّرين لشعوب العـالم وأُمـم

الأرض ، فأقاموا فيها الأرصدة الإسلاميّة الهادفة إلى التطوّر والابداع ، وإشاعة الأمن والرخاء ، وإقصاء الجهل ، ونشر العلم ، وإبادة الفقر والحرمان ، وأقاموا الوحدة الإسلاميّة بين تلك الشعوب المختلفة في قوميّاتها ولغاتها ، وانطوت عنها معالم التفرقة العنصريّة ، واُقبرت عاداتها الآثمة الداعية إلى الانحطاط والتأخّر ، وعاشت تحت راية الإسلام تنتهل من نميره العذب ، فبنت حياتها على ضوء قيمه ومثله ، وقد وجدت فيه الأمن بعد الخوف والتعذيب ، والغنى بعد الفقر والحرمان ، لقد وجدت في نظام الإسلام وتعاليمه الحياة الرفيعة التي تصبو إليها .

٣

نظر الإسلام بعمق وشمول إلى الإنسان ، فأولاه المزيد من الاحتفاء والتكريم ، وأضفى عليه أسمى ألوان الأوسمة ، فقد جعله خليفة الله تعالى في أرضه ، وأقامه علماً على مخلوقاته ، وميّزه عن جميع الكائنات الحيّة . إنّ الطاقات الفكريّة ، والأجهزة المذهلة التي منحها الله تعالى للإنسان وفضّله بها على كثير من مخلوقاته ، وجعله خليفةً في أرضه ليكون سيّد الكائنات الحيّة . . . قد أهّلته أن يكتشف آفاق الكواكب ، ويسبح في الفضاء الخارجي ، ويستخرج خزائن الأرض ، ويصوّر هذا الكوكب الذي نعيش فيه بجميع أبعاده .

إنّ الإنسان الذي منحه الله تعالى هذه القابليّات أراد أن يكون مصدر فيض وعطاء لأخيه الإنسان ، يعالج جميع قضاياه ، إلّا أنّه من المؤسف حقّاً أن صارت مواهبه العلميّة مصدر نقمة وبلاء على الإنسانيّة جمعاء ، وذلك بما اخترعه من وسائل الدمار الشامل التي لا تدع ظلّاً للحياة في الأرض .

٤

إنّ الإنسانيّة على ما جربت من تجارب ، وما أبدعته من نُظم في عالم الحكم

والإدارة والاجتماع ، فإنّها لم تستطع بأي حال من الأحوال أن تنشئ نظاماً اجتماعيّاً متطوّراً يضمن للإنسان سعادته ، ويحقّق ما يصبو إليه من الراحة والأمن والاستقرار ، وظلّت الإنسانيّة معذّبة ، خصوصاً في الغرب ، فقد غرقت في المحن والأزمات ، وانعدمت فيها الروابط الاجتماعيّة ، فالأب لا صلة له بأبنائه ، وكذلك الأخ مع أخيه ، والشيخ اتّخذ الكلب سميراً وأنيساً له ، ومن الجدير بالذكر أنّ الكلاب عندهم لها مقبرة خاصّة توارى فيها جيفها ، وأي مضيعة للإنسانيّة مثل هذه المضيعة أن يصبح الإنسان قريناً للحيوانات السائمة ؟ !

٥

أمّا الإسلام ـ والحمد لله تعالى ـ فقد أنشأ نظاماً مشرقاً قد توفّرت فيه الأصالة والابداع ، فقد عالج بصورة موضوعيّة ومتميّزة جميع قضايا الإنسان ، وقد نفذت تعاليمه إلى أعماق النفوس ودخائل القلوب ، ووقف حائلاً أمام الغرائز الشريرة التي تحوّل حياة الإنسان إلى ظلام دامس لا بصيص فيها من نور ، ومن بين تلك المناهج التى حرّمها لإصلاح النفوس تحريمه لتكبّر الإنسان على أخيه الإنسان ، والحسد الذي ألقى النّاس في شرّ عظيم ، والسعي لإضرار الإنسان ، والظلم بجميع أنواعه ، والغشّ ، وغير ذلك ممّا يقف حاجزاً دون ازدهار الحياة وتطوّرها .

٦

ولم تقتصر رسالة الإسلام الخالدة في إصلاحها الشامل لحياة الإنسان على منهج خاصّ ، وإنّما استوعبت بعمق وشمول جميع جزئيّات الحياة وشؤونها ، فقد وضعت لها البرامج الفذّة التي تؤدّي إلى سعادة الإنسان وسلامته من الأزمات ، وكان من بين برامجه وضع الأنظمة للصحّة العامّة بحيث يكون الطبّ وقائيّاً ، فقد نهى عن الإسراف

في الأكل والشرب ، وغيرهما من مستلزمات الحياة .

قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

ومن المؤكّد في بحوث الطبّ أنّ الإسراف في الأكل له مضاعفاته السيّئة التي منها تصلّب شرايين القلب ، والإصابة بالضغط الدموي وداء السكّر ، وغيرها ، وسنتحدّث في غضون هذا الكتاب عن هذه الظاهرة وغيرها ممّا يرتبط بالموضوع .

٧

إنّ الإنسانيّة في هذه العصور تعاني أزمة في الأخلاق وأزمة في السلوك ، لا تفقه في الحياة سوى المادة ، فتهالكت على طلبها بالظلم والغشّ والربا وغير ذلك من مآثم الحياة ، فقد جمدت القيم الروحيّة ، خصوصاً في أروقة السياسة والحكم ، فقد اتّجهت الدول الكبرى بجميع طاقاتها وما تملكه من وسائل التدمير الشامل إلى غزو الدول الضعيفة ، والاستيلاء على ثرواتها الاقتصاديّة ، وهي تعمل جاهدة إلى إماتة الوعي الديني والاجتماعي فيها ، حتّى تبقى تحت مناطق نفوذها .

وليس من الممكن بأي حال من الأحوال إزالة هذا الكابوس المظلم الذي يجرّ الويل والعطب إلى الشعوب المستعمَرة إلّا بنشر القيم الإسلاميّة ، وإشاعة أهدافها الأصيلة التي تنشد إقامة العدل الخالص ، والحقّ المحض .

إنّ أرصدة الإسلام المشرقة في عالم الحكم والسياسة والاجتماع هي التي تضع المناهج لإصلاح المجتمع ، وإقامة الحكم العادل الذي ينعم في ظلاله الجميع .

٨

وليس أدعى إلى السخرية من القول الذي تطبّل له بعض المؤسّسات السياسيّة من

أنّ الإسلام يساند الارهاب ، فإنّ هذه التهمة لا صلة لها بدين الله القويم الذي حمله سيّد الأنبياء محمّد ﷺ داعية السلام في الأرض . إنّ الإسلام بجميع طاقاته ومقوّماته يحارب الارهاب ، ويدعو إلى التنكيل بدعاته ومعتنقيه ، وليس أدلّ على ذلك من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِن خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ .

إنّ جزاء الذين يسعون في الأرض فساداً أن ينزل بهم العقاب الصارم وهو : القتل ، أو الصلب ، أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ، أو النفي من الأرض .

هكذا ينظر الإسلام إلى الارهاب بأنّه فساد في الأرض ، وعقوبته الإعدام والتنكيل .

٩

إنّ هذه الدراسة تتناول مسيرة الإسلام بقيمه الخالدة مع الإنسان منذ تكوينه ونشأته حتّى النهاية الأخيرة من حياته ، فلم يترك جانباً من جوانب سلوكه إلّا قنّن له منهجاً عالج فيه بدقّة وموضوعيّة إصلاحه وتهذيبه حتّى يعود الإنسان بمعطيات الإسلام له سعيداً في حياته ومتميّزاً من تربيته وسائر شؤونه .

وفيما أحسب أنّه ليس هناك دين سماوي عنى بتهذيب الإنسان ورفع مستواه الفكري والاجتماعي ، كما عنى به الإسلام الذي هو دين الله تعالى الذي ارتضاه وتفضّل به على عباده ليقيم أودهم ، ويهديهم للتي هي أقوم . آملاً من الله تعالى أن يعيد للإسلام بهجته وكرامته ، وأن ينعم المسلمون في ظِلال حكمه ، إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه .

النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

٢٧ / جمادى الأولى / ١٤٢٥هـ

تمهيد

كرامة الإنسان وأهميته في الإسلام

اهتمّ الإسلام اهتماماً بالغاً بالإنسان ، وميّزه عن جميع الكائنات الحيّة ، ووضع له منهجاً متطوّراً لحياته ، يقيه من العثرات والصدمات ، ويضمن له حياة حرّة كـريمة يسودها الأمن والرخاء .

إنّ الله تعالى كرّم الإنسان ووهب له العقل الذي هو أفضل مخلوقاته ، وميّزه بهذا الكائن العظيم الذي يقوده إلى شاطئ الأمن والسلام ، فإذا أطاعه جلب له الرحمة عند المسير ، والإرساء ـكما يقول حكيم المعرّة ـ:

إنّ الإنسان قد استخدم بعقله سائر الموجودات لصالحه ، فنفذ إلى أعماق البحار واستخرج ذخائرها ، وطار في الجوّ ، وذلّـل الصـعوبات التـي تـقف أمـام مسـيرته وطـموحاته ، فـأشرف مـن الغـلاف الجـوّي للأرض ، وأخـذ يـصوّر أبـعاد الأرض وطبقاتها ، وجبالها وبحارها ؛ ليكتشف ما يحدث فيها من الزلازل والبراكين ، ولم ينته إلى هذا الحدّ ، وإنّما استخدم السفن الفضائيّة يفتّش عن كوكب صالح للحياة ليتّخذه مقرّاً ومسكناً له ، بعد أن اكتشف بعض الكواكب التي لا تصلح للحياة .

هذا هو الإنسان الذي شرّفه تعالى بـالعقل ، وجـعله خـليفة فـي الأرض ليـقيم العدل ، ويسـير بـالحقّ ، ويـجتنب عـن مـآثم الحـياة ، ويسـير فـي سـلوكه بـتوازن واستقامة ، ويخلع عن نفسه النزعات الشريرة من الأنانية والطمع والظلم وغيرها ، ويلبس رداء التقوى والإيمان ، ويتحلّى بالفضائل والآداب .

هذا ما يريده الإسلام في ما قنّنه من تعاليم وأحكام ليكون الإنسان موضعاً لتكريم الله تعالى، وخليفة له في أرضه، وليكون محلّاً لتحمّل الأمانة التي لم تستطع السمٰوات والأرض والجبال من حملها، وحملها الإنسان فكان ظلوماً جهولاً؛ لأنّه لم يفِ بأمانته، ولم يقم بأدائها سوى بعض المؤمنين الصالحين الذي يرجون لله تعالى وقاراً، وهم فيما نؤمن به أئمّة أهل البيت عليهم السلام دعاة الإصلاح الاجتماعي في دنيا العرب والإسلام، فهم الذين حملوا الأمانة، وأدّوها بإخلاص وإيمان إلى المجتمع الإنساني، وعانوا في سبيل ذلك أشقّ ألوان الاضطهاد والتعذيب والتنكيل حتّى استشهدوا في ميادين الشرف والكرامة دفاعاً عن الإسلام، ودفاعاً عن حقوق المسلمين، ودفاعاً عن حقوق المظلومين والمضطهدين.

وعلى أي حال فلنعد إلى البحث عن كرامة الإنسان في الإسلام، فقد قنّن أفضل المناهج وأكثرها أصالة لكرامته، وصيانة لأمنه، ورعاية حقوقه، وهذه بعضها:

١ ـ صيانة النفوس

حرّم الإسلام بصورة قاطعة سفك الدماء بغير حقّ، واعتبره من أبشع الجرائم، ومن أفحش المحرّمات، وهدّد القاتل بالخلود في نار جهنّم، وهو من أشدّ ألوان العقاب، وهذه بعض الآيات:

١ ـ قال تعالى: ﴿ **مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾[(١)].

أرأيتم كيف اعتبر القرآن جريمة قتل النفس كأنّها قتل للنّاس جميعاً.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ**

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾(١).

إنّ جريمة القاتل تستحقّ الخلود في نار جهنّم، وهو من أشدّ ألوان العذاب والعقاب.

٣ ـ قال تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾**(٢).

قرن القرآن الكريم جريمة الشرك والإلحاد وجريمة القتل والزنا في استحقاق العقاب ومضاعفته، والخلود في نار جهنّم.

في السنّة الشريفة

وكما شدّد القرآن الكريم في الإنكار على جريمة القتل كذلك شدّدت السُّنّة الشريفة في التحذير منها، وهذه بعض الأخبار:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَزالُ الْعَبْدُ في فُسْحَةٍ مِنْ دينِهِ ما لَمْ يُصِبْ دَماً حَراماً**»(٣).

المرء في فسحة من دينه إلّا أن يقترف جريمة القتل فإنّه يخرج عن دينه.

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «**لَزَوالُ الدُّنْيا أَيْسَرُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**»(٤).

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلَ يَمُوت كافِراً أَوِ الرَّجُلَ يَقْتُلُ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً**»(٥).

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٢) سورة الفرقان: الآيتان ٦٨ و ٦٩.

(٣) مستدرك الوسائل: ١٨/٢٠٨.

(٤) بحار الأنوار: ٧٥/١٠١. روضة الواعظين: ٢/٤٦٠.

(٥) نيل الأوطار / الشوكاني: ٧/٤٤، وقد رواه عن معاوية الذي أزهق الأنفس، وأشاع الثكل والحزن والحِداد في بلاد المسلمين من أجل أطماعه السياسيّة.

٤ ـ قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذي بَعَثَني بِالْحَقِّ، لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ شَرِكُوا فِي دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَرَضُوا بِهِ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ عَلىٰ مَناخِرِهِمْ في النّارِ**»[١].

٥ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «**إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَىٰ لِنِقْمَةٍ، وَلَاأَحْرَىٰ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا. وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيما تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث ذكرت عقوبة الله تعالى لسفّاكي الدماء بغير حقّ، وهي تمثّل مدى أهمّية الإسلام البالغة على احترام النفوس، وصيانتها من الاعتداء.

القصاص

أمّا القصاص من القاتل وإزهاق نفسه لاقترافه جريمة القتل فهو الحكم العادل الذي يحقّق الأمن والاستقرار، ويحسم النزاع، وينفي الجريمة. قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٣].

يقول عبدالقادر عودة: «وليس في العالم كلّه، قديمه وحديثه، عقوبة تفضل عقوبة القصاص، فهي أعدل العقوبات للأمن والنظام؛ لأنّ المجرم حينما يعلم أنّه سيجزى بمثل فعله لا يرتكب الجريمة غالباً، والذي يدفع المجرم بصفة عامّة للقتل والجرح هو تنازع البقاء، وحبّ التغلّب والاستعلاء، فإذا علم المجرم أنّه لن يبقى بعد فريسته أبقى على نفسه بإبقائه على فريسته، وإذا علم أنّه إذا تغلّب على المجني عليه اليوم فهو متغلّب عليه غداً لم يتطلّع إلى التغلّب عليه عن طريق الجريمة، وأمامنا على ذلك الأمثلة العمليّة نراها كلّ يوم، فالرجل العصبي المزاج،

---

(١) فروع الكافي: ٧/٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٢) نهج البلاغة: ٤٤٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

السريع إلى الشرّ تراه أهدأ ما يكون، وأبعد عن الشرّ، وطلب الشجار إذا رأى خصمه أقوى منه، أو أقدر، وأنّه سيردّ الاعتداء بمثله، والرجل المسلّح قد لا يثنيه شيء عن الاعتداء، ولكنّه يتراجع إذا رأى خصمه مسلّحاً مثله، ويستطيع أن يردّ على الاعتداء بمثله، والمصارع والملاكم لا يتحدّى أيّهما شخصاً يعلم أنّه أكثر منه قوّة أو مراناً أو جلداً، ولكنّه يتحدّى بسهولة من يظنّه أقلّ منه قوّة وأضعف جلداً. تلك هي طبيعة البشر.

لذا وضعت الشريعة على أساسها عقوبة القصاص، فكلّ دافع نفسي يدعو إلى الجريمة يواجه من عقوبة القصاص دافعاً نفسيّاً مضادّاً يصرف عن الجريمة، وذلك ما يتّفق تمام الاتّفاق مع علم النفس الحديث»(١).

وقال قتادة: «جعل الله القصاص حياة ونكالاً وعظة لأهل السفه والجهل من النّاس، وكم من رجل قد همّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكنّ الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض، وما أمر الله تعالى بأمر قطّ إلّا وهو صلاح في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله عن أمر قطّ إلّا وهو فساد في الدنيا والدين، والله أعلم بالذي يصلح خلقه»(٢).

ويقول السيّد محمّدرضا في تفسيره: «وأمّا النافذ البصيرة، العارف بمصالح الأُمم، الذي يزن الأُمور العامّة بميزان المصلحة العامّة لا بميزان الوجدان الشخصي الخاصّ بنفسه أو ببلده، فإنّه يرى القصاص -كما في شريعة الإسلام- بالعدل والمساواة هو الأصل الذي يربّي الأُمم والشعوب والقبائل كلّها، وأنّ تركه بالمرّة يغري الأشقياء بالجرأة على سفك الدماء، وأنّ الخوف من الحبس والأشغال الشاقّة إذا أمكن أن يكون مانعاً من الإقدام على الانتقام بالقتل في البلاد التي غلب على

---

(١) التشريع الجنائي الإسلامي: ١/٤٦٤ - ٤٦٥.

(٢) تفسير الطبري: ٢/١١٤.

أهلها التراحم أو الترف أو الانغماس في النعيم كبعض بلاد أوربا، فإنّه لا يكون كذلك في كلّ البلاد وكلّ الشعوب، بل إنّ من النّاس في هذه البلاد وغيرها من يحبّب إليه الجرائم أو يسهّلها عليه كون عقوبة السجن الذي يراه خيراً من بيته»(١).

وإنّ من سخف القول وأوهى الآراء ما ذهب إليه بعضهم من أنّ عقوبة الإعدام تتعارض مع الحرية الشخصيّة؛ لأنّ حياة الإنسان ملك للإنسان لا يشاركه فيها غيره، فكيف يجيز القانون أو المجتمع أن يعتدى على هذا الملك الخاصّ(٢).

إنّ الحفاظ على حياة الإنسان وسلامته وصيانة دمه إنّما هي بالقصاص من المجرم ليكون عبرة لغيره، وفي المثل العربي القديم: «القتل أنفى للقتل»، وقد أعلن القرآن الكريم القصاص بأبلغ بيان. قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾(٣). إنّ جريمة القتل يجب أن تُقابل بأقسى العقوبات وأشدّها، وهي الإعدام، الذي إذا طبّق فإنّه ينفي الجريمة ويجتاحها.

دية القتل العمدي

وفرض الشارع العظيم الدية للقتل العمدي بما يوازن القصاص من حيث ثقلها المالي الذي يعجز عنه الكثيرون من النّاس، وهي كما يلي:

١ ـ مائة بعير فحل من مسانّ الإبل.

٢ ـ مائة بقرة.

٣ ـ ألف دينار، والدينار يساوي ثلاثة أرباع المثقال الصيرفي من الذهب المسكوك.

٤ ـ ألف شاة.

---

(١) تفسير المنار: ٢/١٢٤.

(٢) القصاص في الإسلام: ١٠٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

٥ ـ عشرة آلاف درهم من الفضّة المسكوكة.

٦ ـ مائتا حلّة، وكلّ حلّة ثوبان.

والواجب أحد هذه الأُمور وتدفع في سنة واحدة من مال الجاني، ويتخيّر بين الأصناف المذكورة(١).

وأنت ترى في شدّة القصاص والدية اللذين فرضهما الإسلام على الجاني القاتل عمداً مدى اهتمام الإسلام بصيانة النفوس وحمايتها من القتل والاعتداء.

٢ ـ حرمة الارهاب والخوف

من الأحكام التي قنّنها الإسلام لاحترام الإنسان وكرامته أنّه حرّم بصورة مشدّدة الارهاب والخوف؛ لما في ذلك من الظلم، ولنستمع إلى بعض ما أُثر من الأخبار:

١ ـ قال النبيّ ﷺ: «**مَنْ نَظَرَ إلى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخيفُهُ بِها مِنْ غَيْرِ حَقٍّ أخافَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ**»(٢).

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ رَوَّعَ مُؤْمِناً بِسُلْطانٍ لِيُصيبَهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ فَلَمْ يُصِبْهُ فَهُوَ في النّارِ، وَمَنْ رَوَّعَ مُؤْمِناً بِسُلْطانٍ لِيُصيبَهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ فَأَصابَهُ فَهُو مَعَ فِرْعَوْنَ وَآلِ فِرْعَوْنَ في النّارِ**»(٣).

وكثير من أمثال هذه الأحاديث حرّمت الارهاب والخوف.

٣ ـ حرمة الإيذاء والتحقير

حرّم الإسلام الإيذاء والتحقير لأنهما من أنواع الظلم والاعتداء، أمّا حرمة الايذاء

---

(١) مباني تكملة المنهاج / الإمام الخوئي قدس سره: ٢/١٩٨.

(٢) النظام التربوي في الإسلام: ٣٥٠.

(٣) أُصول الكافي: ٢/٣٦٨.

فقد جاءت بالقرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾(١).

قال رسول الله ﷺ: « **لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُشيرَ إلى أخيهِ بِنَظْرَةٍ تُؤْذيهِ** »(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: « **مَنِ اسْتَذَلَّ مُؤْمِناً وَاسْتَحْقَرَهُ لِقِلَّةِ ذاتِ يَدِهِ وَلِفَقْرِهِ شَهَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ رُؤُوسِ الْخَلائِقِ** »(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: « **مَنْ حَقَّرَ مُؤْمِناً مِسْكِيناً وَغَيْرَ مِسْكِينٍ لَمْ يَزَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حاقِراً لَهُ ماقِتاً حَتّىٰ يَرْجِعَ عَنْ مَحْقَرَتِهِ إِيّاهُ** »(٤).

إنّ للإنسان كرامة وشأناً عند الله تعالى، وقد حرّم أي اعتداء عليه، سواء أكان ذلك في القول أم في الفعل.

٤ ـ سبّ الإنسان

أمّا سبّ الإنسان فهو ينافي كرامته التي منحها الله تعالى له، وقد نهى الإسلام عن ذلك حتّى مع الأعداء في الدين. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾(٥).

قال رسول الله ﷺ: « **سِبابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ، وَقِتالُهُ كُفْرٌ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ** ـ يعني غيبته ـ **مَعْصِيَةٌ، وَحُرْمَةُ مالِه كَحُرْمَةِ دَمِه** »(٦).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٨.

(٢) مجموعة ورّام: ٩٨/١.

(٣) أُصول الكافي: ٣٥٣/٢.

(٤) أُصول الكافي: ٣٥١/٢.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

(٦) أُصول الكافي: ٣٥٩/٢ ـ ٣٦٠.

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام : « **إِنَّ رَجُلاً مِنْ بَني تَمِيمٍ أَتَى النَّبِيَّ** صلى الله عليه وآله **فَقالَ : أَوْصِني ، فَكانَ فيما أَوْصاهُ أَنْ قالَ : لَا تَسُبُّوا النّاسَ فَتَكْتَسِبُوا الْعَداوَةَ بَيْنَهُمْ** »[١] .

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام : « **ما مِنْ إِنْسانٍ يَطْعَنُ في عَيْنِ مُؤْمِنٍ إِلَّا ماتَ بِشَرِّ مِيْتَةٍ ، وَكانَ قَمِناً أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلىٰ خَيْرٍ** »[٢] .

إنّ السباب والشتم والقذف كلّ ذلك يتنافى مع كرامة الإنسان .

٥ ـ تتبّع العيوب والعثرات

من الرذائل التي تتنافى مع كرامة الإنسان تتبّع عثرات النّاس ، وإشاعة عيوبهم ، وقد حرّم ذلك الإسلام ، ونهى عنه ، وجاء ذلك في القرآن الكريم . قال تعالى :

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾[٣] [٤] .

وفي السُّنّة كوكبة من الأحاديث نهت عن ذلك ، وهذه بعضها :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **يا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسانِهِ وَلَمْ يُسْلِمْ بِقَلْبِهِ ، لَا تَتَبَّعُوا عَثَراتِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَثَراتِ الْمُسْلِمِينَ تَتَبَّعَ اللهُ تَعالىٰ عَثْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَثْرَتَهُ فَضَحَهُ** »[٥] .

٢ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام : « **إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَواباً الْبِرُّ ، وَأَسْرَعَ الشَّرِّ عُقُوبَةً الْبَغْيُ ، وَكَفىٰ بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ يُبْصِرَ مِنَ النّاسِ ما يَعْمىٰ عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَنْ يُعَيِّرَ النّاسَ بِما**

---

(١) أُصول الكافي : ٣٦٠/٢ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٣٦١ .

(٣) سورة النور : الآية ١٩ .

(٤) أُصول الكافي : ٣٥٧/٢ .

(٥) المصدر المتقدّم : ٣٥٥ .

لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكَهُ ، وَأَنْ يُؤْذي جَلِيسَهُ بِما لَا يَعْنيهِ »[١] .

٣ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام : « **أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى الْكُفْرِ أَنْ يُـواخِـيَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ عَلَى الدّينِ فَيُحْصي عَلَيْهِ زَلّاتِهِ لِيُعَيِّرَهُ بِها يَوْماً ما** »[٢] .

٦ ـ انتقاص الإنسان

من المساوئ التي حذّر منها الإسلام انتقاص المسلم وتعييره ، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : « **مَنْ لَقِيَ أخاهُ بِما يُؤَنِّبُهُ أَنَّبَهُ اللهُ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ** »[٣] .

وقال الإمام أبو عبدالله عليه السلام : « **مَنْ رَوىٰ عَلىٰ مُؤْمِنٍ رِوايَةً يُـريدُ بِـها شَـيْنَهُ وَهَـدْمَ مُرُوءَتِهِ لِيَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِ النّاسِ أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ وَلايَتِهِ إِلىٰ وَلَايَةِ الشَّيْطانِ** »[٤] .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي اُثرت عن أئمّة الهدى عليهم السلام ، وهي تحرّم بصورة قاطعة انتهاك حرمة الإنسان المسلم ، وأنّه يجب أن تسود بين المسلمين لغة المحبّة والمودّة والتعاطف والتوادد بينهم ، وليس من الإسلام في شيء أن يؤذي أحدٌ أحداً أو ينتقصه أو يسوءه ، فإنّ ذلك يؤدّي إلى التقاطع وشيوع الكراهية بين المسلمين .

٧ ـ الظلم

من الموبقات التي حرّمها الإسلام ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، فقد شـدّد فـي حرمته لأنّه يتنافى مع كرامة الإنسان وحقّه في الحياة أن يكـون آمـناً غـير مـروّع ، وقد اُثرت كثير من الأحاديث عن النـبيّ صلى الله عليه وآله وأهـل بـيته عليهم السلام فـي التشـديد عـلى حرمته ، منها :

---

(١) اُصول الكافي : ٢/٤٥٩ ـ ٤٦٠ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٣٥٥ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٣٥٦ .

(٤) المصدر المتقدّم : ٣٥٨ .

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلُماتُ يَوْمِ الْقِيامَةِ** »[١].

٢ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام : « **مَنْ عَذَرَ ظالِماً بِظُلْمِهِ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ ، فَإِنْ دَعا لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ ، وَلَمْ يَأْجُرْهُ اللهُ عَلىٰ ظُلامَتِهِ** »[٢].

٣ ـ قال الإمام أبوعبدالله الصادق عليه السلام : « **الْعامِلُ بِالظُّلْمِ ، وَالْمُعينُ لَهُ ، وَالرّاضي بِهِ شُرَكاءُ ثَلاثَتُهُمْ** »[٣].

أرأيتم هذا الإنذار والتهديد للظالمين بالقصاص منه يوم حشره ونشره ، وما يجري عليه من العقاب عند الله تعالى .

إنّ الإسلام يريد للإنسان حياة آمنة مطمئنّة لا ظلم فيها ولا جور ولا اعتداء لأي أحدٍ على أحد .

إنّ هذه الأمثلة من الأحاديث النبويّة وأحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام تدلّ بوضوح على أهمّية الإنسان وكرامته في الإسلام ، وأنّ الله تعالى يريد أن يكون خليفة له في الأرض ، مصاناً دمه ، آمناً من الخوف ، بعيداً عن كلّ إثم من مآثم الحياة .

---

(١) أُصول الكافي : ٢/٣٣٢.

(٢) المصدر المتقدّم : ٣٣٤.

(٣) المصدر المتقدّم : ٣٣٣.

مع الإنسان

في

شأنه وولادته وتربيته

لا أعتقد أنّ ديناً من الأديان السماويّة، أو مذهباً اجتماعيّاً قد صاحب الإنسان في جميع مراحل حياته، سوى الإسلام، الذي هو رحمة من الله تعالى لعباده، فقد ساير الإنسان قبل ولادته وهو حمل في بطن أُمّه، ثمّ بعد ولادته، واستمرّ معه حتّى يخلع رداء الطفولة، فوضع لتربيته وسلامته من الشذوذ والانحراف أسمى برامج التربية التي تخلق منه إنساناً متوازناً في سلوكه، ومتفاعلاً مع أُسرته ومجتمعه، وعضواً صالحاً في المجتمع.

وعلى أيّ حال فإنّا نعرض إلى الوصفات الصحّية والمناهج السليمة التي وضع برامجها الإسلام للطفل وهو في بطن أُمّه، وبعد ولادته، وغير ذلك ممّا يرتبط بشؤون تربيته.

مرحلة الحمل

أمّا بداية تكوين الإنسان فهو من عظيم قدرة الله تعالى، وبدائع صنعه، وعجائب تكوينه لهذا الكائن الحيّ. إنّ الإنسان في بداية تكوينه إنّما هو خلية صغيرة تنشأ من نتيجة عمليّة إخصاب بين خليّتين ـ هما في غاية الدقّة ـ البويضة[1] والحيوان

---

(١) **البويضة**: نواة صغيرة جدّاً، بيضويّة الشكل، تحتوي على قشرة فيها مادّة مائيّة تسمّى بروتوبلازما.

المنوي[١]، وعندما تتّحد الخليّتان ينتجان فرداً من النوع الإنساني، وفي تلك

---

(١) الحيوانات المنويّة المندفعة بكثرة تقصد البويضة للقاح، وحينما تشعر بهجومها عليها تستعدّ لانتخاب أكبرها جسماً، وأقواها، وأنشطها حركة، وعندما يدنو الحويمن النشيط منها يظهر على سطحهاانتفاخ صغير منالجانبالمقابل له، ثمّ يرقّ قشرهاستعداداً لهجومه، ثمّ يهجم الحويمن عليها من ذلك الانتفاخ، ويثقبه برأسه، ثمّ يلج فيها ويبقى ذنبه خارجاً، فتنكمش البويضة عليه، وتتقلّص حتّى تقطع ذنبه، ويمتزج الحويمن داخل البويضة، وبهذا يتمّ تكميل اللقاح، وبعد فترة تنزل البويضة من البوق إلى الرحم فتلتصق بإحدى جدرانه الداخليّة، وتنمو هناك، وتتكوّن فيها الأنسجة والأجهزة الحيويّة العضويّة، وتظهر الأطراف والجذع والرأس بالتدريج، ويكون هذا غالباً في الشهر الثاني من الحمل، ثمّ يستر هذا المجموع بغشاء قوي سميك يسمّى (المشيمة)، ووظيفتها حفظ الجنين وتغذيته بواسطة أوعيتها الشعريّة المنبثّة في جدرانها حيث تمتصّ دم الأُمّ الذي كان حيضاً قبل الحمل وبعده، وهذه التغذية تكون بصورة كيمياويّة عجيبة أشبه ما تكون بامتصاص جذور النبات للماء من الأرض، وبعد كمال خلقة المشيمة يتولّد داخلها سائل أصفر باهت الصفرة يسمّى «السائل الامينوسي» وهو يتولّد من ترشّحات الرحم المائيّة، ومن الأغشية المحيطة به، وفائدته أنّ يدفع بالجنين داخل الرحم ليدفع عنه كلّما تلاقيه الأُمّ من هزّات وصدمات، مضافاً إلى حفظه للجنين بالحرارة المناسبة له، وهو مع ذلك كلّه يحدّد عنق الرحم ويوسّعه عند الولادة، كما يقوم بتطهير الطريق وتعقيمه أمام الجنين قبل الولادة ليسهل خروجه مع رفع الضغط الرحمي عليه حين الطلق، إلى غير ذلك من الفوائد.

ثمّ بعد تكوين المشيمة وحدوث السائل، وحصول هيكل الجنين يظهر الحبل السرّي في جانب السرة، ويطول إلى نصف متر أو أكثر، وفائدته نقل الدم من الأُمّ إلى الجنين لتغذيته، ثمّ إخراج الدم من الجنين إلى الأُمّ ليلتقي مع دم الأُمّ في دورتها الدمويّة، هذا هو تكوين الجنين في الرحم، وقد فصّله تعالى في كتابه بقوله: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ [سورة المؤمنون: الآيات ١٢ ـ ١٤] ـ النظام التربوي في الإسلام: ٥٨ ـ ٥٩.

اللحظة يقضى بمشيئة الله تعالى أنّه سيكون ذكراً أو أُنثى ، وتنطبع فيه جميع الصفات والمميّزات حسبما أدلى به علماء الوراثة .

وعلى أي حال فإنّا نعرض إلى ما أُثر عن الإسلام من الوصفات للحامل التي لها الأثر على حملها ، وهي :

الطعام الجيّد

والشيء المؤكّد أنّ للطعام الجيّد أثراً على الجنين في نضارته وجمال منظره إذا ولدته أُمّه ، وقد أكّد الإسلام على تناولها لبعض الأطعمة والتي منها :

١ ـ السفرجل

أمّا السفرجل فهو من أطائب الفواكه ، ومن أكثرها احتواءً على الفيتامينات التي منها « A » و« B » ويوصف في تقوية القلب وإنعاشه ، وللمصابين بالسلّ والأنزفة المعويّة والمعديّة وغيرها [١] .

وقد أكّد الإسلام على تناول الحامل له ، فإنّ ولدها يكون أطيب ريحاً ، وأصفى لوناً كما في الحديث [٢] .

ونظر الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام إلى غلام حسن الوجه ، فقال : « **يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ أَبُو هٰذَا الْغُلَامِ أَكَلَ السَّفَرْجَلَ** » [٣] . لقد حثّ أئمّة الهدى عليهم السلام على تناول الحامل للسفرجل ، وذلك لما له من الفوائد على الجنين .

٢ ـ الألبان

الألبان من المشروبات النافعة ، وقد حثّ الإسلام على تناول النساء ذوات

---

(١) الغذاء لا الدواء : ١١٠ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٥/١٣٣ .

(٣) وسائل الشيعة : ١٥/١٣٤ .

الحمل لها. قال رسول الله ﷺ: «**اسْقُوا نِسائَكُمْ الْحَوامِلِ الْأَلْبانَ فَإِنَّها تُزيدُ في عَقْلِ الصَّبيّ**»(١).

وعن جابر: قيل: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: «**نَعَمْ، فَتَداوى، فإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتعالىٰ لَمْ يُنْزِلْ داءً إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَ لَهُ دَواءً. عَلَيْكُمْ بِأَلْبانِ الْبَقَرِ فَإِنَّها ترد مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ**»(٢).

وأُثرت أحاديث كثيرة عن أئمّة الهدى سلام الله عليهم في الحثّ على شرب اللبن، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**اللَّبَنُ طَعامُ الْمُرْسَلينَ**»(٣)، وقال عليه السلام لرجل يشكو الضعف: «**عَلَيْكَ بِاللَّبَنِ، فَإِنَّهُ يُنْبِتُ اللَّحْمَ، وَيَشُدُّ الْعَظْمَ**»(٤).

وقد أثبتت البحوث الطبيّة الحديثة ما رواه أئمّة الهدى عليهم السلام عن فوائد الألبان. قال الباحث الروسي الدكتور متشنكوف: «إنّ المثابرة على تناول اللبن الرائب يطهّر الأمعاء من الجراثيم، ويحول دون حدوث التخمّرات والتفسّخات المؤدّية إلى التسمّم، كما يؤخّر أعراض الشيخوخة، المتمثّلة في الوهن والتصلّب والجفاف، وقد طبّق هذه الآراء على نفسه وتناول مقادير كبيرة منه، فرأى الفوائد الكثيرة فيه، ونظراً لأهمّيته البالغة فقد ظهرت في مخازن الصيادلة حبوب من خميرة اللبن يصفها الأطباء للذين يشكون تعفّن الأمعاء»(٥).

إلى غير ذلك من الفوائد التي تنجم عن تناول الألبان التي حثّ أئمّة الهدى عليهم السلام على تناولها للنساء الحاملات وغيرهنّ، ذاهبين إلى أنّه من العناصر المهمّة في صحّة الجسم.

---

(١) رمز الصحّة في طبّ النبيّ والأئمّة عليهم السلام: ١٠.

(٢) مستدرك الوسائل: ٣٧٤/١٦.

(٣) الكافي: ٣٣٦/٦.

(٤) المحاسن: ٤٩٢/٢.

(٥) الغذاء لا الدواء: ٤٤٣.

٣ ـ اللحوم

على الحامل أن تتناول اللحوم ؛ لأنّها تشتمل على المواد الزلاليّة ، وهي بحاجة إليها .

٤ ـ الخضروات والفواكه

ينبغي للحامل أن تكثر من تناول الفواكه والخضروات ؛ لأنّها غنية بفيتامين « A » والحديد[١] .

٥ ـ المواد الدهنيّة والنشويّة

حذّر الأطباء المرأة الحامل من الافراط في تناول المواد الدهنيّة والنشويّة ؛ لأنّها تعود بالأضرار البالغة عليها[٢] .

الولادة

إذا تمّت أجهزة الجنين ، واستحكم أمره ، وصار قادراً على الخروج من بطن اُمّه إلى حيز هذا الوجود ، فإنّ الله تعالى يهيج باُمّه الطلق لإخراجه . يقول الإمام الصادق عليه‌السلام : « **حَتّىٰ إذا كَمُلَ خَلْقُهُ** ـ أي خلق الجنين ـ **وَاسْتَحْكَمَ بَدَنُهُ ، وَقَوِيَ أديمُهُ عَلىٰ مُباشَرَةِ الْهَواءِ ، وَبَصَرُهُ عَلىٰ مُلاقاةِ الضِّياءِ ، هاجَ بِاُمِّهِ فَأَزْعَجَها أَشَدَّ الْإِزْعاجِ وَأَعْنَفَهُ** »[٣] .

وتتحمّل الاُمّ آلاماً مرهقة وشديدة في حال ولادتها ، ولكنّ ذلك يهوّن عليها بجانب رغبتها الملحّة إلى الطفل ، فإنّها حينما تسمع صيحته الاُولى تزول عنها

---

(١) نظام الاُسرة في الإسلام : ٨١ .

(٢) حياة الطفل : ٧ و ٨ .

(٣) حياة الإمام الصادق عليه‌السلام : ٣/٣٣٧ .

جميع الآلام.

إنّ هذه الجوانب من حياة الإنسان مرتبطة بمشيئة الله تعالى وقدرته، وليس للإنسان فيها أي مجال.

المراسيم الإسلاميّة للمولود:

ندب الإسلام إلى إجراء المراسيم على المولود المسلم، وهذه بعضها:

١ ـ الأذان والإقامة

على الأب أو الأُمّ وغيرهما أن يستقبلوا الطفل بالأذان في أُذنه اليمنى، والإقامة في أُذنه اليسرى، ولعلّ الحكمة في ذلك أن يقرع أوّل صوت أُذن الطفل عبارة: «اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلـهَ إِلَّا اللهُ».

وهذه الكلمات المشرقة هي مصدر النور والاشعاع في الأرض، ونشيد الإسلام الخالد، وفي الحديث الشريف: «**إِنَّهُ عِصْمَةٌ مِنَ الشَّيْطانِ**»[(١)] للطفل، ووقاية له.

٢ ـ تسمية الطفل

ندب الإسلام إلى تسمية الولد، ذكراً أو أُنثى، بأحسن الأسماء وأجملها ليشعر بالامتياز والكرامة له عند أهله. قال الإمام أبو الحسن عليه السلام: «**أَوَّلُ ما يُبِرُّ الرَّجُلُ وَلَدَهُ أَنْ يُسَمِّيهِ بِاسْمٍ حَسَنٍ، فَلْيُحَسِّنَ أَحَدُكُمْ اسْمَ وَلَدِهِ**»[(٢)].

وفي بعض الأخبار أنّ تسمية الولد بأحسن الأسماء من حقوقه على أبيه، وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له:

«ما حقّ ابني هذا؟» وأشار إلى ولده.

---

(١) وسائل الشيعة: ٤٠٥/٢١.

(٢) المصدر المتقدّم: ٢٨٨.

فأجابه الرسول ﷺ: «**تُحْسِنُ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ، وَتَضَعُهُ مَوْضِعاً حَسَناً**»[١].

أمّا أفضل الأسماء في الإسلام فهي التسمية بالعبوديّة لله تعالى خالق الكون وواهب الحياة، كعبد الله، وعبد الخالق، وعبد الرحمن، وغيرها، كما أنّ من أفضل الأسماء التسمية بأسماء الأئمّة عليهم السلام، دعاة الحقّ وأولياء الله تعالى في الأرض.

ومن أبغض الأسماء التسمية بضرار ومرّة وحرب[٢]؛ لأنّها تحمل روح الشرّ والخبث، وتحمل الطابع الجاهلي المناهض للإسلام، كما يكره التسمية بحكم وخالد[٣] ومروان، وغيرها من الأسماء التي سمّي بها أعداء الله ورسوله.

٣ ـ العقيقة

ومن مراسيم الولادة في الإسلام: «العقيقة»، وذلك في اليوم السابع من ولادة الطفل، تكريماً له، ودفعاً للبلاء والمكروه عنه، ويوزّع لحمها على الفقراء، أو تطبخ ويدعى عليها الفقراء، وقد سنّها النبيّ ﷺ حينما ولد سبطه الإمام الزكي الحسن سيّد شباب أهل الجنّة، وريحانة رسول الله ﷺ، فقد عقّ عنه في اليوم السابع كبشاً[٤].

٤ ـ حلق الطفل

من المستحبّات التي حثّ عليها الإسلام حلق شعر الطفل، والتصدّق بزنته ذهباً أو فضّة على الفقراء[٥]. هذه بعض مراسيم الولادة التي ندب إليها الإسلام عند ولادة الطفل تكريماً له واحتفاءً به.

---

(١) وسائل الشيعة: ٢١/٢٩٠.

(٢) المصدر المتقدّم: ٣٩٨.

(٣) المصدر المتقدّم: ٣٩٩.

(٤) حياة الإمام الحسن عليه السلام: ١/٥٣.

(٥) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ١/٥٤.

إرضاع الطفل

أوجب الإسلام إرضاع الأُمّ لوليدها اللباء، وهو أوّل حليب للأُمّ عند ولادتـها، وليس لها الامتناع عن ذلك، وعلّل الفقهاء وجوب ذلك على الأُمّ أنّ الولد لا يعيش بدونه[١].

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عن محتويات اللباء وفوائده للطفل وللأُمّ:

محتوياته

يحتوي اللباء على مادة الكلس الضروري لبناء عظام الطفل، كما يحتوي على مادة الحديد المكوّنة لكريات الدم الحمراء، وهي ضروريّة لجسم الطفل... كما يحتوي على نسب كثيرة من مادة «البروتين» أي الزلال والفيتامينات التي يتكوّن منها الجزء الأعظم من أنسجة الجسم.. وهذه المواد هي الأساس لبناء جسم الطفل في أيّامه الأُولى.

كما يحتوي اللباء على عناصر أُخرى، وهي مقاومة الميكروبات والجراثيم التي في بدن الإنسان[٢].

فائدته للأُمّ

ولم تقتصر فائدة اللباء على الطفل، وإنّما يفيد الأُمّ أيضاً، فقد صرّح الأطباء أنّ رضاعة الطفل بعد ولادته من أُمّه تسبّب انعكاسات عصبيّة تثير تقلّصات في رحم الأُمّ، وهـذه التـقلّصات ذات تـأثير فـعّال فـي فـصل المشـيمة عـن جـدار الرحـم وإخراجها، وفي نفس الوقت يفيد هذا التقلّص العضلي في سدّ نـهايات الأوعـية

---

(١) الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة: ٤٥٣/٥.

(٢) نظام الأُسرة في الإسلام: ٨٦.

الدمويّة الممزّقة[١].

ومضافاً لهذه المنافع ، فإنّ الأمّ بعد الولادة تشعر بالسعادة والغبطة إذا أرضعت طفلها ، وتنسى ما عانته من آلام الولادة .

طعام النفساء

عنى الإسلام بالأمّهات ، فجعل الجنّة تحت أقدامهنّ ، وأي حفاوة وتكريم بهنّ مثل هذه الحفاوة والتكريم ! وكان ممّا عنى بهنّ أنّه حثّ على تناول النفساء للرطب ؛ وذلك لما له الأثر على صحّتهنّ وصحّة أطفالهنّ ، فقد روى الإمام أمير المؤمنين عن أخيه وابن عمّه الرسول ﷺ أنّه قال :

« لِيَكُنْ أَوَّلَ ما تَأْكُلُهُ النَّفْساءُ الرُّطَبَ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ قالَ لِمَرْيَمَ : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾[٢] »[٣].

وانبرى أحد الصحابة قائلاً : « يا رسول الله ، فإن لم تكن أيّام الرطب ؟ » .

فأجابه النبيّ ﷺ عن البديل للرطب قائلاً :

« سَبْعُ تَمراتٍ مِنْ تَمْرِ أَمْصارِكُمْ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ : وَعِزَّتي وَجَلالي وَعَظَمَتي وَارْتِفاعِ مَكاني ، لَا تَأْكُلُ نَفْساءٌ يَوْمَ تَلِدُ الرُّطَبَ فَيَكُونُ غُلاماً إِلَّا كانَ حَليماً ، وَإِنْ كانَتْ جارِيَةً كانَتْ حَليمَةً »[٤].

وأكّد الإمام الصادق عليه السلام ذلك بقوله :

« ما اسْتَشْفَتْ نَفْساءٌ بِمِثْلِ الرُّطَبِ؛ لِأَنَّ اللهَ أَطْعَمَ مَرْيَماً رُطَباً جَنِيّاً في نِفاسِها »[٥].

إنّ تناول النفساء للرطب أو التمر وسائر الفواكه ، له الأثر التامّ في صحّة الطفل ،

---

(١) طبيعة الإنسان البيولوجيّة : ٥٨.

(٢) سورة مريم : الآية ٢٥.

(٣) - (٥) المحاسن : ٢/٥٣٥.

وتكوين سلوكه النفسي والعقلي.

نصائح للنفساء والمرضعات

هذه شذرات من النصائح للممجّدات من النفساء والمرضعات ذكرناها في كتابنا نظام الأُسرة في الإسلام، وقد حفلت بالمزيد من الفوائد، وهي:

١ ـ تعقيم الملابس

ينبغي تعقيم ملابسها، وشرب الماء المعقّم لتكون بمأمن من الإصابة بالحمّى النفاسيّة[١].

٢ ـ الابتعاد عن القلق

على المرضعة أن تبتعد عن القلق وتطوي ذلك عن نفسها، فإنّ القلق والاضطراب النفسي يقلّل كمّية اللبن عندها، وعليها أن تلتزم بالهدوء والراحة الفكريّة[٢].

٣ ـ توفير الراحة للطفل

ينبغي للفاضلة المرضعة لطفلها أن توفّر له الراحة والهدوء، وتعرّضه للهواء النقي وضوء الشمس ليكون بمنجى من الكساح والتهاب الأمعاء، وغيرها من أمراض الأطفال[٣].

٤ ـ تنظيم الرضاع

على الأُمّ أن تنظّم رضاع ولدها، وليس أن ترضعه في كلّ ساعة أو تحرمه مدّة من الوقت، فإنّ ذلك ممّا يؤثّر على الطفل[٤].

---

(١) و (٣) و (٤) نظام الأُسرة في الإسلام: ٨٨.

(٢) صحّة الحامل: ١٩٠.

أمّا نظام الرضاع فهو :

١ ـ في بداية ولادته ترضعه كلّ ثلاث ساعات مرّة .

٢ ـ إذا تقدّم به السنّ ففي كلّ ساعتين مرّة ، وفي كلا الحالتين ينبغي أن لا يكون الرضاع من ثدي واحد ، بل من الثديين ، كما إنّ تنظيم الرضاع لا يكون تابعاً لرغبات الطفل أو حين ما يراد إسكاته من البكاء ؛ لأنّ معنى ذلك تعويده على أن يتّخذ البكاء وسيلة لإشباع رغباته[١] .

٥ ـ إشراف الاُمّ على تربية الطفل

أكّد علماء النفس على ضرورة إشراف الاُمّ على تربية ولدها وعدم اعتمادها على المربّيات ؛ لأنّ وجودها معه ممّا يساعد على إبعاد شبح القلق عن نفسه[٢] .

٦ ـ عدم غياب الاُمّ عنه

إنّ غياب الاُمّ أو انفصالها المتكرّر خلال السنوات الاُولى من حياة الطفل يترك في نفسه أسوأ الأثر ، فإنّه يشعر بهجران اُمّه له ، الأمر الذي يسبّب شقاءه .

إنّ غياب الاُمّ عن ولدها يسبّب في نفس الطفل الشعور بالقلق والاضطراب ، وقد أيّدت ذلك البحوث النفسيّة ، فقد ذكر « بولبي » الطبيب النفسي أنّ الأطفال الذين كانوا يجلون عن المدن الكبرى إبّان الحرب العالميّة الثانية ، ويحرمون من عناية اُمّهاتهم ، ويعهد بأمرهم إلى جماعة للقيام بتربيتهم وغذائهم ، فقد كان هؤلاء الأطفال يبدو على وجوههم الشعور بالوحشة والعزلة ، وينفرون من عقد صداقات مع غيرهم من الأطفال والكبار ، ولا يتبادلون الحبّ مع غيرهم من الناس ، كما بدت لديهم نزعات شرّيرة وعدوانيّة نحو المجتمع ، وكانوا أعصى على العلاج من الشباب

---

(١) نظام الاُسرة في الإسلام : ٨٩.

(٢) علم النفس التربوي : ١٤٠.

الجانحين والمعقّدين(١).

إنّ غياب الأُمّ عن طفلها يسبّب بكاءه لأنّه يشعر شعوراً ذاتيّاً بأنّها الوحيدة التي تمدّه بالرعاية، وتغدق عليه العطف والحنان.

٧ ـ عدم ضرب الطفل

على الأُمّ أن تجتنب عن ضرب طفلها عند بكائه؛ لأنّه يوجب غرس الخوف في نفسه، وقد نهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك.

إنّ ضرب الطفل لا يؤدّي إلى تعديل سلوكه، بل على العكس، فهو يؤدّي إلى اضطرابه النفسي وشيوع القلق والخوف في نفسه(٢).

٨ ـ الرضاع من الأُمّ

وشيء بالغ الأهمّية وهو إرضاع الأُمّ لطفلها، فإنّه يتلقّى برضاعه منها الحنان والعطف، وقد أكّدت البحوث الصحيّة أنّ نسبة الوفيات في الأطفال الذين يتغذّون من ثدي اُمّهاتهم أقلّ بكثير من غيرهم، كما أنّهم أقوى جسداً من غيرهم(٣).

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أهمّية الرضاع من الأُمّ: «**مَا مِنْ لَبَنٍ يَرْضَعُ بِهِ الصَّبِيُّ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَيْهِ مِنْ لَبَنِ اُمِّهِ**»(٤).

يقول علماء النفس: إنّ عملية الرضاع ليست عمليّة إشباع لحاجة بيولوجيّة، وهي الحاجة إلى الطعام، وإنّما هي موقف اجتماعي يتألّف من الرضيع وأُمّه، ويتجلّى فيه التفاعل الاجتماعي لأوّل مرّة بين الرضيع وشخص آخر يحمل تقاليد

---

(١) الأمراض النفسيّة والعقليّة: ٧٩.

(٢) نظام الأُسرة في الإسلام: ٩٠.

(٣) تأمّلات في سلوك الإنسان: ١١٠.

(٤) فروع الكافي: ٦/٤٠.

حضارة معيّنة تملي عليه طريقة الارضاع الخاصّة .

وغنيّ عن البيان أن يتأثّر الرضيع بحالة الأُمّ النفسيّة أثناء الرضاع التي منها استقرارها ، ومبلغ تقبّلها لدور الأُمومة ، وما تنوء به من أعباء عائليّة .. فضلاً عن حالتها الصحّية .

وقد اتّضح أنّ الرضاعة الهادئة تشيع في نفس الرضيع الأمن والتفاؤل والثقة بالعالم الخارجي ؛ لأنّ الأُمّ أوّل وسيط بينه وبين هذا العالم ، فإن أحسنت الأُمّ إليه ازدادت ثقته بهذا العالم ، وإن أساءت ظلّ الطفل يشعر طوال حياته بالوحشة والاغتراب[١] .

فطام الطفل

إنّ أفضل وقت لفطام الطفل هو ما حدّده القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾[٢] ، حدّد القرآن الرضاعة بحولين ، أمّا فطامه قبل بلوغ هذا السنّ فإنّه ممّا يضرّ بصحّته[٣] . كما أنّ تأخيره عن هذا الوقت يوجب تعطيل نموّه[٤] والاضرار بصحّته .

إنّ عمليّة الفطام تعتبر أزمة في حياة الطفل ، فهي ليست مجرّد تغيير من طعام إلى طعام ، وإنّما هي انفصال الطفل عن ثدي أُمّه الذي كان يتغذّى منه العطف والحنان .

معاملة الطفل

ينبغي للأُمّ أن تعامل طفلها بعد فطامه باللطف والحنان ، وتشعره بالمزيد من

---

(١) الأمراض النفسيّة والعقليّة : ٧٦.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣٣.

(٣) علم النفس التربوي : ١٢٨.

(٤) الأمراض النفسيّة والعقليّة : ٧٧.

المحبّة وعدم تقديم غيره عليه من أبنائها ، وعليها أن تلتزم بما يلي :

١ ـ الابتسامة في وجه الطفل .

٢ ـ بذل المزيد من الاهتمام بشأنه .

٣ ـ تعويضه عن الحرمان الذي فقده من الفطام بإظهار المزيد من العطف عليه(١) .

إنّ الطفل لا يمكن أن ينشأ سليماً من العقد النفسيّة إلّا إذا أخذ نصيبه من الحبّ والحنان من قِبل اُمّه التي هي المصدر لحياته بعد الله تعالى .

حضانة الاُمّ

أمّا حضانة الاُمّ للطفل فإنّها ضروريّة له ؛ لأنّها تحافظ على بناء شخصيّته وتصونه من الانحراف ، وتتناول الحضانة قيام الاُمّ بالاُمور التالية :

١ ـ المحافظة على الطفل من الأخطار ، فإنّه كالحيوان السائم لا يعقل أي شيء .

٢ ـ القيام بما يحتاج إليه من الخدمات كتنظيفه ، وغسل ثيابه ، وتهيئة طعامه .

٣ ـ تربيته تربية صالحة نقيّة من الانحراف والجنوح .

٤ ـ مراقبته مراقبة شديدة من الاختلاط بالأطفال الذين انحرفوا في سلوكهم .

مدّة الحضانة

أمّا مدّة الحضانة فسبع سنين إن كان الولد اُنثى ، وإن كان ذكراً فبعد انقضاء مدّة الرضاعة ، وذهب بعض الفقهاء إلى أنّه لا فرق بين الذكر والاُنثى في مدّة الحضانة ، وأنّها سبع سنين فيهما(٢) .

---

(١) نظام الاُسرة في الإسلام : ٩٧.

(٢) شرح الروضة البهيّة : ٤٥٩/٥.

نظرية شاذّة

ذهبت بعض المذاهب الاجتماعيّة في هذا العصر إلى انتزاع الأطفال من أُمّهاتهم عقيب الولادة أو في أثناء طفولتهم وجعلهم في مؤسّسات « دور الحضانة » لتقوم بتربيتهم وحضانتهم ؛ لأنّ عمل الأبوين في المصانع ومؤسّسات الدولة يحول دون تفرّغهما لرعاية أطفالهما .

وهذه النظرية قد شذّت عن سنن الحياة ؛ لأنّ دور الحضانة لا تغذّي الطفل بالعطف والحنان الذي تغذّيهما الأُمّ ، ولا تشيع في نفسه الدعة والاستقرار اللذين هما من العناصر المهمّة في بناء شخصيّة الطفل ، وإقامة سلوكه حسبما صرّح به علماء النفس والتربية ، فقد ذهبوا إلى أنّ الطفل الذي يحرم من عطف أبويه يكون ميّالاً للجنوح والجريمة والاعتداء على الغير ، وأنّه يصاب بعقد نفسيّة لا حلّ لها [١].

إنّ التجارب العلميّة أثبتت أنّ الولد الذي يعيش في حضانة أُمّه ورعايتها يكون أقوى جسماً ، وأقوى عاطفة ، وأذكى فهماً من الأطفال الذين ينشأون في دور الحضانة .

يقول السيّد قطب : أثبتت التجارب العلميّة أنّ أي جهاز آخر غير جهاز الأُسرة لا يعوّض عنها ، ولا يقوم مقامها ، بل لا يخلو من أضرار مفسدة لتكوين الطفل وتربيته ، وبخاصّة المحاضن الجماعيّة التي أرادت بعض المذاهب المصطنعة والمتعسّفة أن تستعيض بها عن نظام الأُسرة في ثورتها الجامحة الشاردة ضدّ النظام الفطري الصالح القويم الذي جعله الله تعالى للإنسان ، والتي اضطرّت بعض الدول الاوربيّة لإقامتها بسبب فقدان عدد كبير من الأولاد لأهليهم في الحرب الوحشيّة التي خاضتها الجاهليّة الغربيّة المنطلقة من قيود التصوّر الديني ، والتي لا تفرّق

---

(١) نظام الأُسرة في الإسلام : ٩٩.

بين المسالمين والمحاربين ، أو التي اضطرّوا إليها بسبب النظام المشؤوم الذي يضطرّ الأُمّهات إلى العمل تحت تأثير التصوّرات الجاهليّة الشائنة للنظام الاجتماعي والاقتصادي المناسب للإنسان ، التي تحرم الأطفال حنان الأُمّهات ورعايتهنّ في ظلّ الأُسرة لتقف بهؤلاء المساكين إلى المحاضن التي يصطدم نظامها بفطرة الطفل وتكوينه النفسي ، فيملأ نفسه بالعقد والاضطرابات »(١).

إنّ حضانة الأُمّ لولدها ضرورة إنسانيّة لا غنى للحياة عنها ، ومن أنكرها فقد أنكر ضروريّاً من ضروريّات الحياة .

في ظلال الأُسرة

وكان من أهمّ ما عنى به الإسلام في برامجه الإصلاحيّة العناية البالغة بالأُسرة ، فقد بنى واقعها على أُسس سليمة تنعم في ظلالها ، وتسعد في رحابها ، وقد أقام لها الروابط التالية :

١ ـ شيوع المودّة

إنّ الأُسرة التي بناها الإسلام تقوم على المودّة والتعاطف والعلاقات الطيّبة . قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾(٢). إنّ الأُسرة في ظلال الإسلام يجب أن لا تبارحها اللوازم التالية :

١ ـ السكن النفسي الدائم .

٢ ـ المودّة والرحمة ، وهما ثمرتان للانسجام في الطباع والأخلاق بين الزوجين ، ويجب أن تنمو المودّة بين الأطفال وتسود بينهم الرحمة التي في نفس الأبوين .

---

(١) في ظلال القرآن : ١٧٨/٣ ، الطبعة الثانية .

(٢) سورة الروم : الآية ٢١ .

وقد أثبتت الدراسات في علم النفس أنّ الطفل الذي ينشأ في أُسرة متحابّة ومتماسكة يكون بمنجى عن الأنانيّة والاعتداء على الغير، وقد تتبّع العلماء أُصول الاضطرابات النفسيّة فوجدوا أعراضها ـ على الأكثر ـ مستندة إلى مرحلة الطفولة المبكّرة، وهي في السنوات الخمس أو الستّ التي يقضيها الطفل في ظلال أُسرته قبل ذهابه إلى المدرسة.

إنّ السمات البارزة عند المنحرفين ليست إلّا امتداداً لمرحلة الطفولة، وقد أفادت البحوث الكلينكيّة التحليليّة أنّ البيوت التي يغشاها الودّ والتفاهم القائمان على الثقة والاحترام هي التي يتخرّج منها الأسوياء من الراشدين.

أمّا البيوت التي تبثّ في نفوس الأطفال النقمة والحنق القائمَين على الخوف والغيظ هي التي تخرج للحياة قوافل المنحرفين والجانحين، فمن نشأ في بيئة عدائيّة لم يشعر بالصداقة في كبره أينما ذهب(١).

إنّ من أوثق الأسباب في تلاحم الأُسرة وتماسكها هو شيوع المودّة بين الزوجين، وعلى المرأة الناضجة أن تمنح زوجها الحبّ الخالص، وتستجيب لرغباته وميوله، وإلّا فإنّها تهدّد حياتها الزوجيّة بالخطر(٢).

٢ ـ التعاون

أمّا التعاون بين الزوجين في شؤون الحياة فهو من الأسباب الوثيقة في تماسك الأُسرة.

إنّ الزواج شركة بين الرجل والمرأة لا في إنجاب الأطفال فقط، وإنّما شركة في جميع الحياة المنزليّة وغيرها، وهي تقضي بأن يتجاوز ويغضي كلّ منهما عن بعض

---

(١) الأمراض النفسيّة والعقليّة: ٧٤ ـ ٧٦.

(٢) نظام الأُسرة في الإسلام: ١٠٦.

أغلاط شريكه، وكان الرسول الأعظم ﷺ مثلاً أعلى للتعاون بين زوجاته، فكان على سموّ مكانته يشارك زوجاته في إدارة شؤون المنزل، وكان يقول لأصحابه: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنا خَيْرُكُمْ لِأَهْلي**»[١].

وقد اقتدى بسلوكه أخوه وباب مدينة علمه ووصيّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكان يساعد زوجته سيّدة نساء العالمين وبضعة رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء عليها السلام في جميع شؤون المنزل، وكانت حياتهما الطاهرة أسمى مثل للرابطة الزوجية المقدّسة في الإسلام.

ومن الجدير بالذكر أنّ قيام المرأة بشؤون البيت وتهيئة الطعام لزوجها وأبنائها، ليس ذلك عليها واجباً شرعيّاً، وإنّما هو لطف منها، وخدمة إنسانيّة تسديها عليهم.

٣ ـ اجتناب هجر الكلام

إنّ ممّا يوجب تماسك الأُسرة وترابطها اجتناب الزوج هجر الكلام ومرّه، وكذلك الزوجة، وعليهما أن يلتزما بالآداب الإسلاميّة، فإنّ الكلام السيّئ يوجب انتشار الكراهية بينهما، وهي ممّا تسبّب ـ على الأكثر ـ لانهيار الرابطة الزوجيّة، كما أنّ تعاطيهما للألفاظ البذيئة ممّا يعوّد أبناءهما على مساوئ الأعمال وانحطاط الأخلاق.

لقد أثبتت البحوث النفسيّة أنّ الكلمات القارصة بين الزوجين تفسد الحياة الزوجيّة، وتستأصل شأفة المودّة بين الزوجين[٢].

لقد نهى الإسلام المرأة أن تقابل زوجها بأي لفظ يؤذيه، وتثير أعصابه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أَيُّما امْرَأَةٍ قالَتْ لِزَوْجِها: ما رَأَيْتُ قَطُّ مِنْ وَجْهِكَ خَيْراً**

---

(١) وسائل الشيعة: ١٢٢/١٤. فروع الكافي: ٥٠/٤.

(٢) اعرف نفسك: ٢٠٢.

فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُها »[١].

إنّ الإسلام ينشد سعادة الأُسرة وشيوع المودّة بين أعضائها ، ومن المؤكّد أنّ تعاطي الكلام الطيّب بين الزوجين ممّا يوجب زيادة التماسك والترابط بين الزوجين ، ويشيع الآداب الرفيعة بين أبنائهما .

٤ ـ اجتناب الخصومة

من الأسباب الوثيقة التي تدعم تماسك الأُسرة : اجتناب الخصومة بين الزوجين ، فإنّها تؤدّي إلى الانفعال ، الأمر الذي يسبّب ـ على الأكثر ـ انهيار الرابطة الزوجيّة ، كما يعود بالأضرار البالغة على الأطفال ، فإنّ علاقة الأبوين إذا كانت قلقة ومضطربة تؤثّر على سلوك الأطفال ، وتوحي لهم أنّ الحياة العائليّة شرّ ، وأنّها تقوم على الخصام والعداء ، وهذه الانطباعات السيّئة تسري إلى مستقبل الأطفال فيعاملون أزواجهم وأطفالهم بهذا السلوك المنحرف الذي شاهدوه في بيوت آبائهم[٢] .

٥ ـ اللين والتسامح

من الأسباب التي تؤدّي إلى تماسك الأُسرة وترابطها هو اللين والتسامح بين الزوجين ، وانتزاع النزوات العصبيّة فيما بينهما ، فإن بدت من أحدهما كلمة نابية فينبغي للآخر أن يتسامح ، ولا يبقى يعقّب عليها ، فقد قال النبيّ ﷺ : « **مَنْ صَبَرَ عَلىٰ خُلُقِ امْرَأَةٍ سَيِّئَةِ الْخُلُقِ وَاحْتَسَبَ في ذلِكَ الْأَجْرَ أَعْطاهُ اللهُ ثَوابَ الشّاكِرينَ** »[٣] .

إنّ الإغضاء والتسامح وعدم المقابلة بالمثل تعود على الأُسرة بأربح النتائج ،

---

(١) نظام الأُسرة في الإسلام : ١٠٨ ، نقلاً عن وسائل الشيعة : ١٤/١١٥ .

(٢) نظام الأُسرة في الإسلام : ١٠٩ .

(٣) وسائل الشيعة : ١٤/١٢٤ .

فإنّها توجب أن تعيش الأُسرة في جوّ من الحبّ والوئام ، وتنشأ أطفالهم نشأة سليمة .

٦ ـ إكرام الزوجة

أكّد الإسلام على ضرورة إكرام الزوجة والاحتفاء بها ؛ لأنّ ذلك ممّا يوجب انسجامها مع الزوج . قال الإمام الصادق عليه السلام : « **رَحِمَ اللهُ ـ تَعالىٰ ـ عَبْداً أَحْسَنَ فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ مَلَّكَهُ ناصِيَتَها ، وَجَعَلَهُ الْقَيِّمَ عَلَيْها** »[١] .

إنّ إكرام الزوجة يجعلها تخلص في المودّة والحبّ لزوجها ، وينعدم الحقد فيما بينهما .

إظهار المودّة لها

وممّا يدعو إلى زيادة الترابط بين الزوجين إظهار المودّة والحبّ لها من الزوج ، فإنّها دوماً تطالب زوجها بالإخلاص لها . إنّ الضمان المادّي للزوجة والقيام بمعيشتها وكمالياتها ليس وحده كافياً في أن تخلص الزوجة لزوجها[٢] .

هذه بعض الأسباب التي تؤدّي إلى تماسك الأُسرة ، وقد ذكرنا المزيد منها في كتابنا نظام الأُسرة في الإسلام ،كما ذكرنا فيه الأسباب التي تؤدّي إلى انهيار الأُسرة وشيوع الكراهية في جوّها ، الأمر الذي يؤدّي إلى فصمها وإقدام الزوجين إلى حلّها بالطلاق .

المناهج التربوية للطفل

أمّا المناهج التربويّة السليمة للطفل ، والتي ينبغي أن يسير على ضوءها الآباء ، فهي :

---

(١) وسائل الشيعة : ١٢٢/١٤.

(٢) السلوك الإنساني : ٢٠٦.

١ ـ الابتعاد عن القسوة

ينبغي للآباء أن يبتعدوا عن القسوة في تربية أبنائهم ، فإنّها تعود بالأضرار البالغة على الأبناء ، فإنّها تجعله يرى في والديه مصدر تعذيب وألم ممّا يقلّل من شعوره بالثقة في نفسه وغيره ، حسبما أكّده علم النفس(١).

إنّ القسوة المفرطة تحرم الطفل من حقّه الطبيعي في الحبّ والعطف والحنان ، ومع فقده لها فإنّه يحرم من الاتّزان العقلي وهدوء العاطفة .

يقول الدكتور فاخر : « لقد دلّت الاحصائيّات على أنّ عدداً كبيراً من المجرمين كانوا ينتمون إلى بيوت كانت القسوة فيها هي القانون المعمول به ، وكان الضرب وإلحاق الأذى هو الوسيلة التربويّة »(٢).

إنّ أحسن وسيلة للتربية السليمة هي التربية المهذّبة الهادئة ، فإنّها تؤدّي إلى صحّة الطفل جسميّاً وعقليّاً .

٢ ـ الابتعاد عن اللين

ينبغي للأبوين أن يبتعدا في تربيتهما لأطفالهما عن الليونة المفرطة ، فإنّها لا تقلّ خطراً عن القسوة .

إنّ الليونة والغضّ عمّا يقترفه الطفل من الأخطاء فإنّها ممّا تعوّده في مستقبله وحاضره على ارتكاب الإثم والانغماس في الرذائل .

إنّ الأُمّ بحسب عواطفها ترخي العنان لولدها ، وتذوب أمامه ، ولا تسمح بتأديبه ، وهي في ذلك على جانب كبير من الخطأ ، فإنّها تجرّ لطفلها الويل وتلقيه في شرّ عظيم .

---

(١) السلوك الإنساني : ٢٠٦.

(٢) نظام الأُسرة في الإسلام : ١٣٦ .

٣ ـ تعويد الطفل على العادات الحسنة

على الأبوين أن يغرسا في نفس الطفل العادات الحسنة التي تجعله في مستقبل حياته فذّاً من الأفذاذ ، وقرّة عين لهما ، ومن بين العادات الحسنة التي ينبغي تعويده عليها :

١ ـ إبعاده عن التهوّر .

٢ ـ إبعاده عن الخنوع .

٣ ـ الصمود أمام الأزمات إذا مُنِيَ بها .

٤ ـ التغلّب على صرعاته النفسيّة ، وحلّ مشاكل حياته حلاًّ إيجابيّاً يقوم على الفكر والمنطق .

إنّ غرس العادات الحسنة والأخلاق الكريمة في نفس الطفل تحقّق له مكسباً عظيماً وتخلق له في مستقبل حياته شخصيّة متكاملة لا يوجد فيها تفكّك أو انحراف .

٤ ـ غرس الدين في نفسه

على الأبوين أن يغرسا في نفوس أبنائهم روح الدين ، فإنّه هو الذي يحميهم في مستقبل حياتهم من السقوط في حمأة الرذائل .

إنّ الدين الإسلامي هو المنبع الأصيل للفضائل النفسيّة ، ويصون الإنسان من التلوّث بجرائم الفساد ، ويجعله قدوة حسنة لغيره .

وأهمّ ما تعني به التربية الإسلاميّة للطفل أن يعوّد على الاجتناب من الصفات الشريرة التي منها :

١ ـ الكذب .

٢ ـ السرقة .

٣ ـ الهجوم على الغير.

٤ ـ الشرّ.

هذه بعض الصفات التي يجب على الأبوين اجتناب أطفالهم عنها.

٥ ـ المساواة بين الأبناء

أكّد الإسلام على ضرورة التسوية بين الأبناء، وجعلها من عناصر التربية الناجحة، فليس للأبوين أن يميّزا بعض أبنائهما على بعض، فإنّه يؤدّي إلى شيوع الكراهية والبغضاء فيما بين أطفالهما، ويقول الرواة إنّ النبيّ ﷺ نظر إلى رجل له ابنان فقبل أحدهما وترك الآخر، فنهره النبيّ ﷺ وقال له:

«هَلا ساوَيْتَ بَيْنَهُما؟»(١).

إنّ عدم العدالة بين الأبناء توقظ مشاعر القلق في نفس الطفل الذي حرم من تلك المساواة، وتجعله يحقد على أبويه وأخيه.

٦ ـ اجتناب البذاءة

على الأبوين أن يجتنبا بذاءة الكلام وكلّ ما يخلّ بالآداب أمام أطفالهما، فإنّ الطفل في سلوكه مقلّد لأبويه، فإذا رآهما مستهزئين بالقيم والآداب، فإنّه حتماً ينشأ في سلوكه على هذا المنهج المظلم الذي يجرّ له في مستقبل حياته الويل والكوارث.

هذه بعض المناهج التربويّة التي يقرّها الإسلام لتربية الأطفال، وقد ذكرنا المزيد من أمثال هذه البحوث التربويّة في كتابنا «نظام الأُسرة في الإسلام».

تربية المراهق

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عن تربية المراهق الذي اجتاز مرحلة

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٢٠.

الطفولة ، وبدا عليه التغيير الواضح في جميع أنحاء سلوكه ، وكان من بينها ما يلي:

١ ـ التحوّل إلى التحديد والتعميق .

٢ ـ التحوّل إلى سلوك ضبط من قبل .

٣ ـ الاهتمام بالأُسرة .

هذه بعض مظاهر التحوّل في المراهق(١) ، أمّا تربيته فتتطلّب أُسرة يسودها الاتّزان ، والعلاقات السليمة التي توفّر له الإشباع العاطفي ، والشعور بتقدير الذات ، وتوفير الثقة المتبادلة بينه وبين أهله ، واطمئنانه بحبّ والديه ، ومساعدتهما إيّاه في متاعبه ، وكذلك اعتزازه بشخصيّتهما من حيث اتّساع أُفقهما الفكري ونجاحهما الاجتماعي ، وصفاتهما السلوكيّة التي تبعث على اعتزازه وفخره ، لقد لوحظ أنّ الطفل حين يراهق يصبح أكثر حسّاسيّة لمركز أبويه الاجتماعي وأُسلوب حياتهما ، وإمكانيّاتهما الماديّة .

إنّ اللازم على الأبوين مساعدة ولديهما في حال مراهقته على بناء الثقة بنفسه ؛ لأنّ ذلك يعينه على المخاوف التي تنشأ من شعوره بضعفه ، وعجزه تجاه النواحي الاجتماعيّة(٢) .

حقوق الأب

أمّا الأب فهو النعمة الكبرى على الولد ، فلولا عطفه ورعايته بشؤونه ما كان له وجود على الأرض ، وقد ألزم الإسلام بطاعته وتنفيذ رغباته ، إلّا في معصية الله تعالى . يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته الحقوقيّة :

« وَأمّا حَقُّ أبيكَ فَتَعَلمَ أَنَّهُ أَصْلُكَ ، وَأَنَّكَ فَرْعُهُ ، وَأَنَّكَ لَوْلاهُ لَمْ تَكُنْ ، فَمَهما رَأَيْتَ

---

(١) السلوك الإنساني : ١٨٢.

(٢) السلوك الاجتماعي: ١٨٤ و ١٨٥.

في نَفْسِكَ ما يُعْجِبُكَ فاعْلَمْ أَنَّ أباكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فيهِ ، فاحْمِدِ اللهَ وَاشْكُرْهُ عَلىٰ قَدْرِ ذلِكَ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ تَعالىٰ »[١].

إنّ حقوق الأب على ولده عظيمة جدّاً ، ويجب عليه احترامه وتكريمه وطاعته ، والانفاق عليه إن كان معسراً ، لا سيّما عند كبره وعجزه ، فإنّه يتأكّد عليه تقديم جميع المساعدات والخدمات له ليؤدّي بذلك بعض حقوقه .

حقوق الأُمّ

ما أعظم الأُمّ ، وما أكثر نعمتها وألطافها على ولدها ، فلولا رعايتها وحنانها لما عاش الإنسان ، فقد تعاهدته بروحها ، وتحمّلت أعباء الحمل ، وأخطار الولادة ، وبعد ولادته تذوب في سبيله ، وتبذل جميع طاقاتها للحفاظ عليه ، والسهر من أجله ، وتبقى خادمة له بإخلاص إلى أن يكبر ، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام :

« فَحَقُّ أُمِّكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّها حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَداً ، وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِها ما لَا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَداً ، وَأَنَّها وَقَتْكَ بِسَمْعِها وَبَصَرِها ، وَيَدِها وَرِجْلِها ، وَشَعْرِها وَبَشَرِها وَجَميعِ جَوارِحِها مُسْتَبْشِرَةً بِذلِكَ ، فَرِحَةً ، مُوبِلَةً[٢] **، مُحْتَمِلَةً لِما فيهِ مَكْرُوهُها وَأَلَمُها وَثِقْلُها وَغَمُّها ، حَتّىٰ دَفَعَتْها عَنْكَ يَد الْقُدْرَةِ ، وَأَخْرَجَتْكَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوعَ هِيَ ، وَتَكْسُوكَ وَتَعْرىٰ ، وَتَرْوِيَكَ وَتَظْمَأَ ، وَتُظِلُّكَ وَتَضْحىٰ ، وَتُنْعِمُكَ بِبُؤْسِها ، وَتُلَذِّذُكَ بِالنَّوْمِ بِأَرَقِها ، وَكانَ بَطْنُها لَكَ وِعاءً ، وَحِجْرُها لَكَ حِواءً**[٣] **، وَثَدْيُها لَكَ سِقاءً ، وَنَفْسُها لَكَ وِقاءً ، تُباشِرُ حَرَّ الدُّنْيا وَبَرْدَها لَكَ وَدُونَكَ ، فَتَشْكُرُها عَلىٰ قَدْرِ ذلِكَ ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفيقِهِ »**[٤].

---

(١) رسالة الحقوق : ١/٤٨٩.

(٢) **موبلة** : مواظبة ومستمرّة.

(٣) **الحواء** : ما يحوي الشيء ويحيط به.

(٤) تحف العقول : ٢٥٧. رسالة الحقوق : ١/٤٧٥.

ما أعجز الإنسان عن القيام ببعض حقوق أُمّه ولو قدّم لها جميع الخدمات والمبرّات ، فقد حمل شخص والدته وهو يطوف بها حول البيت ، وقد أخذه التعب ، وكان النبيّ ﷺ إلى جانبه ، فقال له : يا رسول الله ، هل أدّيت حقّها ؟

فرمقه النبيّ ﷺ وقال له : « **وَلَا زَفْرَةً مِنْ زَفَراتِها** » .

إنّه لم يؤدِّ حقّ زفرة من زفرات الأُمّ التي تحمّلت الكوارث من أجله ، وطلب شخص من النبيّ ﷺ أن يوصيه بعمل من أعمال الخير ، فقال ﷺ : « **عَلَيْكَ بِأُمِّكَ** » ، قال له ذلك ثلاث مرّات ، وفي المرّة الرابعة قال له : « **عَلَيْكَ بِأَبيكَ** » .

إن حقوق الأُمّ على ولدها لا يمكن أن تجازى مهما كان البرّ بها ، ومهما قدّم لها من الخدمات .

التكليف بالأحكام الشرعيّة

إذا بلغ الولد سنّ التكليف ، وجب عليه أداء الأحكام الشرعيّة من العبادات وغيرها ، أمّا في مرحلة الطفولة فإنّه غير مكلّف بامتثال الأحكام الشرعيّة ، أمّا سنّ التكليف في الولد فهو إكماله خمسة عشر عاماً ، وأمّا سنّ الأُنثى فتسع سنين .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن نشأة الإنسان وطفولته وسائر شؤونه .

مع الإنسان
في
الشؤون الصحية

تبنّى الإسلام بصورة إيجابيّة وموضوعيّة جادّة شؤون الصحّة العامّة التي هي من المناهج الأصيلة في حفظ الحياة العامّة.

لقد تركّز الكثير ممّا قنّنه الإسلام من أحكام على سلامة المسلمين من الإصابة بكثير من الأمراض، وجعل الطبّ عندهم وقائيّاً... وقبل التحدّث عن ذلك نعرض لبعض الجهات المرتبطة بالموضوع.

اهتمام النبيّ ﷺ وأوصيائه بالطبّ

نظر النبيّ ﷺ بعمق وشمول إلى الطبّ الذي هو من ركائز الحياة المستقرّة، وكذلك الأئمّة العظام، فأولوه المزيد من اهتمامهم، وهذا عرض لبعض أحاديثهم:

١ ـ أحاديث النبيّ ﷺ

١ ـ أشاد النبيّ ﷺ بعلم الطبّ، ودعا إلى التخصّص به، فقد اجتاز على جماعة قد التفّوا حول شخص يحدّثهم وهم له صاغون فسألهم عنه، فقالوا له:

«يا رسول الله، هذا علّامة».

فانبرى النبيّ ﷺ قائلاً:

«بِأَيِّ شَيْءٍ عَلامَة؟».

«يا رسول الله، هذا عالم بأيّام العرب».

فأنكر النبيّ ﷺ ذلك وقال :

« **هٰذا عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَ بِهِ ، وَلَا يَضُرُّ مَنْ جَهِلَهُ ، إِنَّما الْعِلْمُ عِلْمانِ : عِلْمُ الأَدْيانِ ، وَعِلْمُ الأَبْدانِ** »[(١)].

إنّ الإحاطة بتاريخ الأحداث والحروب التي وقعت في أيّام العرب في جاهليّتهم ماذا يستفيد منها الإنسان ، فهي لا تغذّي الفكر ولا تكسبه أي تطوّر في حياته .

٢ ـ أمر النبيّ ﷺ بالتداوي والرجوع إلى الأطباء إذا ألمّت بالإنسان بعض الأمراض ، قال : « **تداوَوْا فما أَنْزَلَ اللهُ داءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ دَواءً إِلَّا السّامَ**[(٢)] ، **فَإِنَّهُ لَا دَواءَ لَهُ** »[(٣)].

٣ ـ كان النبيّ ﷺ يرى أنّ أفضل النِّعم التى يظفر بها الإنسان هي العافية ، قال :

« **ما أُوتِيَ أَحَدٌ بَعْدَ اليَقينِ** ـ أي بالله تعالى ـ **خَيْرًا مِنَ المُعافاةِ** »[(٤)].

وكان من اهتمامه البالغ في علم الطبّ أنّه وضع برنامجاً عامّاً له عرف بـ (الطبّ النبوي) ، تحدّث فيه عن بعض الأمراض ، ووصف أدويتها ، كما احتوى على بيان شامل لبعض الأغذية والفواكه واللحوم ، وذكر خواصّها وفوائدها .

٢ ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

أمّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو عملاق هذه الأُمّة ورائد حضارتها ونهضتها الفكريّة ، وقد وضع وصفة صحّية إذا طبّقها الإنسان فإنّه لا يصاب بمرض ، ويستغني عن الأطبّاء . قال عليه السلام لولده الزكي الإمام الحسن سيّد شباب أهل الجنّة :

---

(١) بحار الأنوار : ١/٢٢٠ .

(٢) **السام** : الموت .

(٣) دعائم الإسلام : ٢/١٤٣ .

(٤) كنز العمّال : ٣/٣٤٥ . مسند أحمد بن حنبل : ١/٧ .

« يا بُنَيَّ ، أَلَا أُعَلِّمُكَ أَرْبَعَ كَلِماتٍ تَسْتَغْني بِها عَنِ الطِّبِّ ؟ » ، وسارع الإمام الزكي الحسن عليه السلام قائلاً : « بَلىٰ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ » .

« لا تَجْلِسْ عَلَى الطَّعامِ إِلَّا وَأَنْتَ جائِعٌ ، وَلا تَقُمْ عَنِ الطَّعامِ إِلَّا وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ ، وَجَوِّدِ الْمَضْغَ ، وَإِذا نِمْتَ فَاعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى الْخَلاءِ ، فَإِذا اسْتَعْمَلْتَ هٰذا اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الطِّبِّ »(١) .

حفلت هذه الوصيّة الذهبيّة بأروع النصائح الصحّيّة التي أقرّها الطبّ الحديث ، فإنّ النهمة في الطعام وعدم مضغه ممّا يسبب إصابة الجهاز الهضمي بكثير من الأمراض التي تجرّ للإنسان الويل والعطب .

ومن نصائحه عليه السلام لكميل بن زياد بهذا الخصوص :

« يا كُمَيْلُ ، لا تُوَقِرَنَّ مِعْدَتَكَ طَعاماً ، وَدَعْ فِيها لِلْماءِ مَوْضِعاً وِلِلرِّيحِ مَجالاً .

يا كُمَيْلُ ، إِذا أَكَلْتَ الطَّعامَ فَسَمِّ بِاسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ داءٌ ، وَهُوَ شِفاءٌ مِنْ كُلِّ الْأَدْواءِ .

يا كُمَيْلُ ، إِنَّ صِحَّةَ الْجِسْمِ مِنْ قِلَّةِ الطَّعامِ وَقِلَّةِ الْماءِ »(٢) .

٣ ـ الإمام الصادق عليه السلام

أمّا الإمام الصادق عليه السلام فهو الذي ملأ الدنيا بعلومه على حدّ تعبير الجاحظ ، وهو الذي أغنى الفكر الإسلامي لعلومه وعبقريّاته ، وقد تصدّى في جامعته التي ضمّت أربعة آلاف طالب(٣) إلى إلقاء الدروس في مختلف أنواع العلوم التي منها علم الطبّ ، فقد كشف دقائقه ومحتوياته ، كما عرض إلى وظائف الأعضاء ، ودوران

---

(١) خصال الصدوق : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ . وسائل الشيعة : ٤٠٩/١٦ .

(٢) مستدرك الوسائل : ٢١٩/١٦ .

(٣) ترجمنا ٣٥٦٣ من طلّابه في كتابنا موسوعة الإمام الصادق عليه السلام .

الدورة الدمويّة والجراثيم التي تسبّب الأمراض[١]، كما ذكر الكثير من خواصّ الأغذية، كالفواكه والخضروات واللحوم، وقد دوّنت بحوثه في كتاب سمّي (طبّ الإمام الصادق عليه السلام) تصدّى لشرحه العلّامة المغفور له الشيخ محمّد الخليلي، ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام الصادق عليه السلام ناظر كبار علماء الطبّ في عصره، وخاض معهم أدقّ البحوث الطبيّة، فعجزوا عن مجاراته واعترفوا بتفوّقه عليهم، وعدم اطّلاعهم على دقائق هذا الفنّ[٢].

وقد كشف الإمام عليه السلام في بحوثه الطبيّة عن خواصّ الأعضاء بما لم يصل إلى معرفتها الطبّ الحديث بما يملك من المختبرات وأجهزة التحليل، ومن المؤكّد أنّ لبحوثه أثراً كبيراً في تطوّر علم الصحّة وازدهارها، وقد ألّف جابر بن حيّان مفخرة الشرق كتاب « السموم » الذي تلقّاه من أُستاذه الإمام الصادق عليه السلام، ويعتبر هذا الكتاب في طليعة الكتب الطبّية التي تناولت البحث عن خواصّ السموم.

التخمة

حذّر الإمام الصادق عليه السلام من إمتلاء البطن، قال: « **كُلُّ داءٍ مِنَ التُّخْمَةِ** »[٣].

الأكل ماشياً

من الآداب التي وضعها الإسلام للمائدة أنّه كره الأكل ماشياً، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: « **لَا تَأْكُلْ وَأَنْتَ تَمْشي إِلَّا أَنْ تَضْطَرَّ إِلىٰ ذلِكَ** »[٤].

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب، وفيه عرض شامل لعلوم الإمام وتخصّصه في علم الطبّ.

(٢) ذكرنا تلك المناظرات الرائعة في الجزء الثاني من كتابنا حياة الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) وسائل الشيعة: ٤١١/١٦.

(٤) المصدر المتقدّم: ٤٢١.

الإمام الرضا عليه السلام والرسالة الذهبيّة

أمّا الإمام الرضا عليه السلام فهو معجزة الإسلام بمواهبه وعبقرياته، وقد تخصّص بجميع أنواع العلوم والمعارف، فلم يكن أحد من العلماء في العصر الذهبي من يضارعه في علومه، والتي منها علم الطبّ، وقد طلب الخليفة العبّاسي المأمون من جبريل بن بختشوع الذي هو أفضل طبيب في العصر العبّاسي أن يؤلّف كتاباً في الشؤون الصحّيّة ليكون منهجاً للصحّة العامّة، وكان الإمام الرضا عليه السلام حاضراً، فقال جبريل:

« تكلّفني بهذا الأمر والإمام الرضا عليه السلام أبو الطبّ، وشيخ الأطباء، وسيّد العلماء »، فعرض المأمون طلبه على الإمام الرضا عليه السلام فاستجاب له، وألّف رسالته في الطبّ، وهي ـ على إيجازها ـ من أروع ما أُلّف في هذا الفنّ، وقد أمر المأمون بأن تكتب بالذهب، وسمّيت بالرسالة الذهبيّة في الطبّ، وقد أثنى عليها المأمون، وقرّضها تقريضاً عاطراً جاء فيه:

« وسمّيتها بالذهبيّة، وخزنتها في خزانة الحكمة، وذلك بعد أن نسخها آل هاشم فتيان الدولة؛ لأنّ بتدبير الأغذية تصلح الأبدان، وبصحّة الأبدان تدفع الأمراض، وبدفع الأمراض تكون الحياة، وبالحياة تنال الحكمة، وبالحكمة تنال الحياة.

وكانت أهلاً للصيانة والادّخار، وموضعاً للتأهيل والاعتبار، وحَكَماً يعوّل عليه، ومشيراً يرجع إليه، ومن معادن العلم آمراً وناهياً ينقاد له، ولأنّها خرجت من بيوت الذين يوردون حكم الرسول المصطفى، وبلاغات الأنبياء، ودلائل الأوصياء، وآداب العلماء، وشفاء للصدور والمرضى.

وأضاف يقول:

فعرضتها على خاصّتي وصفوتي من أهل الحكمة والطبّ، وأصحاب التأليف والكتب المعدودين في أهل الدراية والمذكورين بالحكمة، وكلّ مدحها، وأعلاها، ورفع قدرها وأطراها إنصافاً لمصنّفها، وإذعاناً لمؤلّفها، وتصديقاً له فيما

حكاه فيها »(١).

وقد ناظر الإمام الرضا عليه السلام جماعة من كبار أطباء عصره من الذين جلبهم المأمون لمناظرة الإمام، ووعدهم بالثراء العريض إن عجز عن أجوبة مسائلهم فيتّخذ من ذلك وسيلة للتشهير به، والحطّ من مكانته الاجتماعيّة، إلّا أنّهم عجزوا عن مجاراته، واعترفوا له بالفضل والتضلّع في هذا العلم، كما أقرّ ودان جماعة منهم بإمامته.

وعلى أيّ حال، فإنّ الإسلام قد وضع البرامج للصحّة العامّة تقي الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض.

إشادة أطباء الغرب بالإسلام

بهر علماء الغرب من أحكام الإسلام التي تركّزت على علم الطبّ، وأشادوا بمهارة النبيّ صلى الله عليه وآله، واهتمامه بشؤون الصحّة العامّة، ومن بين هؤلاء:

١ ـ الدكتور جورجودار بالانو

قال هذا الدكتور: « إنّ الفروض والواجبات من السنن والمستحبّات الإسلاميّة تتّصل بالصحّة، وهي ترمي إلى إصابة هدفين، وتحقيق غايتين: غاية دينية، وغاية صحّيّة »(٢).

٢ ـ الدكتور سان جون جير

« إنّ الأمر الذي لا شكّ فيه هو أنّ المعالجة والصحّة كانا من الموضوعات الرئيسيّة التي عالجها الرسول، وأنّه هو نفسه كان واسع الاطّلاع في الطبّ »(٣).

---

(١) طبّ الإمام الرضا عليه السلام، وقد شرحناه وفق الطبّ الحديث.

(٢) الوجيز: ١/٢.

(٣) الوجيز: ١/٢ ـ ٣.

٣ ـ الدكتور رونا الساندج

أشاد هذا الدكتور بالتعاليم الإسلاميّة التي عالجت الشؤون الصحّية ، قال : « إنّ تعاليم الإسلام الدينيّة تمثّل الصحّة ، فهي تدعو إلى القناعة وعدم الإسراف في الأكل والشرب والنظافة والاغتسال بالماء الطاهر خمس مرّات باليوم قبل كلّ صلاة ، وإنّ الصلاة مجموعة من حركات رياضيّة ، وإنّ الإسلام يأمر بتجريد المرضى المصابين بأمراض معدية ، وإنّ العلوم الإسلاميّة خصّصت كثيراً من أبحاثها بحفظ الصحّة »[١].

وعلى أي حال ، فإنّ الإسلام قد وضع أُسساً عامّة للمناهج الصحّيّة تقي الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض ، ونعرض بإيجاز إلى تلك المناهج :

النظافة

أمّا النظافة فإنّها من العناصر المهمّة في تكوين الحياة الصحّية وازدهارها ، وجعلها بمأمن من التلوّث بالأمراض السارية والأوبئة الفتّاكة ، وقد تبنّاها الإسلام بصورة إيجابيّة ، وقد ورد فيها بعض الآيات الكريمة وكوكبة من الأحاديث النبويّة ، ونعرض لذلك :

في ظلال القرآن :

منح الله تعالى وسام حبّه للمتطهّرين . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** ﴾[٣] ، وهل هناك صفة أروع وأفضل من هذه الصفة التي يحبّها الله تعالى .

---

(١) الوجيز : ٣/١.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٢.

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٨.

في رحاب السنّة:

وأُثرت كوكبة من الأحاديث تحثّ المسلمين على النظافة، منها:

١ ـ قال ﷺ: «**النَّظافَةُ مِنَ الإيمانِ**»[١].

٢ ـ قال ﷺ: «**إنَّ الله تَعالىٰ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطِّيب، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظافَةَ**»[٢].

٣ ـ قال ﷺ: «**تَنَظَّفُوْا بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإنَّ اللهَ تَعالىٰ بَنَى الإسْلامَ عَلَى النَّظافَةِ**»[٣].

٤ ـ قال الإمام عليّ عليه السلام: «**الطُّهُورُ نِصْفُ الْإيمانِ**»[٤].

هذه بعض الأخبار التي حثّت على النظافة، وجعلتها قاعدة أساسيّة في حياة المسلمين.

محتويات النظافة:

أمّا محتويات النظافة التي هي نصف الإيمان ـ كما في الحديث ـ فهي:

١ ـ نظافة الجسم، وإزالة ما عليه من الأوساخ، وتقليم الأظافر، ودلك الأسنان، وإزالة الشعر.

قال ﷺ: «**خَلِّلُوا لِحاكُمْ وَقُصُّوا أظْفارَكُمْ؛ فَإنَّ الشَّيْطانَ يَجْري مابَيْنَ اللَّحْمِ وَالظُّفْرِ**»[٥].

٢ ـ نظافة اللباس، وإزالة ما عليه من الأوساخ والحشرات الناقلة للأمراض.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩١/٥٩.

(٢) سنن الترمذي: ١٩٨/٤.

(٣) كنز العمّال: ٢٧٧/٩.

(٤) مستدرك الوسائل: ٣٥٧/١.

(٥) كنز العمّال: ٣٠١/٩.

قال ﷺ: «**إغْسِلُوا ثِيابَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ شُعُورِكُمْ، وَاسْتَاكُوا وَتَزَيَّنُوا وَتَنَظَّفُوا**»[(١)].

٣ ـ نظافة المسكن وإزالة ما فيه من القاذورات، وتنظيف المرافق الصحّية.

قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالىٰ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ نَظِيْفٌ يُحِبُّ النَّظافَةَ، كَرِيْمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوادٌ يُحِبُّ الجوْدَ فَنَظِّفُوْا أَفْنِيَتَكُمْ وَلاتَشَبَّهُوْا بِالْيَهُوْدِ**»[(٢)].

٤ ـ نظافة الأغذية من الخضروات والفواكه وسائر الأطعمة.

٥ ـ نظافة مياه الشرب وتعقيمها.

٦ ـ نظافة الشوارع والأزقّة وإزالة ما فيها من الأوساخ.

٧ ـ عدم الجلوس في الأماكن القذرة.

٨ ـ عدم البصق في المؤسّسات والمحلّات العامّة والجوامع.

لقد أقام الإسلام الحياة العامّة للمسلمين على أساس الصحّة التي هي من ضروريات الحياة، ويتّضح مدى اهتمامه بالشؤون الصحّيّة والتربويّة عند تشريعه للأحكام التالية:

أوّلاً: الغسل

ألزم الإسلام بغسل البدن واستيعاب بشرته بالماء في الأُمور التالية:

١ ـ الجنابة

وهي عقيب الاتّصال الجنسي أو الاحتلام، سواء في ذلك الرجل أو المرأة. قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا** ﴾[(٣)]. وقد ثبت في الطبّ الحديث أنّ

---

(١) كنز العمّال: ٦/٦٤٠.

(٢) سنن الترمذي: ٤/١٩٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦.

جسم الإنسان بعد الانتهاء من الاتّصال الجنسي يفقد شيئاً من حيويته ولا يعيدها إلّا غسل الجسم ودلكه بالماء .

٢ ـ الحيض

وهو الدورة الدمويّة للمرأة ، وبعد انتهاء الحيض يجب عليها الغسل ، وتطهير بدنها من الدم ، وإزالة ما على جسمها من أوساخ ، والغسل يردّ عليها حيويّتها ونشاطها .

٣ ـ الاستحاضة

ويجب الغسل مرّة واحدة في اليوم على المستحاضة فيما إذا كانت الاستحاضة وسطى ، كما يجب الغسل ثلاث مرّات إذا كانت الاستحاضة كبرى ، وقد ذكرت رسائل الفقهاء تفصيل أحكامها .

٤ ـ النفاس

وهو الدم الذي تقذفه المرأة حال ولادتها أو بعد ولادتها ، ويجب عليها الغسل بعد انقطاع الدم .

٥ ـ مسّ الميّت

يجب الغسل على من مسّ إنساناً ميّتاً بعد برده وقبل تمام غسله ، مسلماً كان الميّت أو كافراً ، صغيراً أو كبيراً .

هذه هي الأغسال الواجبة ، وهي لا تدع قذارة على بدن الإنسان .

الأغسال المندوبة :

وأمّا الأغسال المندوبة ، فهي كثيرة كان منها :

١ ـ غسل الجمعة .

٢ ـ غسل يوم العيدين .

٣ ـ غسل الاحرام.

٤ ـ غسل يوم عرفة.

٥ ـ غسل يوم التروية.

٦ ـ غسل يوم عيد الغدير.

٧ ـ غسل يوم النصف من شعبان.

٨ ـ الغسل لزيارة المعصومين عليهم السلام[(١)].

هذه بعض الأغسال المندوبة، وقد شرّعت لأجل نظافة البدن وسلامته من الأوساخ.

ثانياً: الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمانِ**»[(٢)].

يجب الوضوء مقدّمة للصلاة اليوميّة البالغة خمس صلوات وغيرها من الصلوات الواجبة عدا صلاة الجنائز، ويجب فيه غسل الوجه واليدين، ومسح الرأس والرجلين ـ عند الشيعة ـ.

وأمّا سننه: فغسل الكفّين عند ابتداء الوضوء، والمضمضة بالماء، وكذلك الاستنشاق وغيرها من المستحبّات.

فوائد الوضوء

ذكر الأطباء فوائد مهمّة في الوضوء كان منها:

١ ـ إنّ الماء الذي يراق على الوجه واليدين ممّا يقبض العروق الشعريّة السطحيّة

---

(١) منهاج الصالحين ـ العبادات / سماحة آية الله العظمى السيّد عليّ الحسيني السيستاني.

(٢) مستدرك الوسائل: ١/٣٦٤.

الجلديّة ، وعودها منبسطة إلى حالتها الأُولى ، وبذلك تزداد حركة القلب ، وتنشط المبادلات في الجسم ، وتقوى الحركات التنفّسيّة ، ويزيد في استنشاق الأوكسجين ودفع الكاربون ، وبذلك يحصل تنبه الأعصاب المدركة ، ثمّ يسري هذا التنبيه إلى جميع الأعصاب القلبيّة والرئويّة والمعدية والغدد .

٢ ـ وقاية العين من الإصابة بالرمد ؛ وذلك لأنّها تغسل بالماء النظيف عدّة مرّات في اليوم .

٣ ـ تطهير مجاري الأنف من الجراثيم التي تتجمّع فيه وذلك فيما إذا أتى المتوضّئ بالاستنشاق .

٤ ـ وقاية الجلد من الإصابة بالأمراض الجلديّة ، فإنّ الوجه واليدين من أجزاء البدن المكشوفة وهي عرضة للإصابة بالميكروبات الوافدة ، فإذا غسلت في اليوم عدّة مرّات توفّرت فيها المناعة من الإصابة .

٥ ـ وقاية الجوف من الجراثيم التي تدخل من طريق الفم ، فإنّها إنّما تدخل من طريق تلوّث الأيدي ، فإذا كانت مغسولة ونظيفة على الدوام فلا تحمل أي جرثومة تصل إلى الجسم .

أمّا الأمراض التي تلج من طريق الأيدي الملوّثة فهي :

أ ـ الطفيليّات الهضمية .

ب ـ التيفوئيد .

ج ـ الشلل .

إنّ الوضوء من أهمّ العمليّات لوقاية الجسم من الإصابة بهذه الأمراض الخطيرة .

٦ ـ تخفيف حدّة التوتر الذي يصيب الأعصاب في حالة الغضب حسب ما قاله الأطباء ، وقد أُثر عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « **إِنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيطانِ وَإِنَّ الشَّيْطانَ خُلِق**

مِنَ النّارِ وَإِنَّما تُطْفَأُ النّارُ بِالْماءِ فَإِذا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»[١].

هذه بعض الفوائد المهمّة في الوضوء[٢].

ثالثاً: تنظيف الأسنان

من المناهج الصحّية التي ندب إليها الإسلام تنظيف الإسلام؛ وذلك لما لها من أثر فعّال في صحّة الجسم، وقد ركّز الإسلام اهتمامه على تنظيف الأسنان بالسواك، فقال النبيّ ﷺ: «**لَوْلا أنْ أَشُقَّ عَلىٰ أُمَّتي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّواكِ عِنْدَ وُضوءِ كُلِّ صَلاةٍ**»[٣].

وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالسِّواكِ فَنِعْمَ الشَّيْءُ السِّواكُ يَشُدُّ اللِّثَةَ، وَيَذْهَبُ بِالْبَخَرِ، وَيُصْلِحُ المِعْدَةَ**»[٤].

وقال ﷺ: «**في السِّواكِ ثَمانِيَةُ خِصالٍ: يُطَيِّبُ الفَمَ، وَيَشُدُّ اللِّثَةَ، وَيَجْلُو البَصَرَ، وَيُذْهِبُ البَلْغَمَ، وَيُفَرِّحُ المَلائِكَةَ، وَيُرْضِي الرَّبَّ، وَيَزيدُ في الحَسَناتِ، وَيَصِحُّ المَعْدَةَ**»[٥].

وإنّما أكّد عليه لما له من الفوائد التي تفوق معجون الأسنان، وقد أدلى الدكتور حامد البدري ببعض فوائده الصحّيّة. قال: «هذا النبات ـ أي الأراك ـ يتكوّن كيميائيّاً من ألياف السيليوز وبعض الزيوت الطيّارة، وبه راتنج عطري، وأملاح معدنيّة، أهمّها كلوريد الصوديوم وهو ملح الطعام، وكلوريد البوتاسيوم، واكسالات الجير.

فالسواك فرشاة طبيعيّة زوّدت بأملاح معدنيّة ومواد عطريّة تساعد على تنظيف

---

(١) بحار الأنوار: ٢٧٢/٧. سنن أبي داود: ٤٣٤/٢.

(٢) روح الدين الإسلامي: ٤٠٠. روح الصلاة في الإسلام: ٨٢ ـ ٨٣. النظام التربوي في الإسلام: ٣١٠.

(٣) وسائل الشيعة: ١٧/٢.

(٤) كنز العمّال: ٣١٤/٩.

(٥) المصدر المتقدّم: ٣١٥.

الأسنان، فنرى النبيّ ﷺ وأصحابه قد استعملوا فرشاة الأسنان الطبيعيّة منذ قرون، بينما استعملت الفرشاة لتنظيف الأسنان لأوّل مرّة حوالي سنة ١٨٠٠م.

هذا وإنّ الإنسان إذا أهمل أسنانه سرى فيها الفساد والتسوّس، وأفرزت السموم التي يمتصّها الجسم وتسبّب أمراضاً كثيرة[١].

هذه بعض الفوائد المهمّة في تشريع الإسلام لتنظيف الأسنان بهذا النبت الخاصّ.

رابعاً: الاستنجاء

ومن المناهج الصحّية ذات الأهمّية البالغة تطهير مخرج البول بالماء مرّتين، والأفضل ثلاث، وأمّا مخرج الغائط فيتخيّر المكلّف بين غسله بالماء حتّى ينقى، وبين مسحه بالأحجار أو الخرق وغيرهما من الأجسام القالعة للنجاسة[٢].

وهذا التشريع العظيم له أثره الفعّال في صحّة الجسم وسلامته من الأمراض. ومن الجدير بالذكر أنّ العرب في أيّام الجاهليّة كانوا لا يستنجون بالماء ولا بغيره، وكانت تهب منهم روائح كريهة، وقد جيء بعطر إلى شخص يريد الزواج فعمد إلى تعطير عورته، فقيل له: إنّ هذا ليس محلّ التعطير، فقال: إنّ الروائح الكريهة التي فيه قد أهلكتني، فأنا أُعطّره.

خامساً: الحلق وتقليم الأظفار

ندب الإسلام إلى نظافة أجزاء البدن، فقد حثّ على الحلاقة وتقليم الأظفار، ففي الحديث: « **خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْإِسْتِحْدادُ[٣]، وَالْخِتانُ، وَقَصُّ الشّارِبِ، وَنَتْفُ**

---

(١) روح الدين الإسلامي: ٤٠١.

(٢) منهاج الصالحين: ٣١/١.

(٣) **الاستحداد**: حلق الشعر من الأعضاء التناسليّة.

الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظافِرِ»[١].

ومن المؤكّد أنّ تطبيق هذه المناهج على جسم الإنسان توفّر له الصحّة والسلامة من الأمراض.

وعلى أيّ حال، فإنّ النظافة في الإسلام توجب ازدهار الصحّة العامّة، وجعل الطبّ وقائيّاً، وهو ممّا تجهد الدول المتحضّرة ومنظّمات الصحّة العالميّة على إشاعته بين جميع الشعوب، وبالإضافة إلى ذلك فإنّها تعمل على صيانة الإنسان من الشذوذ وذو الانحراف.

يقول بنتام الانجليزي:

«إنّ من واظب على الطهارة الشرعيّة في الدين الإسلامي خلا ظاهره من الذنوب، وبرئت نفسه من العيوب، ولقد استقريت المجرمين الذين جمعتهم السجون فلم أرَ فيهم إلّا قذر الجسم وسخ الثياب»[٢].

وبهذا نطوي الحديث عن بعض البرامج التي شرّعها الإسلام للنظافة، وهي من مناهج شؤون الصحّة العامّة.

الرياضة:

أمّا الرياضة، فإنّها من العناصر المهمّة في تكوين حيويّة الجسم ونشاطه، ولها صور كثيرة، كان منها في الإسلام:

١ ـ السبق

وهو عقد شرع على المسابقة على الخيل استعداداً لممارسة القتال ـ في ذلك

---

(١) صحيح البخاري: ٥٦/٧.

(٢) النظام التربوي في الإسلام: ٣١٢.

العصر ـ وقد أُثر في تشريعه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**لَا سَبْقَ إِلَّا فِي نَصْلٍ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ**»[(١)].

وهو ممّا يوجب تقوية الجسم، ونشاط العضلات، وقد عنى به فقهاء المسلمين، وأفردوا له كتاباً خاصّاً ذكروا فيه أحكامه.

وفي هذا العصر المسابقة في السيارات، وهي جزء من الرياضة العامّة.

٢ ـ الرماية

يقصد بها التمرين على عمليات الحرب في ذلك العصر الذي كانت الرماية فيه بالسهام والنبل، وفي هذا العصر المسابقة بالطائرات والصواريخ والدبابات وغيرها من أدوات الحرب.

إنّ هذا التمرين يبعث على الخبرة العسكريّة، وتوفير القوى للجسم ونشاط العضلات.

٣ ـ الصيد

وهو ممّا يوجب تقوية الجسم، وذلك بما يستلزمه من الركض والاندفاع بسرعة للظفر بالصيد، وهو من موجبات الرياضة البدنيّة، وقد ولع به ملوك المسلمين في العصور الأُولى، ولم يكن مبعثه إلّا اللهو واللعب وإضاعة الوقت، وقد عرضت مصادر الفقه إلى بيان المحلّل من الصيد والمحرّم منه.

الفوائد الرياضيّة في الصلاة

أمّا الصلاة فهي من أهمّ العبادات في الإسلام، وقد حفلت ببعض الفوائد الرياضيّة النافعة للجسم، وقد أدلى بها بعض الأطباء منهم:

---

(١) الروضة (في شرح اللمعة الدمشقيّة): ٤٢١/٤، من منشورات جامعة النجف الدينيّة.

١ ـ الدكتور مصطفى الحفّار

سأل الأُستاذ عفيف عبدالفتّاح طباره الدكتور مصطفى الحفّار الاختصاصي في أمراض الجهاز الهضمي عن فوائد الركوع والسجود في الصلاة فأجاب :

« إنّ الركوع يفيد في تقوية عضلات جدار البطن ، ثمّ إنّه يساعد المعدة على تقلّصها ، ومن ثمّ على قيامها بوظيفتها الهضميّة ، كذلك الأمعاء يسهل لها أن تدفع بالفضلات الهضميّة بصورة طبيعيّة ، وأمّا السجود فيدفع بالهواء من جوف المعدة إلى الفم فيريحها من وطأة التمدّد وما ينتج عنه من مضاعفات هضمية وانعكاسات قلبيّة »(١) .

٢ ـ الدكتور فارس غازوري

الدكتور فارس اختصاص بالأمراض العصبيّة والمفاصل ، وقد تحدّث عن الفوائد الصحّيّة في الصلاة . قال :

« إنّ الصلاة عند المسلمين وما تحتويه من الركوع والسجود تقوّي عضلات الظهر ، وتليّن تحرّكات فقرات السلسلة الظهريّة ، وخصوصاً إذا قام الإنسان بالصلاة في سنّ مبكّرة ، ويترتّب على ذلك مناعة ضدّ الأمراض التي تنتج عن ضعف في العضلات التي تجاور العمود الفقري ، والتي ينشأ من ضعفها أنواع من الأمراض العصبيّة التي تسبّب الآلام الشديدة والتشنّج في العضلات »(٢) .

هذه بعض المكاسب التي يظفر بها المصلّون ، وبالإضافة إلى فوائدها الرياضيّة فإنّها رياضة روحيّة ورابطة اتّصال بين الإنسان والخالق العظيم الذي بيده مجريات الأحداث .

---

(١) النظام التربوي في الإسلام : ٣٣٥ .

(٢) روح الصلاة في الإسلام : ١٣٧ .

الفوائد الصحيّة في الصوم

أمّا الصوم فهو من العبادات ذات الأثر المهمّ في صحّة الجسم ، وهو من أهمّ الوصفات الصحّية للأمراض التالية :

١ ـ الاضطرابات المعويّة

إنّ الصوم أحسن دواء للاضطرابات المعويّة المزمنة والمصحوبة بتخمّر في المواد الزلاليّة والنشويّة ، والصوم أحسن علاج لها .

٢ ـ زيادة الوزن

إنّ زيادة الوزن ناجمة من كثرة الغذاء وقلّة الحركة ، والصوم أنجع من كلّ علاج لقلّة الوزن .

٣ ـ الضغط الدموي

إنّ الضغط الدموي آخذ بالانتشار بسبب الانفعالات النفسيّة وزيادة الترف ، والصوم خير علاج له .

٤ ـ البول السكّري

والصوم خير علاج للبول السكّري ، خصوصاً للمصابين بزيادة الوزن ، فإنّه يقلّله ، وقد كان العلاج الوحيد قبل ظهور « الانسولين » .

٥ ـ التهاب الكلى

والصوم علاج له ونافع جدّاً .

٦ ـ أمراض القلب .

٧ ـ التهاب المفاصل المزمنة .

هذه بعض الأمراض التي يكون الصوم علاجاً لها حسب ما ذكره بعض الأطباء[(١)] .

---

(١) الإسلام والطبّ الحديث : ٣٣ ـ ٣٦ .

وفي الحديث: «**صُومُوا تَصِحُّوا**»[1].

وفي حديث آخر: «**لِكُلِّ شَيْءٍ زَكاةٌ وَزَكاةُ الجَسَدِ الصَّوْمُ**»[2]، وكما أنّ الصوم خير علاج للبدن كذلك فإنّه علاج روحي للنفس، وتعويد لها على الصبر، وتقوية للإرادة.

الراحة

من برامج التربية الصحّية في الإسلام راحة الإنسان لبدنه عند إجهاده وعنائه في شؤون الدنيا، وليس له أن يرهق نفسه ويحملها فوق طاقتها، فإنّ في ذلك إلقاءً لها في التهلكة، وهو ممّا حرّمه الإسلام، ففي الحديث: «**إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً**».

وفي حديث آخر: «**نَفْسُكَ مَطِيَّةٌ فارْفِقْ بِها**»، يعني لا تحمّلها فوق طاقتها ولا تجهدها، وعليك بالرفق بها.

إنّ الراحة تقي الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض، فإنّها على الأكثر ناجمة من الجهد والارهاق وعدم التوازن في السلوك.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن التربية الصحّيّة في الإسلام، وسنذكر فصولاً أُخر في البحوث الآتية.

---

(١) مستدرك الوسائل: ٥٠٢/٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤١٦/٤.

الغذاء والمشروبات

اهتمّ الإسلام اهتماماً بالغاً بالغذاء والشراب ؛ لأنّ الحياة لا تستقيم بدونهما ، وقد سلّط الأضواء على جميع أنواع المطعومات والمشروبات ، فدعا إلى الاعتدال وعدم الإسراف في تناولهما ،كما أباح نوعاً منهما وحرّم نوعاً آخر ، وجميع ما يتعلّق بهذه البحوث يرتبط بالصحّة ، فهو جزء منها ، وإنّما عقدنا لهما فصلاً مستقلّاً نظراً لأهمّيّتهما البالغة ، وفيما يلي ذلك :

الغذاء

وهو العنصر الفعّال في حياة الإنسان ، وقد نظر إليه الإسلام بعمق وشمول ، فوضع له منهجاً خاصّاً يعود بالخير العميم على الإنسان ، وهذا عرض له .

الاعتدال في تناول الطعام

أكّد الإسلام على ضرورة الاعتدال في تناول الطعام ، وعدم الإسراف فيه ، وقد جاء ذلك التأكيد في الكتاب والسنّة .

في القرآن الكريم

وألزم القرآن الكريم بعدم الإسراف في تناول الطعام .

قال تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا**

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١].

جمعت الآية الكريمة جميع أُسس الصحّة ، فقد نهت عن الإسراف الشامل للأكل والشرب والحياة الجنسيّة ، وغيرها من موارد الإسراف المنهك للبدن .

إنّ الآية الكريمة أعطت قاعدة مطّردة لسلامة الجسم من الإصابة بالأمراض ، وهي عدم الإسراف في الغذاء وغيره .

السنّة الشريفة :

وأُثرت كوكبة من الأحاديث عن النبيّ ﷺ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام في النهي عن الإفراط في الطعام ، وهذه شذرات منها :

أحاديث النبيّ ﷺ :

دعا النبيّ ﷺ أُمّته إلى الاعتدال في الأكل ، وهذه بعض أحاديثه :

١ ـ قال رسول الله ﷺ : « **ما مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ يَحْسِبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْماتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كانَ لا بُدَّ فَثُلُثٌ لِطَعامِهِ ، وَثُلْثٌ لِشَرابِهِ ، وَثُلْثٌ لِنَفْسِهِ** »[٢].

٢ ـ قال ﷺ : « **كُلْ وَأَنْتَ تَشْتَهي ، وَأَمْسِكْ وَأَنْتَ تَشْتَهي** »[٣].

٣ ـ قال ﷺ : « **المِعْدَةُ بَيْتُ الدّاءِ وَالحِمْيَةُ رَأْسُ كُلِّ دَواءٍ ، وَأَعْطِ كُلَّ نَفْسٍ ما عَوَّدْتَها** »[٤].

أرأيتم هذا الاهتمام البالغ من النبيّ ﷺ في الغذاء وعدم الإفراط فيه ليكون الإنسان بمأمن من الإصابة بالأمراض .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣١.

(٢) بحار الأنوار : ٧٣/٩١.

(٣) مستدرك الوسائل : ١٠/١٥٥.

(٤) النظام التربوي في الإسلام : ٣١٤.

ومن الجدير بالذكر أنّ النجاشي ملك مصر أرسل إلى النبيّ ﷺ هدايا فيها طبيب ليداوي مرض المسلمين، فأرجعه إليه، وقال: «**إنّا مَعاشِرَ الْمُسْلِمينَ لَا نَمْرَضُ لِأَنَا لَا نَأْكُلُ حَتّىٰ نَجُوعَ، وَإِذا أَكَلْنا لَا نَشْبَعُ**»(١).

الإمام الصادق عليه السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام عملاق هذه الأُمّة ورائد نهضتها العلميّة: «**لَوِ اقْتَصَدَ النّاسُ في الْمَطْعَمِ لَاسْتَقامَتْ أَبْدانُهُمْ**»(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ اللهِ تَعالىٰ إِذا خَفَّ، وَأَبْغَضُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ تَعالىٰ إِذا امْتَلأَ**»(٣).

الإمام الرضا عليه السلام

قال الإمام الرضا عليه السلام في رسالته الذهبيّة التي ألّفها بطلب من المأمون:

«**فَانْظُرْ ما يُوافِقُكَ وَيُوافِقُ مِعْدَتَكَ وَيَقْوىٰ عَلَيْهِ بَدَنُكَ، وَيَسْتَمْرِءُ بِهِ مِنَ الطَّعامِ فَقَدِّرْهُ لِنَفْسِكَ، وَاجْعَلْهُ غِذاءَكَ**».

وأضاف يقول:

«**مَنْ أَخَذَ مِنَ الطَّعامِ زِيادَةً لَمْ يَفِدْهُ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِقَدَرٍ لَا زِيادَةَ عَلَيْهِ وَلَا نَقْصٍ فِي غِذاه نَفَعَهُ، وَكَذلِكَ الماء سَبيلُكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنَ الطَّعامِ كِفايَتَكَ.. وَارْفَعْ يَدَيْكَ مِنْهُ وَعِنْدَكَ إِلَيْهِ مَيْلٌ، فَإِنَّهُ أَصْلَحُ لِمِعْدَتِكَ وَلِبَدَنِكَ، وَأَذْكىٰ لِعَقْلِكَ، وَأَخَفُّ عَلىٰ جِسْمِكَ**»(٤).

---

(١) السيرة النبويّة / زيني دحلان: ٧٢/٣.

(٢) النظام التربوي في الإسلام: ٣١٣.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٣٩/٢٤.

(٤) طبّ الإمام الرضا عليه السلام: ٤٧.

الأضرار الفظيعة

إنّ الإسراف في تناول الطعام له مضاعفاته السيّئة التي تجرّ للإنسان الكثير من الأمراض ، وهذه بعضها :

١ ـ التعرّض للسمنة

إنّ الإفراط في الأغذية يؤدّي إلى السمنة ، وهي من أخطر الأمراض ، فإنّها تعرّض الإنسان للإصابة بمرض القلب ، وارتفاع الضغط الدموي ، وأمراض الكلى ، ومرض السكّر.

٢ ـ إصابة الجهاز الهضمي

الإسراف في الطعام يؤدّي إلى إصابة الجهاز الهضمي بأمراض وهي :

أ ـ تمدّد المعدة.

ب ـ حدوث القرحة.

ج ـ إصابة القالون.

٣ ـ قلّة النسل

ومن مضاعفات الإفراط في تناول الطعام قلّة النسل ، فقد ثبت في الطبّ الحديث أنّ تناول الأطعمة الدسمة تؤثّر على قدرة الإنسان على الفيض التناسلي كما تؤدّي إلى العقم في بعض الأحيان[١].

٤ ـ تبلّد الفكر

من ويلات الإسراف في الطعام تبلّد الفكر وإصابة آفاقه بالغباوة وعدم الذكاء[٢].

---

(١) طبيبك معك : ٣١.

(٢) النظام التربوي في الإسلام : ٣١٤.

كيف نأكل ؟

وعلّمنا الإسلام كيف نأكل الطعام ، وذلك باتّباع ما يلي :

١ ـ مضغ الطعام

حثّ الإسلام على مضغ الطعام ، وجعله من مناهجه الصحّية التي يستغني بها الإنسان عن الأطباء ، وقد أكّدت البحوث الطبيّة الحديثة على أنّ عدم مضغ الطعام يعرّض الجهاز الهضمي للإصابة بكثير من الأمراض .

٢ ـ برودة الطعام

منع الإسلام من تناول الطعام الحارّ ، وأكّد على ضرورة تبريده ، فقد قال النبيّ ﷺ : « **بَرِّدِ الطَّعامَ ، فَإِنَّ الْحارَّ لَا بَرَكَةَ فيهِ** »[(١)] .

وقال ﷺ : « **بَرِّدوا طَعامَكُمْ يُبارَكْ لَكُمْ فيهِ** »[(٢)] .

وقد ذكر الأطباء أنّ تناول الطعام الحارّ يسبّب أمراض الأسنان وغيرها .

٣ ـ الأكل على الشبع

وكره الإسلام أن يأكل الإنسان وهو شبعان ، فقد حذّر منه الإمام الصادق عليه السلام وقال : « **إِنَّهُ يُوْرِثُ الْبَرَصَ** »[(٣)] .

أغذية محرّمة

حرّم الإسلام تناول بعض الأغذية لأنّها توجب انهيار الصحّة وفساد الأبدان ، وألزم بتناول الأغذية الطيّبة ؛ لأنّها تحتوي على مواد صحيحة لا ضرار فيها ، وإنّما فيها النفع واستقامة الأبدان ، وقد جاء ذلك في الآيات التالية :

---

(١) و (٢) النظام التربوي في الإسلام : ٣١٥ .

(٣) الكافي : ٦/٢٦٩ .

١ ـ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[١].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾[٢].

نبحث بإيجاز عن بعض الأضرار الفظيعة التي تترتّب على تناول هذه المحرّمات في الغذاء حسب ما نصّت عليه بعض المصادر الطبيّة وغيرها.

١ ـ الميتة

الميتة من الحيوان هي التي تفارقها الحياة من دون ذبح، وهي على قسمين:

الأوّل: ما كان موتها مستنداً لمرض، فقد ذكر الأطباء في أضرارها ما يلي:

قال بعض الأطباء:

«الحيوان الميّت ميتة طبيعيّة لا يموت إلّا لسبب، فإن كان لمرض فممّا لا شكّ فيه أنّه لا تزال في جسم الحيوان مواد غير طبيعيّة وضارّة للإنسان حتّى بعد أن يعقّم من الجراثيم بطريق النّار، فالجسم الميّت في هذه الحالة يشبه الغذاء المتخمّر الذي مهما طهر من الجراثيم بالحرارة يظلّ مضرّاً بالإنسان، وربّما أدّى الأكل منه إلى الوفاة»[٣].

وقال طبيب آخر:

«إنّ الميتة تنعدم فيها جميع خواصّها الطبّيّة للبدن، وتزول كلّ موادّها الحيويّة،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) الإسلام والطبّ الحديث: ١٧.

فإذا أكلها الإنسان عقيب موت الحيوان مباشرة أحدثت له مغصاً في المعدة ، ونزلات معويّة حادّة ، أمّا إذا مضت على موته مدّة حتّى تعفّن فقد صار سمّاً زعافاً ، وأضرّ في البدن ضرراً كاد أن لا يتدارك مثل الفالج ، وموت الفجأة ، وأحياناً بالمداومة ، وقد يحدث أحياناً العقم في النسل »(١).

ونظراً لهذه الأضرار الفظيعة فقد حرّمه الإسلام لوقاية الجسم من الإصابة بمثل هذه الأمراض.

القسم الثاني : أمّا إذا كانت الميتة تستند إلى الشيخوخة ، فإنّ ضررها كضرر الميتة بالمرض ، فإنّ الشيخوخة توجب انحلال الأنسجة بأسرها ، وهو ممّا يحدث تغييراً في لحوم الحيوان يقلّل من قيمتها الغذائيّة وقابليّتها للهضم ، وهو ممّا يؤدّي إلى الإصابة ببعض الأمراض.

٢ ـ لحم الخنزير

أمّا لحم الخنزير فهو من أشدّ ألوان التغذية إضراراً بالجسم ، فإنّه يُحدث الداء المسمّى « ترشينوز » وهو داء خطير يصحبه إسهال شديد ، وربّما يُحدث إسهالاً دمويّاً مع مغص ، وحمى قويّة وانحطاط في القوى ، وأوجاع مؤلمة في المفاصل ، وجفاف في الحنجرة وأعضاء التنفّس ، وانتفاخ في الوجه ، وخاصّة حول العينين وضعف في الجسم ، وربّما يؤدّي إلى الموت(٢).

وقد اكتشف الطبيب الانجليزي (باجت) في عام ١٨٣٥م هذا الداء الخطير عند تشريحه جثّة إنسان كان يكثر من أكل لحم الخنزير ، وبعد التجارب المتعاقبة ظهر له أنّ هذا الداء ينشأ من دودة تسمّى « تريشينلا » تعيش في أمعاء بعض الحيوانات ذوات الثدي ، كالفئران والجرذان والكلاب والخنازير غير أنّها أربى وأكثر تولّداً فيها ،

---

(١) و (٢) النظام التربوي في الإسلام : ٣١٦.

خصوصاً وهي تأكل الجيف من كلّ حيوان يموت، وفيه الطفيليّة، فإذا أكل الإنسان لحم الخنزير المصاب بها، فلا بدّ أن يدخل في جوفه قسم كبير من أكياسها الحيّة المخزونة في لحم الخنزير المصاب، وبعد مدّة وجيزة تذوب تلك الأغشية في أمعاء الإنسان فتخرج منها الديدان وتنتشر في جميع أنحاء البدن، فتسبّب الأمراض السالفة الذكر»[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ الإصابة بتلك الأعراض إنّما توجد في بلاد الغرب التي استباحت أكله، يقول (وبيني وديكسون): «إنّ الإصابة بها ـ أي بتلك الأمراض ـ تكاد تكون عامّة في فرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا، ولكنّها تكون نادرة الوجود في البلاد الشرقيّة لتحريم دين أهلها ـ وهم المسلمون ـ أكل لحم الخنزير»[٢].

وقد أدلى بعض الأطباء بأُمور خطيرة في لحم الخنزير، قال:

١ ـ إنّه ليس من الممكن أن يقرّر أنّ خنزيراً ما غير مصاب بهذه الديدان، إلّا إذا فحص تحت المجهر كلّ عضو من أجزائه، وهذا غير ممكن لنفاذ لحمه تحت الفحص.

٢ ـ إنّ الأُنثى الواحدة من هذه الديدان تضع نحو ١٥٠٠ جنين في الغشاء المخاطي المبطّن لأمعاء المصاب فتوزّع الملايين المولودة من الإناث بطريق الدورة الدمويّة إلى جميع أجزاء الجسم، فتجتمع الأجنّة في العضلات، فتسبّب آلاماً شديدة والتهابات عضليّة تسبّب انتفاخ النسيج العضلي، وتكون الأورام التي تمتدّ بطول العضلات.

٣ ـ لا يوجد علاج لهذا المرض، ولا يجدي معه دواء، إنّ لحم الخنزير يسبّب تناوله الإصابة ببعض الجراثيم العفنة التي تسبّب تسمّماً حادّاً مصحوباً بالتهابات

---

(١) القرآن والطبّ الحديث: ٧٦.

(٢) النظام التربوي في الإسلام: ٣٤٠ ـ ٣٤١.

شديدة في الجهاز الهضمي قد تسبّب الوفاة في بضع ساعات..»[١].

إنّ هذه الأضرار الفظيعة التي تترتّب على أكل لحم الخنزير تكشف عن مدى عمق التشريع الإسلامي وأصالته في تحريمه.

٣ ـ المنخنقة

ومن بين اللحوم التي حرّمها الإسلام المنخنقة، وهي التي تموت بالاختناق، فإنّه يجعل اللحم سريع التعفّن كما يتغيّر شكله، ويميل إلى السواد، وتعلوه رائحة كريهة، فلذا حرّمه الإسلام.

٤ ـ الموقوذة

وهي التي تضرب حتّى تموت، وتشارك المنخنقة في تعفّن لحمها وعدم صلاحيته للأكل.

٥ ـ المتردّية

وهي التي تسقط من مكان مرتفع فتموت، ولحمها يكون عفناً وأسوداً.

٦ ـ النطيحة

وهي التي تموت من أثر عراكها مع مثيلاتها من الحيوانات، ولا تصلح للأكل لتعفّن لحمها واسوداده.

٧ ـ ما أكل السبع

من الحيوانات التي حرّم الإسلام أكلها لحم الحيوان الذي يفترسه السبع، ولعلّ الحكمة في ذلك أنّ الحيوانات المفترسة تأكل الجيف عادة، وهي تحمل الجراثيم القاتلة، ومنها تنتقل إلى فريستها، فيتلوّث بذلك لحمها، وهو ممّا يؤدّي

---

(١) روح الدين الإسلامي: ٤٠٥.

إلى الإضرار بالصحّة .

هذه بعض اللحوم التي حرّمها الإسلام ، وهناك أنواع أُخرى كلحم الكلاب وبعض الطيور وبعض الأسماك ولحم الحيّات وغيرها .

ومن المؤكّد أنّ التحريم لها ناشئ عن حكمة للعباد ، فإنّ الله تعالى حلّل وأباح أكل جميع ألوان الطيّبات التي لا تضرّ بالصحّة .

المشروبات

أباح الإسلام بعض المشروبات واستطابها ، ونهى عن بعض آخر لما فيها من أضرار بالغة على الصحّة ، وهذه بعضها :

الماء

أمّا الماء فهو مصدر الحياة ، ولولاه لانعدمت جميع الكائنات الحيّة ، فهو النعمة الكبرى التي أفاضها الله تعالى على العباد ، ولننظر إلى ما ورد فيه من الأخبار .

أهمّيته

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **سَيِّدُ شَرابِ الْجَنَّةِ الماءُ** »[١] .

٢ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **الْماءُ سَيِّدُ الشَّرابِ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ** »[٢] .

الماء هو أفضل أنواع الشراب ، ليس في الدنيا فحسب ، وإنّما في الآخرة أيضاً .

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : « **طَعْمُ الْماءِ طَعْمُ الْحياةِ** »[٣] .

---

(١) وسائل الشيعة : ٢٥/٢٣٤ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٢٣٣ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٣٤ .

إنّ الماء طعمه طعم الحياة ، ولولاه لما كان لها أي ظلّ في الوجود .

التلذّذ بشربه

وينبغي التلذّذ بشرب الماء ، وأنّه من أهمّ متع الحياة ، وقد اُثر عن الإمام أبي الحسن عليه السلام أنّه قال : « **إنَّ شُرْبَ الْماءِ الْبارِدِ أَكْثَرُ تَلَذُّذاً** »(١) .

وقال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام : « **مَنْ تَلَذَّذَ بِالْماءِ في الدُّنْيا لَذَّذَهُ اللهُ مِنْ أَشْرِبَةِ الْجَنَّةِ** »(٢) .

الاستطابة بشربه

ويستحبّ الاستطابة بشرب الماء ، روى شخص عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام ، قال : دعا الإمام بتمر فأكل ، وأقبل يشرب عليه الماء ، فقلت له : جعلت فداك ، لو أمسكت عن الماء ؟ فقال : « **إنَّما آكُلُ التَّمْرَ لِأَسْتَطيبَ عَلَيْهِ الْماءَ** »(٣) .

كيفيّة شرب الماء

أمّا كيفيّة شرب الماء فقد تحدّث عنها الإمام الصادق عليه السلام بقوله : « **ثَلاثَةُ أَنْفاسٍ في الشُّرْبِ أَفْضَلُ مِنْ شُرْبٍ بِنَفَسٍ واحِدٍ** »(٤) .

وسأل سليمان بن خالد الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل يشرب ـ أي الماء ـ بالنفس الواحد ؟ قال : « **يُكْرَهُ ذلِكَ ، ذلِكَ شُرْبُ الْهيمِ** » فقلت : وما الهيم ؟ قال : « **الإِبِل** »(٥) .

---

(١) وسائل الشيعة : ٢٥/٢٣٥ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٢٣٥ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٣٧ .

(٤) المصدر المتقدّم : ٢٤٦ .

(٥) المصدر المتقدّم : ٢٤٦ .

وروى الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه نهى عن العبة الواحدة في الشرب، وقال: «**ثَلاثَةَ أَنْفاسٍ أَوِ اثْنَتَيْنِ**»[١].

الدعاء عند شرب الماء

روى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه إذا شرب الماء قال: «**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي سَقانا عَذْباً زَلالاً ولَمْ يَسْقِنا مِلْحاً أُجاجاً، وَلَمْ يُؤاخِذْنا بِذُنُوبِنا**»[٢].

هذه بعض الأحاديث في فضل الماء وشربه والدعاء عند تناوله.

طهارة الماء

الماء طاهر بنفسه، ومطهّر لغيره. قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً**﴾[٣]، ولا ينفعل بملاقاة النجاسة إذا كان أكثر من كرّ ما لم يتغيّر أحد أوصافه الثلاثة: اللون والطعم والرائحة، فإذا تغيّر يحكم بنجاسته وعدم جواز استعماله، وكذلك يحكم بنجاسته إذا لاقته نجاسة كقطرة بول أو دم إذا كان أقلّ من كرّ، وهو قابل للطهارة إذا اتّصل بالماء الجاري وغيره من المطهّرات التي ذكرها الفقهاء.

وعلى أيّ حال، فإنّ الماء نعمة من الله على عباده، وهو أفضل أنواع المشروبات، وقد حرّم الإسلام أنواعاً أُخر منها؛ لأنّها تضرّ بالصحّة كان منها:

الخمر

أمّا الخمر فهو من أفحش المحرّمات والموبقات في الإسلام، ولنستمع إلى الأخبار الواردة في تحريمه، وقبل التحدّث عنها نذكر النصّ القرآني في تحريمه.

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ**

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٤٦/٢٥.

(٢) المصدر المتقدّم: ٢٥٠.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٤٨.

الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾(١).

وأي مذمّة مثل هذه المذمّة للخمر أنّه رجس من عمل الشيطان ، فيجب اجتنابه ، وهذه كوكبة من الأحاديث في تحريمه :

١ ـ قال رسول الله ﷺ : « **ثَلاثَةٌ لَا يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَمُدْمِنُ سِحْرٍ ، وَقاطِعَ رَحِمٍ** »(٢).

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : « **مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعابِدِ الْوَثَنِ ، وَأَنَّ الْخَمْرَ رَأْسُ كُلِّ إِثْمٍ ، وَشارِبُها مُكَذِّبٌ بِكِتابِ اللهِ ، لَوْ صَدَّقَ كتابَ اللهِ تَعالىٰ حَرَّمَ حَرامَهُ** »(٣).

٣ ـ روى عليّ بن يقطين أنّ المهدي العبّاسي سأل الإمام موسى بن جعفر بحضوري فقال له :

« هل الخمرة محرّمة في كتاب الله تعالى ، فإنّ النّاس يعرفون النهي عنها ولا يعرفون أنّها محرّمة ؟ » .

فانبرى الإمام قائلاً :

« **هِيَ مُحَرَّمَةٌ في كِتابِ اللهِ** » .

« في أي موضعٍ هي محرّمة ؟ » .

وأخذ الإمام يدلي بتحريمها في كتاب الله العزيز قائلاً :

« **في قَوْلِ اللهِ تَعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾**(٤) ، **فَأَمّا قَوْلُهُ : ﴿ مَا ظَهَرَ ﴾ يَعْني الزِّنا الْمُعْلَن ، وَأَمّا ﴿ الإِثْمَ ﴾ فَإِنَّها الْخَمْرَة . وَقالَ اللهُ تَعالىٰ في مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ**

---

(١) سورة المائدة : الآية ٩٠.

(٢) وسائل الشيعة : ٢٤٤/١٧.

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٥٦.

(٤) سورة الأعراف : الآية ٣٣.

﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (١) ، فَأَمَّا الْإِثْم في كتابِ اللهِ فَهُوَ الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَإِثْمُهُما كَبيرٌ كما قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

والتفت المهدي فأبدى إعجابه بمقالة الإمام فقال لعليّ بن يقطين :

« هذه فتوى هاشميّة ؟ » .

وسارع ابن يقطين قائلاً :

« الحمد لله الذي لم يُخرج هذا العلم منكم أهل البيت » .

ولم يلبث المهدي أن قال لابن يقطين :

« صدقت يا رافضي »(٢) ، وكان المهدي العبّاسي مولعاً بشرب الخمر .

والأخبار متظافرة وكثيرة جّداً عن تحريم الخمر وعقوبة شاربها وبائعها .

أضراره الفظيعة

الإدمان على شرب الخمر له مضاعفاته السيّئة ، وقد حفلت كتب الطب الحديث بذكر أضراره الهائلة التي منها :

١ ـ ضرره على النسل

أثبتت البحوث الطبيّة أنّ تأثير المسكر ينتقل بالوراثة إلى النسل ، فمن يولد من أبوين مدمنين فإنّه يحمل آثار الضعف البنيوي ، ويكون عرضة للإصابة باضطرابات خطيرة تنتهي بالعته أو الشلل العامّ ، أو العقم ، وقد يؤدّي إلى موت الطفل بعد ولادته ، وزيادة على ذلك فإنّ ذرّيّة المدمنين قد تصاب بتشوّهات مؤلمة كعدم تساوي الجمجمة أو قصر القامة أو بتأخير في نموّ القوى العقليّة كضعف الذاكرة أو البله وغيرها ، وقد نصّ على ذلك كلّ من الدكتور (برجونوس) ، والدكتور

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٩.

(٢) وسائل الشيعة : ١٧/١٤٠ ـ ١٤١.

(شاوان) و(ستوكار) وغيرهم[١] .

٢ ـ ضرره على الدم والقلب

ذهب المحلّلون للخمرة إلى أنّ العنصر الفعّال فيها هو الكحول أو السبيرتو ، وهي تتسرّب إلى الدم بكلّ سهولة من غير أن تنحلّ ، وقد ينحلّ ما دخل منها إلى المعدة إلى (الدهيد) ويتوزّع بواسطته إلى جميع الأنسجة والأعضاء وقليل منه يكون حامضاً كربونيّاً وحامضاً خلّياً ، واستدلّوا على ذلك أنّك لو أخذت قدراً من دم سكران وأدنيته إلى النّار لالتهب كما يلتهب السبيرتو .

وأمّا تأثيره على القلب فإنّ نبضه يشتدّ ويسرع ، وهو مسبّب عن نشاط العضلات القلبيّة ، وبعدما تنقص تلك الحركة في القلب يصيبه الذبول والانحطاط كما يسبّب ضغط الدم على جدران الأوعية الدمويّة وينتج من ذلك نضح الجلد عرقاً .

وذكر بعض الأطباء أنّ الادمان على الخمر هو أحد العوامل الثلاثة المسبّبة لتصلّب الشرايين ، وهو مرض خطير جدّاً يسبّب عطب القلب كما يسبّب الانفجار في شرايين الدماغ ، ويحدث بذلك فالجاً أو شللاً لا دواء له .

٣ ـ خطره على الكبد والكليتين

إنّ الجسم بعدما يمتصّ من الكحول يمرّ في الكبد من طريق التيّار الدموي ، وهو ممّا يخرب الخليات الكبديّة ، كما يُحدث التهاباً فيها ، وإذا أدمن عليها فإنّ الالتهاب يُحدث تضخّماً في الكبد ، كما يحدث تشمّعاً فيه ، وقد نصّ على ذلك كلّ من الدكتور (هيل هوات) و(دوث هوات) ، وأمّا تأثيره على الكليتين فإنّه يسبّب قلّة في إدرار البول ؛ وذلك بسبب تمدّد الأوعية الدمويّة الكلوية ويخرج جانب كبير من الكحول عن طريق الكليتين فيفضي ذلك إلى التهاب خطير فيهما .

---

(١) أُسس الصحّة والحياة : ٢٨٧ .

٤ ـ تأثيره على المعدة

ذكر الأطباء أنّ الخمر متى امتزج بمحتويات المعدة ينحلّ بعضه إلى (ألدهيد) والحامض الخلّي ، ويرسب الببسين ومخلّفات البرثون والبرثاييد ، ومن أهمّ العناصر الموجبة لهضم الطعام هو الببسين ، فمتى ترسّب تعذّر هضم الطعام ، كما أنّه يهيّج غشاء المعدة المخاطي حتّى يوجب تمدّداً في الأوعية الدموية ، ويسبّب تدفّق غدد العصارة المعدية ، والإدمان عليه يتلف فاعليّة العصارة المعدية كما يسبّب الابتلاء بسوء الهضم ، فالعاكفون على شرب الخمر يشكون آلاماً موجعة من المعدة(١) .

وذهب بعض الأطباء إلى أنّ الإدمان على الخمر يسبّب الأمراض التالية :

١ ـ تضخّم الكبد ممّا يؤدّي إلى الاستسقاء .

٢ ـ التهاب الكليتين .

٣ ـ الفالج .

٤ ـ الهستريا .

٥ ـ اضطراب عصبي عامّ .

٦ ـ ضعف الرئتين يعرضهما لداء السلّ الوبيل .

٧ ـ عدم استطاعة المدمن لمقاومة الأمراض الفتّاكة كالتيفوئيد وذات السحايا ، فإنّها تقضي عليه ، ولا تجدي الأدوية الحديثة في معالجته كالبنسلين وأمثاله من المضادّات الحياتيّة .

هذه بعض الأخطار الصحيّة الناجمة من الإدمان على شرب الخمر ، ويضاف إليها الأضرار الاقتصاديّة ، فإنّ السكّير مهما كان بخيلاً لا بدّ أن ينجرف إلى التبذير

---

(١) العمل وحقوق العامل في الإسلام : ١٩ ـ ٢١ .

والإسراف ، كما أنّه لا بدّ أن ينساب في ميادين الرذائل والموبقات كالقمار والمجون ، ولا تكون عنده أيّة غيرة على عِرضه إن دخلت في ميادين الدعارة .

وسائل لمكافحته

أمّا الوسائل المكافحة لهذا الداء الوبيل الذي هو من أقوى عوامل التدمير والإبادة للصحّة والحياة ، فهي :

١ ـ تحريم السلطة له تحريماً باتّاً ، وإبادة معامله وأجهزة تقطيره ، وإنزال العقوبات الصارمة بمن يتّجر به ويرتزق منه .

٢ ـ استخدام أجهزة الإعلام من الإذاعة والتلفزيون بعرض أضراره الفظيعة .

٣ ـ قيام رجال الدين والتربية ، أو منظّمات الصحّة بمكافحته عن طريق بيان أضراره إلى المواطنين .

٤ ـ فتح النوادي الرياضيّة ، ومزاولة الشباب لأنواع الرياضة والنشاطات المفيدة .

٥ ـ منع الإعلانات والدعايات التي تحبّب استعماله والترغيب فيه هذه بعض الطرق التي يجب أن تستخدم لمكافحة هذه الآفة الفتّاكة القاضية على العقل والأخلاق .

الحياة الجنسية

نظر الإسلام بعمق وشمول إلى الرابطة الزوجيّة فأولاها المزيد من اهتمامه ؛ لأنّها الخليّة الأُولى في بناء المجتمع الإسلامي ، فرصد لها من الأحكام ما يوجب ترابطها وتماسكها وسلامتها من الإصابة بأوبئة الشذوذ الجنسي التي عجّت المستشفيات ودور الأطباء من المصابين بها ، والتي يذهب ضحيّتها الملايين من البشر في كلّ عام ، وهذا عرض لبعض ما قنّنه الإسلام من الأحكام لصيانة الإنسان من التلوّث بجرائم انحلال الرابطة الزوجيّة .

الحثّ على الزواج

حثّ الإسلام بصورة إيجابيّة على ضرورة الزواج ، وأنّه من أهمّ عناصر الحياة ، وقد تظافرت الأخبار بأهمّيته ، وهذه بعضها :

١ ـ الزواج سنّة إسلاميّة

حثّ الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام على الزواج واعتبره سنّة من سنن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، قال :

« تَزَوَّجُوا فَإِنَّ التَّزْوِيجَ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، فَإِنَّهُ كانَ يَقُولُ : مَنْ كانَ يُحِبُّ أَنْ يَتَّبِعَ سُنَّتي ، فَإِنَّ مِنْ سُنَّتي التَّزْوِيجَ ، وَاطْلُبوا الْوَلَدَ فَإِنّي مُكاثِرٌ بِكُمُ الْاُمم غداً ... » [١] .

---

(١) وسائل الشيعة : كتاب النكاح : ٢٠/١٦ .

إنّ الزواج من سنن رسول الله ﷺ، فمن زهد فيه فقد زهد في سنّة رسول الله ﷺ، وفارق شريعته.

٢ ـ الزواج حفظ للدين

والشيء المؤكّد أنّ الزواج يمنع الإنسان من التردّي في متاهات الرذائل التي تصدّه عن الدين القويم.

روى الإمام الصادق عن جدّه رسول الله ﷺ أنّه قال: «**مَنْ تَزَوَّجَ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ**»[١].

إنّ الزواج كما أنّه حفظ للدين، فكذلك حفظ لشرف الإنسان وكرامته وصيانة له من الوقوع في الرذيلة.

٣ ـ عبادة المتزوّج

اعتبر الإسلام عبادة المتزوّج أفضل من عبادة الأعزب.

روى الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه محمّد الباقر عليه السلام أنّ رجلاً جاء إليه فقال له الإمام: «**هَلْ لَكَ زَوْجَة؟**».

«لا».

«**ما أُحِبُّ أَنَّ لي الدُّنْيا وَما فيها وَإِنّي أَبيتُ لَيْلَةً وَلَيْسَ لي زَوْجَةٌ**»، وأضاف الإمام قائلاً: «**الرَّكْعَتان يُصَلِّيهُما مُتَزَوِّجٌ أَفْضَلُ مِنْ رَجُلٍ أَعْزَبٍ يَقُومُ لَيْلَهُ وَيَصُومُ نَهارَهُ**»، ثمّ أعطاه الإمام نقوداً وأمره أن يتزوّج بها[٢].

وقال عليه السلام: «**رَكْعَتانِ يُصَلّيهما الْمُتَزَوِّجُ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعينَ رَكْعَةً يُصَلّيها الأَعْزَبُ**»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب النكاح: ٢٠/١٦

(٢) المصدر المتقدّم: ١٨.

(٣) المصدر المتقدّم: ١٩.

٤ ـ العزّاب أراذل الموتى

من الدعوات الخلّاقة التي دعا إليها الإسلام في الحثّ على الزواج والمسابقة له أن جعل الأموات من العزّاب من أراذل الأموات ؛ لأنّ بعضهم لم يفكّر إلّا في شؤون الجنس أو اقتراف ما حرّمه الله . .

روى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله : « **أَراذِلُ مَوْتاكُمُ الْعُزّابُ** »[١] .

٥ ـ الزوجة الصالحة أفضل مكسب

اعتبر الإسلام أنّ من أهمّ ما يظفر به الإنسان المسلم في حياته هي الزوجة الصالحة .

ففي الحديث الشريف : « **ما أَفادَ عَبْدٌ فائِدَةً خَيْراً مِنْ زَوْجَةٍ صالِحَةٍ إِذا رَآها سَرَّتْهُ ، وَإِذا غابَ عَنْها حَفِظَتْهُ في نَفْسِهِ وَمالِهِ** »[٢] .

٦ ـ الزواج المبكّر

ندب الإسلام إلى الزواج المبكّر لصيانة النشأ من التلوّث بجرائم الشذوذ الجنسي ، وقد أكّد الإسلام على الإسراع بزواج البنات في أوائل بلوغهنّ ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **مِنْ سَعادَةِ الرَّجُلِ أَنْ لَا تَحِيضَ ابْنَتُهُ في بَيْتِهِ** »[٣] .

وخطب النبيّ صلى الله عليه وآله فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال :

« **أَيُّها النّاسُ ، إِنَّ جَبْرَئِيلَ أَتاني عَنِ اللَّطِيفِ الْخَبيرِ فقالَ : إِنَّ الأَبْكارَ بِمَنْزِلَةِ الثَّمَرِ عَلَى الشَّجَرِ ، إِذا أَدْرَكَ ثِمارُها فَلَمْ تُجْتَنَ أَفْسَدَتْهُ الشَّمْسُ وَنَثَرَتْهُ الرِّياحُ ، وَكَذلِكَ الأَبْكار**

---

(١) وسائل الشيعة ـ كتاب النكاح : ١٩/٢٠ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٢٠ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٦٤ .

إذا أَدْرَكْنَ ما تُدْرِكُ النِّساءُ فَلَيْسَ لَهُنَّ دَواءٌ إلَّا الْبُعُولَة ، وَإلَّا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِنَّ الْفَسادُ لِأَنَّهُنَّ بَشَر » .

فانبرى إليه رجل فقال له :

« يا رسول الله ، فمن نزوج ؟ » .

« **الْأَكْفاء** » .

« مَنِ الأكفاء ؟ » .

« **الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَكْفاءُ بَعْضٍ** »(١) .

وهناك طائفة أُخرى من الأخبار تحثّ على الزواج المبكّر للشباب والشابّات صيانة للجميع من الانغماس في متاهات الرذائل .

٧ ـ تقليل المهر

المهر من حقوق الزوجة على زوجها ، وهو معونة لها على حياتها الزوجيّة ، وليس ركناً في عقد الزواج ، فإذا ترك انصرف إلى مهر المثل ، وإذا ذكر في العقد صحّ أن يكون عيناً أو منفعة ، ولا حدّ لكثرته وقلّته خلافاً لبعض المذاهب الإسلاميّة التي حدّدته بأن لا يقلّ عن عشرة دراهم .

إنّ الإسلام قد حثّ على قلّة المهر وعدم المغالاة فيه ، ففي الحديث النبوي : « **أَفْضَلُ نِساءِ أُمَّتِي أَقَلُّهُنَّ مَهْراً** »(٢) ، وقد زوّج النبيّ ﷺ بضعته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها من أخيه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بمهر كان يساوي ثلاثين درهماً ، وكان أثاث البيت أوانٍ من الخزف وسرير من جريد

---

(١) وسائل الشيعة ـ كتاب النكاح : ٢٠/٦١ ـ ٦٢ .

(٢) مستدرك الوسائل : ١٤/١٦٠ .

النخل ، وقربة ، وجلد كبش يجعلان الصوف تحت جنوبهما إذا اضطجعا عليه[١] .

بهذه البساطة أقام الرسول ﷺ العلاقة الزوجيّة بين بضعته وابن عمّه ، وهما من أعزّ خلق الله عنده ، وذلك ليكون درساً لأُمّته في الزواج حتّى لا يقع الشاب والشابة في بؤرة الرذيلة .

غلاء المهور في هذا العصر

من المؤسف غلاء المهور في هذا العصر ، فقد أخذ بعض النّاس يتفاخرون بزيادة مهور بناتهم ، كأنّه ثمن لبيعهنّ ، وكلّما ازداد المهر زادت المفاخرة والمباهاة ، وقد أخذت بعض الأُسر من ذوي الثراء العريض تتباهى بشراء الأثاث الذي يكلّف أثماناً باهضة ، الأمر الذي أدّى إلى توقّف عمليّة الزواج ، وذلك لعدم قدرة الشباب على النفقات الباهضة التي لا تُطاق .

لقد أدّى غلاء المهور إلى كساد الفتيات ، ففي كثير من البيوت عدد من البنات عوانس بدون أزواج ، وكذلك الشباب .

لقد أصبحت الفتاة سلعة ، ولم تعد الفضيلة والخُلق الصالح من الصفات التي تغري الفتاة وأهلها بالشاب الفاضل ، وصار السؤال عن الشاب :

ما هي شهادته ؟

ما هو رصيده في البنك ؟

ما هي سيارته ؟

ما سعة قصره ؟

المهمّ أن يكون للزوج مال وفير أو شهادة ، أمّا أنّه عارٍ من الأخلاق أو ذئب مفترس

---

(١) حياة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام : ١٣٤ .

يأخذ وطره من الفتاة ويتركها تندب حظّها التعيس فذاك أمر لا أهمّية له.

إنّ السلف الصالح من أخيار المسلمين كانوا يبحثون عن تقوى الرجل ودينه إذا خطب إحدى بناتهم، وكانوا يرغبون في الفقراء، فقد روى المؤرّخون أن يزيد بن معاوية خطب الدرداء من أبيها، فأبى أن يزوّجها منه، وقال: أخاف أن تشغلها قصور يزيد عن ذكر الله تعالى، وزوّجها من شخص فقير، ومن الجدير بالذكر أنّ امرأة من المسلمين خطبها معاوية فاستشارت النبيّ ﷺ من زواجها به فقال لها: «**لَا تَتَزَوَّجي بِهِ، فَإِنَّهُ صُعْلُوكٌ**».

حقوق الزوج

١ ـ إطاعة الزوج

للزوج حقّ على زوجته، ومن أهمّ حقوقه أن تطيعه وتمتثل أوامره، وتنتهي عمّا ينهى عنه، فإن لم تستجب لذلك فهي آثمة وناشزة لا نفقة لها.

إنّ الزوج هو عميد الأُسرة، وأمّا المرأة فقد أعدّتها الحكمة الإلـهيّة للحمل والولادة وتربية الأطفال، وهي مهمّة شاقّة وعسيرة، أمّا شؤون الاقتصاد فمسؤول عنها الزوج، فلذا جعلت زعامة البيت له، فعليها إطاعته إلّا فيما حرّم الله تعالى؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وقد وفدت امرأة على النبيّ ﷺ فقالت له: «يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، ما للرجال من الأجر في الجهاد الذي ذكرته، فهل لنا من ذلك؟».

فقال ﷺ: «**إِنَّ طاعَةَ الزَّوْجِ وَالْإِعْتِرافَ بِحَقِّهِ يَعْدِلُ ذلِكَ، وَقَليلٌ مِنْكُنَّ مَنْ تَفْعَلُه**»[١].

---

(١) نظام الأُسرة في الإسلام: ٧٠.

وكثير من أمثال هذا الحديث تلزم الزوجة بإطاعة زوجها وموافقة إرادته.

٢ ـ القرار في البيت

من حقوق الزوج على زوجته أن تقرّ معه في مسكنه، ولا تخرج منه إلّا بإذنه حتّى تتفرّغ لتربية الأولاد، وتغذيتهم بالعادات الكريمة والصفات الحسنة، وخروجها من دون إذنه ينجم منه على الأكثر اختلال نظام الأُسرة، وإهمال تربية الأطفال.

نعم، يجوز لها الخروج بغير إذنه لأداء فريضة الحجّ، وإن منعها زوجها لأنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما أنّها إذا أرادت الخروج بإذن زوجها فليس لها أن تخرج متبرّجة ومتزيّنة وخليعة، فإنّها توجب شيوع الفساد وانتشار التحلّل في نفوس الشباب وغيرهم، وهي مسؤولة أمام الله تعالى، وفيما أعتقد أنّ الكثير من تسيّب الشباب وتحلّلهم وفساد أخلاقهم ناجم من خلاعة المرأة وعدم حشمتها.

وعلى أي حال، فإنّ الشارع المقدّس إنّما ألزم الزوجة بملازمة البيت لا للتضييق عليها وسلب حريّتها، وإنّما ألزمها بذلك لتتفرّغ لتربية أولادها، وتحافظ على كرامتها وعفّتها من الوقوع في الرذائل، ولو أنّ عقلاء الأُمّة حرصوا على ذلك لقضوا على التبرّج وصانوا أعراضهم من المفاسد.

٣ ـ التأدّب

من حقوق الزوج على زوجته أن تكون مؤدّبة أمامه، وأن لا تقابله بمرّ القول، أو تعمل عملاً يتنافى مع رغباته، فإنّها تعرّض حياتها الزوجيّة إلى الانهيار، وتجني بذلك على أبنائها.

حقوق الزوجة

قنّن الإسلام للزوجة أروع الحقوق التي تضمن سعادتها، وتعيش حياة حافلة

بالدعة والرخاء والاستقرار، ومن بين حقوقها:

١ ـ وجوب النفقة

ألزم الإسلام الزوج بالإنفاق على زوجته، فإن امتنع من ذلك فترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي ليجبره على ذلك، فإن لم يستجب لقرار الحاكم فإنّه يحجز أمواله، ويأخذ منها مقدار النفقة ويسلّمها إليها، وإن لم تراجع المحكمة الشرعيّة فإنّ ذمّة الزوج تبقى مشغولة كسائر الديون التي عليه، وقد فرّع الفقهاء على ذلك أنّه لو كان عنده مال يكفيه لحجّ بيت الله الحرام، ولكن ذمّته مشغولة بنفقة زوجته بقدر ما عنده من المال، فإنّه غير مستطيع، ويجب عليه أن يبرئ ذمّته من نفقة زوجته.

أنواع النفقة

أمّا أنواع النفقة التي يجب على الزوج أن يوفّرها لزوجته، فهي:

أ ـ المسكن

وهو من أوّليات حقوقها، ولها أن تطالب بالانفراد بالسكن منعزلاً عن أهله ضماناً لحريّتها ورغباتها.

ب ـ الطعام

وهو شامل لجميع ما تحتاجه المرأة من الغذاء من اللحم والخبز وغيرهما من الفواكه.

ج ـ الكسوة

وهي ما تحتاج إليه المرأة من اللباس في أيّام الشتاء والصيف وغيرهما.

د ـ الفراش

وهو شامل لفراش الغرفة، وما تحتاج إليه من فراش النوم وغيره ممّا يتّفق وشأنها.

هـ ـ آلة التنظيف

وهو ما تحتاجه المرأة من الأدوات لزينتها، وقد تعدّدت وتطوّرت في هذا العصر.

وذهب فقهاء الإماميّة إلى أنّ جميع هذه الأنواع يراعى حال الزوجة وملاحظة مكانتها، كما ذهبوا إلى أنّ نفقة الزوجة مقدّمة على نفقة الأقارب والأرحام، ويشترط في النفقة التي تستحقّها الزوجة أمران: **الأوّل**: أن يكون العقد دائماً، أمّا الزواج المؤقّت وهو المسمّى بالمتعة فلا نفقة لها على الزوج. **الثاني**: أنْ تمكّن الزوجة نفسها لزوجها من ناحية العمليّة الجنسيّة.

٢ ـ العدل والإحسان

من حقوق الزوجة على زوجها أن يعاملها باللطف والكرامة والعدل والإحسان. قال الله تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[١]، وحثّ النبيّ ﷺ على الإحسان للزوجة وطيب معاشرتها. قال ﷺ: « **خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي** »[٢]، ومن أظهر أنواع الإحسان إليها أن لا يخدش عاطفتها، ولا يسيئ لها ولأهلها بالقول والفعل.

٣ ـ المضاجعة

من حقوق الزوجة على زوجها مضاجعته لها ونومه معها في فراش واحد، ومن المؤكّد أنّ هذا القرب الجسدي ممّا يوجب شيوع المودّة والحبّ بينهما، أمّا حقّ المضاجعة فهو ليلة واحدة من كلّ أربع ليال حسبما يقول الفقهاء[٣].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ١٧١/٢٠.

(٣) نظام الأُسرة في الإسلام: ٦٩.

٤ ـ العمليّة الجنسيّة

من حقوق المرأة اللازمة على زوجها العمليّة الجنسيّة ، وقد حدّدها الفقهاء فقالوا : إنّ الواجب لها مرّة واحدة في خلال أربعة أشهر ، وإذا أخلّ الزوج بذلك فإنّه يكون آثماً وترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي[(١)].

كيفيّة الاستمتاع

ورافق الإسلام الإنسان حتّى في كيفيّة العمليّة الجنسيّة ، فوضع لها منهجاً خاصّاً ، فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : « **إذا جامَعَ أَحَدُكُم فَلا يَأْتِيَنَّ كَما يَأْتي الطَّيْرُ ، لِيَمْكُثْ ، وَلِيَلْبَثْ** »[(٢)].

وروى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : « **إذا أَرادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتي أَهْلَهُ فَلا يُعَجِّلْها** »[(٣)].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **إذا أَرادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتي زَوْجَتَهُ فَلا يُعَجِّلْها ، فَإِنَّ للنِّساءِ حَوائِجَ** »[(٤)].

إنّ الإسلام قد عالج جميع قضايا الإنسان ولم يترك أي شأن من شؤونه إلّا وضع له منهجاً مشرقاً يسعد به في حياته .

الشذوذ الجنسي

أمّا الشذوذ الجنسي فإنّه من أفحش المحرّمات ، ومن أعظم الآفات المدمّرة لكيان الأُسرة ، فإنّه كما يقضي على كرامة الإنسان كذلك يقضي على صحّته ،

---

(١) اللمعة الدمشقيّة ـ كتاب النكاح : ٥/١٠٤ .

(٢) وسائل الشيعة : ٢٠/١١٧ .

(٣) و (٣) المصدر المتقدّم : ١١٨ .

وقد حرّم الإسلام جميع أنواعه التي منها:

الزنى

حرّم الإسلام الزنى تحريماً باتّاً؛ وذلك لما له من المضاعفات السيّئة التي منها:

١ ـ تسرّب الخيانة إلى الأُسرة، وعدم التوادّ بين الزوج والزوجة.

٢ ـ عدم حبّ الأب لأولاده إذا اتّهم زوجته بالخيانة.

٣ ـ شيوع الكراهة بين الزوجة وزوجها.

٤ ـ امتناع الشباب من الزواج والاستغناء عن الحياة الزوجية بالزنى.

إنّ الزنى نكسة حيوانيّة تذهب بجميع معاني الإنسانيّة وتمسخ الإنسان، وتهبط به إلى مستوى سحيق، وقد جعله تعالى في مصاف الشرك وقتل النفس التي صانها الله تعالى. قال عزّ اسمه: ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً** ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾[(٢)].

إنّ الزنى من الآفات المدمّرة لكيان الأُسرة وهو من أفحش المحرّمات التي تدمّر حياة الإنسان.

أضراره الفظيعة

إنّ أعظم ما يمنى به الإنسان في اقترافه لجريمة الزنى هي الأضرار الفظيعة التي تدمّر الصحّة، ومن أفظعها ما يلي:

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان ٦٨ و ٦٩.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٢.

١ ـ الأمراض الزهريّة

من آثار جريمة الزنى الإصابة بالأمراض الزهريّة التي تصيب جميع أجهزة الجسم ، كالجهاز العصبي ، والتنفّسي واللمفاوي والهضمي والتناسلي ، والعظام ، والمفاصل ، والغدد القنوية واللّا قنوية في الجسم ، والجلد والعين والأُذن ، وهذه الأجهزة تصاب بأمراض خطرة لا يستريح المصاب منها إلّا بعد الموت ، وقد عنت كتب الطب بإسهاب في تفصيل أخطارها (١).

٢ ـ السيلان

وهو من الأمراض التي تصيب المجاري البوليّة ، كما يؤدّي إلى إصابة أبناء من يقترف هذه الجريمة بالعمى ، وقد تحدّثت كتب الطب الحديثة إلى ذكر الكثير من مضاعفاته السيّئة.

٣ ـ السفلس

وهو من أخبث الأمراض ، ويسمّى بقرد الأمراض ، وهو يصيب أي عضو من أعضاء الإنسان أو أي نسيج منه ، وفي الدور الأوّل من إصابته تتكوّن قرحة في الجسم تسمّى (لشنكر) وفي الدور الثاني يصاب الجسم ببقع حمراء ، وفي الدور الثالث تصاب إحدى الأجهزة الرئيسيّة في الإنسان ، كالدماغ ، وهو يؤدّي إلى الجنون ، وقد يصيب النخاع الشوكي فيؤثّر الشلل ، وقد يصيب القلب والأوعية الدمويّة.

ومن آثاره السيّئة أنّ المرأة الحامل إذا كانت مصابة به ، فإنّه يؤثّر على حملها ، فيصاب بتشوّهات خُلقية ، وفي بعض الأحوال تلده ميّتاً (٢).

---

(١) روح الدين الإسلامي : ٤٤٥.

(٢) أُسس الصحّة والحياة : ٢١٨ ـ ٢٢٠.

٤ ـ القرحة الرخوة

وتتكوّن من قرحة حمراء غير قابلة للشفاء، وتؤثّر على الجسم تأثيراً سيّئاً، وقد تحدّثت عنها مصادر الطب الحديث بالتفصيل.

هذه بعض الأمراض الخطيرة التي يمنى بها مرتكب الزنى، ومضافاً لها فإنّه يوجب ضياع النسل والإخلال بالشرف وهدم كيان الأُسرة(١).

عقابه الصارم

حكم الإسلام بأقصى العقوبات على مقترف جريمة الزنى، فإن كان الزاني محصناً فيرجم بالحجارة، واستقرب بعض الفقهاء الجمع بين جلده ورميه بالحجارة، ويسري هذا الحكم على المسلم والمسلمة، والكافر والكافرة.

أمّا غير المحصن، وهو الذي لا زوجة له فيجلد مائة جلدة؛ لقوله تعالى: **﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾**(٢).

إنّ هذا العقاب الصارم يقضي على الفساد ويضع السدود والحواجز أمام من تسوّل له نفسه بارتكابه.

أمّا القانون الفرنسي فإنّه اعتبر الزنى من المحصن جريمة، ولكنّ الزوجين لا يتساويان في الجزاء، فالرجل إذا زنى في بيت زوجته فيعاقب وعقوبته لا تتعدّى الغرامة، وأمّا الزوجة المحصنة إذا زنت فتعاقب بالحبس(٣).

ومن المؤكّد أنّ هذا الإجراء الهزيل لا يحسم جريمة الزنى التي تفتك بأرواح

---

(١) النظام التربوي في الإسلام: ٣٢٦.

(٢) سورة النور: الآية ٢.

(٣) القانون الجنائي الفرنسي: المواد ٣٣٧ ـ ٣٣٩.

الملايين من البشر.

اللواط

وهو من أفحش المحرّمات؛ لأنّه يعرّض الأُسرة إلى الزوال ويشيع الفساد في الأرض، ومن يمنى به فإنّه يصاب بالأمراض الزهريّة المدمّرة للصحّة والحياة، وبالإضافة لذلك فإنّه يوجب خنوثة الشباب، وانصرافهم عن الزواج.

عقابه

أمّا عقاب مقترف جريمة اللواط، فإنّها من أشدّ العقوبات، وهي:

١ ـ القتل بالسيف.

٢ ـ الإحراق بالنّار.

٣ ـ إلقاء جدار عليه.

٤ ـ إلقاؤه من شاهق.

ويقتل المفعول به إن كان بالغاً عاقلاً مختاراً، وإن كان صبياً فيعزّر فاعلاً أو مفعولاً به[١].

وهذا الحكم الصارم يستأصل هذه الجريمة ويصدّ النّاس عنها.

إباحته في بريطانيا

كانت جريمة اللواط ممنوعة في بريطانيا، ويعاقب عليها، إلّا أنّ المشرّع البريطاني أجازه بإلحاح من مجلس الأُمّة، وقد ألقت الحكومة البريطانيّة شعبها في شرّ عظيم، وفتحت لهم أبواب الرذيلة، فهذه الجريمة مدمّرة للأُسرة، فإنّ الرجل يتخلّى عن زوجته ويبحث عن شاب ليتزوّج به، وقد نشرت الصحف البريطانيّة

---

(١) الروضة: كتاب الحدود: ١٠/١٤٤.

الدعوة إلى الشباب للزواج منهم .

العادة السرية

وهي التي تسمّى بالاستمناء ، والغرض منها إشباع الغريزة الجنسيّة ، وإخراج المني ، وقد حرّمها الإسلام لأضرارها على الصحّة ، فإنّها تؤدّي إلى الإصابة بمرض الكآبة ، وهزال الجسم .. وقد ذكرنا طرق الوقاية منها في كتابنا نظام الأُسرة في الإسلام .

حرمة وطء الحائض

حرّم الإسلام وطء الحائض ، وقد جاء التحريم في كتاب الله العزيز . قال تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** ﴾[١] .

وقد أثبتت البحوث الطبّية الحديثة أنّ مقاربة المرأة في أيّام حيضها ممّا يضرّ بصحّة الزوج والزوجة ؛ لأنّ دم الحيض يحوي ميكروبات وجراثيم متنوّعة لا تلبث أن تصيب الرجل فتحدث له التهابات مضرّة ، كما أنّ المرأة في زمان حيضها تحتقن أغشيتها الداخليّة ، وفي المقاربة قد يحدث لها التمزّق وتنقل الميكروبات من الرحم إلى أمكنة أُخرى في الجسم ، ممّا يؤثّر في صحّة المرأة ، كما أنّ المقاربة في كثير من الأحيان تسبّب الاضطرابات العصبية[٢] .

إنّ تحريم الإسلام من مقاربة الحائض يعود بالمنافع المهمّة على الرجل والمرأة ، ويقيهما من الإصابة ببعض الأمراض .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٢ .

(٢) روح الدين الإسلامي : ٤١٢ .

الكلام و المشي

سلّط الإسلام الأضواء على جميع شؤون حياة الإنسان ودوافعه وميوله وسائر اتّجاهاته ، فوضع لها الحلول الحاسمة التي يسعد بها ، وينعم بها المجتمع ، وتطوى فيها جميع نزعات الشرّ وما يشقى به الإنسان من النزوات الشريرة التي تهبط به إلى مستوى سحيق .

إنّ الإسلام هبة من الله تعالى لعباده ، وفيض من رحمته عليهم ، وقد شرّع لهم من الأحكام ما يبلغون به إلى أرقى مستويات الكمال ، ويكونون ـ بحقّ ـ خلفاء لله تعالى في أرضه ، وسادة لمخلوقاته . ومن بين أعمال الإنسان التي رصد لها الإسلام أروع الأحكام هو الكلام والمشي في الإرض ، وهذا عرض لما أُثر لهما من الأحكام :

الكلام

أمّا الكلام فهو من ذاتيّات الإنسان ، وفصل من فصول حقيقته التي يتكوّن منها [1] ، وقد قرنه تعالى بنعمة خلقه للإنسان . قال تعالى : ﴿ الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ

---

(١) عرّف المنطقيّون الإنسان بالحيوان الناطق ، وجعلوا النطق فصلاً مميّزاً له عن بقيّة الحيوانات ، ولكن بعض المنطقيّين فسّروا النطق بالإدراك ، وفيما أحسب أنّ هذا التفسير لا وجه له ، فإنّ جميع الحيوانات تملك قدراً من الإدراك تعرف به مواقع الخطر فتجتنب عنه ، وتبحث بدقّة عن موارد قوتها وبقاء نسلها .

* خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾(١).

حقيقة الكلام

أمّا الكلام فهو ما يختلج في آفاق النفس من خواطر وأفكار، فيبثّها ويخرجها على لسانه، وقد قيل:

إنّ الكــلامَ لفــي الفُـؤادِ وإنَّـما جُعِلَ اللسانُ على الفُؤادِ دَليـلا

وقد جعله الله تعالى طريقاً لتفاهم الإنسان مع أخيه الإنسان، وبه يبرز ما يحتاجه من شؤون، وقد ميّزه الله تعالى به على الحيوان السائم، ومنه تكوّنت العلوم وتعدّدت لغات العالم، ولولاه لما كان لحضارة الإنسان وجود على الأرض.

وبالكلام يترتّب على الإنسان ما اقترفه وجناه، فإذا أقرّ بجناية أو دين وغير ذلك فإنّه يلزم به، وقد قيل إنّ إقرار العقلاء على أنفسهم جائز، أي نافذ... وهذه نماذج من الآداب والأحكام التي جعلها الشارع للكلام:

١ ـ الكلم الطيّب

من التعاليم الإسلاميّة الرفيعة أن يقول الإنسان المسلم الكلم الطيّب مع أهله وأرحامه وجيرانه وسائر النّاس. قال تعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾(٢).

الكلام الطيّب يصعد إلى الله تعالى، وينبغي أن يكون من مناهج التربية الإسلاميّة التي تعنى بتهذيب النفوس وآداب السلوك، وعلى كلّ إنسان مسلم أن يجتنب هجر الكلام ومرّه، وأن يقابل النّاس بالكلمات الناعمة، والألفاظ الحسنة، التي تجعله محموداً في سيرته، مرضيّاً في سلوكه، محبوباً عند الجميع.

---

(١) سورة الرحمٰن: الآيات ١ ـ ٤.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

٢ ـ القول الحسن

أمر الله تعالى نبيّه العظيم أن يربّي المسلمين على القول الحسن. قال تعالى: ﴿ وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾[٢]. إنّ القول الحسن شامل للقول مع الأهل والجار والمجتمع، وهو ممّا يشيع الأدب والفضيلة والمودّة بين النّاس.

٣ ـ كيف نتكلّم؟

وضع الإسلام لنا منهجاً في أداء الكلام مع الغير، وهو أن نغضّ من أصواتنا ولا نجهر بها. قال تعالى: ﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[٣].

وروى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحبّ أن يكون الرجل خفيف الصوت، ويكره أن يكون جهير الصوت[٤].

وكان بعض الأعراب يقف قبال بيت النبيّ صلى الله عليه وآله فيرفع صوته عالياً: يا محمّد، فنزلت الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٥].

إنّ من الآداب الإسلاميّة التي يسمو بها الإنسان أن يكون الكلام مع الغير وسطاً بين الجهر والإخفات، وهذا نمط من التربية الإسلاميّة التي تغذّي الإنسان بسموّ الأخلاق ومعالي الآداب.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٩.

(٤) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ٢/٣٣١.

(٥) سورة الحجرات: الآية ٤.

أ ـ كيف نتكلّم مع الأبوين ؟

اهتمّ الإسلام اهتماماً بالغاً برعاية الأبوين ، وتقديم المزيد من الاحتفاء والتكريم لهما ، وقد قرن طاعتهما بطاعته . قال تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** ﴾(١) . الإحسان والبرّ بالوالدين فريضة من الله تعالى على عباده ، هم مسؤولون عن أدائها يوم يلقونه .

أمّا كيفيّة التكلّم والتخاطب معهما فينبغي أن يكون بمنتهى الأدب والخضوع لهما ، وليس للولد أن يتكلّم معهما بكلمة فيها خشونة تجرح عاطفتهما . قال تعالى : ﴿ **فَلَا تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً** ﴾(٢) .

على هذا النهج الذي رسمه الله تعالى في كتابه العزيز يجب على المسلم أن يعامل أبويه ، ويقابلهما بكلّ ما يملك من طاقات البرّ والإحسان ، وأن يسخّر نفسه للعمل بما يرضي عواطفهما ، ويشيع في نفوسهما روح الرضا والقبول ، وليس له أن يتفوّه بكلمة سئم أو ضجر منهما ، حتّى بكلمة « أُفّ » ، وتتأكّد رعايتهما إذا بلغا سنّ الشيخوخة ، فعليه أن يخفض لهما جناح الذلّ ، ويدعو لهما بالمغفرة والرضوان ، وقد تواترت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى بلزوم خدمة الأبوين ، وهذه بعضها :

١ ـ روى الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له :

« يا رسول الله ، إنّي راغب في الجهاد نشيط . . . » .

فشكره النبيّ صلى الله عليه وآله وقال له :

« **جاهِدْ في سَبيلِ اللهِ ، فَإِنَّك إِنْ تُقْتَل تَكُنْ حَيّاً عِنْدَ اللهِ تُرْزَقُ ، وَإِنْ مُتَّ فَقَدْ وَقَعَ**

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء : الآيتان ٢٣ و ٢٤ .

أَجْرُكَ عَلَى اللهِ ، وَإِنْ رَجَعْتَ ، رَجَعْتَ مِنَ الذُّنُوبِ كَما وُلِدْتَ . . . »

وانبرى الرجل قائلاً :

« يا رسول الله ، إنّ لي والدين كبيرين يزعمان أنّهما يأنسان بي ، ويكرهان خروجي » .

فأمره النبيّ ﷺ بترك الجهاد والبقاء مع والديه قائلاً :

« **قُرْ مَعَ والِدَيْكَ ، فَوَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، لِأُنْسهما بِكَ يَوْماً وَلَيْلَةً خَيْرٌ مِنْ جِهادِ سَنَةٍ** »[١] .

إنّ البرّ بالأبوين أكثر ثواباً وأعظم أجراً من الجهاد في سبيل الله الذي هو باب من أبواب الجنّة ، فتحه الله لخاصّة أوليائه ـ على حدّ تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ روى زكريا بن إبراهيم ، قال : دخلت على الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام فأسلمت وكنت نصرانيّاً ، فقلت له :

« إنّي كنت نصرانيّاً فأسلمت » .

« **أَيُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ في الْإِسْلامِ ؟** » .

« قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ** ﴾[٢] » .

ورفع الإمام يديه بالدعاء له بالهداية والتوفيق ، وسأله زكريا قائلاً :

« إنّ أبي وأُمّي على النصرانيّة ، وأُمّي مكفوفة البصر ، فأكون معهم وآكل من آنيتهم ؟ » .

فقال عليه السلام : « **يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْخِنْزِير ؟** » .

---

(١) النظام التربوي في الإسلام : ٨٤.

(٢) سورة الشورى : الآية ٥٢.

« لا ، ولا يمسّونه » .

قال عليه السلام : « **لَا بَأْسَ ، فانْظُرْ إلىٰ أُمِّكَ فبرّها ، فَإذا ماتَتْ فَلا تَكِلْها إلىٰ غَيْرِكَ ، كُنْ أَنْتَ الَّذي تَقُومُ بِشأْنِها** » .

ولمّا قفل راجعاً إلى بلده أخذ يبرّ بوالدته والإحسان إليها ، فبهرت من كثرة خدماته لها ، وراحت تقول :

« يا بنيّ ما كنت تصنع مثل هذا بي وأنت على ديني ، فما الذي دعاك إلى ذلك وأنت في الحنيفيّة ـ يعني الإسلام ـ ؟ » .

فقال لها :

« رجل من ولد نبيّنا أمرني بهذا » .

قالت له : « هذا الرجل نبيّ ؟ » .

قال :

« لا ، ولكنّه ابن نبيّ » .

« يا ولدي ، إنّ هذه وصايا الأنبياء ، وأنّ دينك خير دين » .

وطلبت منه أن يعرض عليها دين الإسلام ، فعرضه عليها ، فأسلمت(١) .

لقد بُني الإسلام على الفضيلة والكمال ، وتبنّي جميع ألوان البرّ والإحسان بالوالدين .

٣ ـ وأكّد الإسلام بصورة خاصّة على خدمة الأُمّ والبرّ بها أكثر من الأب ، فقد روى الإمام الصادق عليه السلام أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له :

« يا رسول الله ، من أبرّ ؟ » .

« **أُمَّكَ** » .

---

(١) النظام التربوي في الإسلام : ٨٤ ـ ٨٥ .

« ثمّ مَن ؟ » .

« **أُمَّكَ** » .

« ثمّ مَن ؟ » .

« **أُمَّكَ** » .

« ثمّ مَن ؟ » .

« **أباكَ** »(١) .

إنّ الولد مسؤول أمام الله تعالى عن رعاية أُمّه بالخصوص ، فإنّ لها أعظم الحقوق عليه .

ما أعجز الإنسان عن أداء حقوق أُمّه ولو قدّم لها جميع ألوان المبرّات والخدمات ، وفي الحديث : أنّ رجلاً كان يحمل أُمّه فيطوف بها حول البيت الحرام ، فسأل النبيّ ﷺ : هل أدّيت حقّها ؟ فأجابه ﷺ :

« **لَا ، وَلَا زَفْرَةً واحِدَةً مِنْ زَفراتِها** » .

وقد وصف محمّد بن الوليد الفقيه عواطف الأُمّ والأب بهذه الأبيات الرقيقة :

لَو كانَ يَدري الإبنُ أيّةَ غُصّةٍ ... يَتجرّعُ الأَبَوانِ عِندَ فِراقِهِ
أُمٌّ تَهيجُ بِوَجْدِهِ حَيرانَةٌ ... وأَبٌ يَسِحُّ الدَّمْعُ مِنْ آماقِهِ
يَتَجرَّعانِ لِبَيْنِهِ غُصصَ الرَّدىٰ ... ويَبوحُ ما كَتَماهُ مِنْ أشْواقِهِ
لَرثى لِأُمٍّ سُلَّ مِنْ أَحْشائِها ... وَبَكىٰ لشَيْخٍ هامَ في آفاقِهِ
وَلَبَدَّلَ الخُلْقَ الأَبيَّ بعَطْفِهِ ... وَجزاهُما بالعَذْبِ مِنْ أَخْلاقِهِ

---

(١) أُصول الكافي : ٢/١٦١ و ١٦٢ .

ب ـ مع المعلّم والأُستاذ

ينبغي للطالب ـ في جميع مراحل دراسته ـ أن يتكلّم مع المعلّم والأُستاذ بالكلمات الطيّبة ، ويقابلهما بجميع ألوان الحفاوة والتكريم ؛ لأنّ لهما الفضل عليه في بناء شخصيّته ، وازدهار نفسه ، فلولاهما لما كان له أي كيان علمي ، وحقوقهما عليه أوفر من حقوق أبيه عليه .

قال الشافعي : كنت أصفّح الورقة بين يدي مالك ـ أُستاذه ـ صفحاً رقيقاً ، هيبة له لئلا يسمع وقعها ، وعليه أن لا يناديهما بأسمائهما ، ويصبر على ما يصدر منهما من الهفوات .

قيل لسفيان بن عيينة : أنّ قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم ، يوشك أن يذهبوا ويتركوك ، فقال : هم حمقى إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي[١] .

كما أنّ من الآداب التي ينبغي أن يرعاها التلميذ أمام أساتذته أن لا يستند إلى وسادة أو يسخر منهم ، أو يقوم ببعض الأعمال التي تحطّ من قدرهم .

أنواع الكلام

أمّا الكلام فله أنواع متعدّدة ومتباينة كأشدّ ما يكون التباين ، وهذه أمثلة ، منها :

١ ـ الصدق

وهو من أسمى صور الفضيلة والكمال ، وهو عنوان لرقي الأُمّة وأصالتها ، وفخر وشرف للفرد ، وقد دعا الله تعالى عباده للتخلّق به . قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[٢] .

---

(١) النظام التربوي في الإسلام : ١٨٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾(١).

إنّ الصدق من ضروريّات الحياة، به تردّ الحقوق، وتصان الأموال والنفوس، وهو زينة الحياة، وأشرف الفضائل النفسيّة، وقد اهتمّ به النبيّ ﷺ وأئمّة الهدى، وهذه بعض أحاديثهم:

١ ـ قال النبيّ ﷺ: «**زِيْنَةُ الْحَدِيثِ الصِّدْقُ**»(٢).

٢ ـ قال النبيّ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدي إِلَى الْجَنَّةِ، وَما زالَ الرَّجُلُ يَصْدقُ وَيَتَحَرّى الصِّدْقَ حَتّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ صِدِّيقاً**»(٣).

٣ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِلْزَمُوا الصِّدْقَ فَإِنَّهُ مَنْجاةٌ**»(٤).

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ صَدَقَ لِسانُهُ زَكىٰ عَمَلُهُ**»(٥).

إنّ الصدق من أهمّ الركائز التي تبتني عليها الحياة الإسلاميّة بجميع صورها وألوانها فالمعاملات ـ مثلاً ـ إذا لم تكن محفوفة بالصدق فإنّها تؤدّي بالضرورة إلى فقدان الثقة بين النّاس، وشلّ الحركة الاقتصاديّة، فإذا باع الشخص سلعة وأخبر أنّها سليمة ثمّ تبيّن كذبه فإنّه ممّا يوجب فقدان الترابط بين النّاس، ومن ثمّ فقد جعل الشارع الخيار في فسخ المعاملة وإرجاعها إلى صاحبها تفادياً للضرر الذي لحقه.

وعلى أي حال، فالصدق من ضروريّات الحياة الاجتماعيّة في الإسلام.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/٤٠٢.

(٣) نهج الفصاحة: ٢/٥٥٠.

(٤) الخصال: ٢/٦١٤.

(٥) الكافي: ٢/١٠٤.

أنواع الصدق

أمّا الصدق فله صور وأنواع ، وهي ممّا ترتبط بحياة النّاس وواقعهم الاجتماعي ، ومن هذه الصور:

أ ـ صدق الوعد

وهو من أسمى الصفات الكريمة التي يتحلّى بها الإنسان ، وقد مدح الله تعالى نبيّه إسماعيل لاتّصافه به . قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً ﴾ (١) .

ب ـ الأمانة

من أنواع الصدق أداء الأمانة لأهلها ، وقد اعتبرها القرآن الكريم من أسمى الصفات الرفيعة للمؤمنين . قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٢) .

ج ـ ارتباط الشؤون الاجتماعيّة

من أنواع الصدق ، ومن أبرز آثاره : ارتباط الشؤون الاجتماعيّة بـه ، والتـي تتوقّف عليه التجارات والمبايعات وسائر العقود .

ومن المؤكّد أنّه إذا فقد الصدق فجميع معاملات النّاس تصاب بالشلل الكامل :

٢ ـ الكذب

وهو مخالفة القول للواقع ، وهو من أفحش المحرّمات ، ومصدر الجرائم والموبقات ، وقد كتب الله تعالى على الكاذبين الضلالة . قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللهَ

(١) سورة مريم: الآية ٥٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٨.

لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾(٢) ، كما كتب عليهم العذاب الدائم في دار الخلود .

قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(٣) .

الكذب فسق وتجرّد من القيم الكريمة ، وقد حذّر الله تعالى من تصديق الفاسقين والكاذبين . قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾(٤) .

وقد حذّر أئمّة الهدى ومصابيح الإسلام من اقتراف رذيلة الكذب . قال الإمام محمّدالباقر عليه السلام : « **إِنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ لِلشَّرِّ أَقْفالاً ، وَجَعَلَ مَفاتيحَ تِلْكَ الْأَقْفال الشَّراب ، وَالْكِذْبُ شَرٌّ مِنَ الشَّرابِ** »(٥) .

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام لولده : « **اتَّقُوا الْكَذِبَ ، الصَّغيرُ وَالْكَبيرَ ، في كُلِّ جِدٍّ وَهَزَلٍ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذا كَذِبَ في الصَّغيرِ اجْتَرَأَ عَلَى الْكَبيرِ ، أَما عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : ما يَزالُ الْعَبْدُ يَصْدُقُ حَتّىٰ يَكْتُبَهُ اللهُ تَعالىٰ صِدّيقاً ، وَما يَزالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ حَتّىٰ يَكْتُبَهُ اللهُ تَعالىٰ كَذّاباً** »(٦) .

---

(١) سورة غافر : الآية ٢٨.

(٢) سورة الزُّمر : الآية ٣.

(٣) سورة النحل : الآيتان ١١٦ و ١١٧.

(٤) سورة الحجرات : الآية ٦.

(٥) أُصول الكافي : ٢/٣٢٥ و ٣٢٦.

(٦) المصدر المتقدّم ٣٢٥.

وقال الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «**إنَّ الْكَذِبَ هُوَ خَرابُ الإِيمانِ**»[1]، وكثير من أمثال هذه الأحاديث تنذر الكاذبين وتوعدهم بعذاب الله تعالى يوم يلقونه.

أنواع الكذب

وللكذب أنواع متعدّدة، وصور مختلفة، كان منها:

١ ـ افتعال الحديث

وهو من مساوئ الكذب، ومن أشدّها فتكاً بالإسلام، وقد تشكّلت لجان الوضع في عهد معاوية عميد الأُسرة الأمويّة وكسرى العرب، وقد عهد إليها افتعال الحديث على لسان سيّد المرسلين، وخطّط لهم أمرين وهما:

١ ـ افتعال الحديث في فضل الصحابة، وأنّهم أعظم شأناً وأسمى منزلة من أهل بيت النبوّة ومراكز الوحي وعدلاء الذكر الحكيم، وفعلاً فقد افتعلت الأحاديث الكثيرة في فضل عموم الصحابة، وأنّهم كالنجوم بأيّهم اقتديتم فقد اهتديتم، وأمثال هذا الحديث في تمجيدهم، وفي الصحابة عصابة من المنافقين والمرتدّين أمثال سمرة بن جندب، وأبي سفيان، وولده معاوية، ومروان بن الحكم، وغيرهم من الذين لا يرجون لله وقاراً، كما استهدف الوضّاعون تعظيم الخلفاء، وأنّهم أفضل الأُمّة وأعلاها شأناً، وقد عرضت هذه الأحاديث على الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام ففنّدها ودلّل على وضعها.

٢ ـ الوضع للحطّ من قيمة أهل البيت عليهم السلام، والتقليل من أهمّيتهم، كما رووا الأحاديث في قدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والحطّ من شأنه، كما رووا الأحاديث في انتقاص حامي الإسلام، ورافع راية التوحيد أبي طالب مؤمن قريش وشيخ البطحاء، وأنّه مات كافراً، ولولا جهاده ودفاعه عن الإسلام لما أبقى القرشيّون اسماً

---

(١) أُصول الكافي: ٢/٣٢٦.

للإسلام ولا ظلّاً للتوحيد .

وعلى أي حال ، فقد افتعلت المئات من الأحاديث في فضل الصحابة أجمعين اكتعين ، كما افتعلت الأحاديث الكثيرة التي أساءت إلى شخصيّة الرسول العظيم ، وتقديم بعض الصحابة عليه ، ومن المؤسف جدّاً أنّها دوّنت في الصحاح والسنن ، ونحن على يقين أنّ أرباب الصحاح والسنن لو علموا زيفها لما دوّنوها في كتبهم ، وقد استشفّ النبيّ ﷺ ما يحدث بعده من الكذب عليه ، فقال في حجّة الوداع : « **قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذّابَة وَسَتَكْثُر ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبوّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ** »[1] .

إنّ الأحاديث الموضوعة قد أساءت إلى الإسلام ، وشوّهت واقعه المشرق ، وألقت الفرقة والفتنة بين المسلمين .

٢ ـ شهادة الزور

ومن أنواع الكذب شهادة الزور ، وهي التي تؤدّي إلى ضياع الحقوق ، وإهدار الدماء ، وازهاق النفوس ، ونشر الفساد ، وقد قرنها الله تعالى بإثم الشرك به الذي هو من أقبح الآثام . قال تعالى : ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾[2] ، ووصف تعالى عباده المقرّبين بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ** ﴾[3] .

وروى المؤرّخون أنّ أوّل شهادة زور أُقيمت في الإسلام حينما أعلنت عائشة التمرّد على حكومة الإمام أمير المؤمنين وصيّ رسول الله ، وباب مدينة علمه ، فقادت الجيوش من مكّة لاحتلال البصرة ، وفي أثناء الطريق هرعت عليها الكلاب بهريرها ، فسألت عن اسم المكان ، فقيل لها : إنّه (الحوأب) ، فقالت : ردّوني ، إنّي

---

(١) الحديث مجمع على روايته ـ الكافي : ٦٢/١.

(٢) سورة الحجّ : الآية ٣٠.

(٣) سورة الفرقان : الآية ٧٢.

سمعت رسول الله ﷺ مخاطباً زوجاته : «**أَيَّتُكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْها كِلابُ الْحَوْأَبِ فَتَكُونَ ناكِبَةً عَنِ الصِّراطِ**» ، ولمّا سمع ابن الزبير مقالتها جاء بأربعين شاهداً يشهدون أنّ المكان ليس هو مكان الحوأب ، فانصاعت لشهادتهم وقادت الجيوش لحرب الإمام.

٣ ـ البهتان

من صنوف الكذب الذي حرّمه الإسلام البهتان ، ويقصد به الانتقام من إنسان في دينه وشرفه إذا تعذّر الانتقام منه في ذاته ، وقد جاء تحريمه صريحاً في كتاب الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾(١) ، وقال رسول الله ﷺ : «**مَنْ بَهَتَ مُؤْمِناً أَوْ مُؤْمِنَةً ، أَوْ قالَ فيهِ ما لَيْسَ فيهِ أَقامَهُ اللهُ تَعالىٰ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ تَلٍّ مِنْ نارٍ حَتّىٰ يَخْرُجَ مِمّا قالَهُ فيهِ**»(٢).

لقد حرّم الإسلام البهتان للحفاظ على الترابط الاجتماعي وسلامة المسلمين من البغضاء فيما بينهم.

٤ ـ خلف الوعد

من ضروب الكذب خلف الوعد ، وهو من الصفات المذمومة التي لا يتّصف به إلّا المنافق ، وقد وصف النبيّ ﷺ المنافقين بأوصاف كان منها خلف الوعد. قال ﷺ : «**لِلْمُنافِقِ ثَلاثُ عَلاماتٍ : إِذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذا ائْتُمِنَ خانَ**»(٣). إنّ مخالفة الوعد تنمّ عن نفس لا عهد لها بالمبادئ والقيم الشريفة ، ومن الجدير بالذكر أنّ معاوية بن أبي سفيان أعطى للإمام الحسن الزكيّ عليه السلام شروطاً ،

---

(١) سورة النساء : الآية ١١٢.

(٢) وسائل الشيعة : ٢٨٧/١٢.

(٣) مستدرك الوسائل : ١٣/١٤. صحيح البخاري : ١٤/١. صحيح مسلم : ٥٦/١.

وبموجبها تمّ الصلح ، إلّا أنّه صعد المنبر فقال :

« إنّي أعطيت الحسن بن عليّ شروطاً وهاهي تحت قدمي هاتين لا أفِ بشيء منها » ، وقد أعرب بذلك عن جاهليّته التي نشأ عليها .

٥ ـ النميمة

وهي من ضروب الكذب ، وتلقي النّاس في شرّ عظيم ، تشيع الكراهية والبغضاء والعداء فيما بينهم ، وقد أمرنا الله تعالى بعدم الاعتناء والاستماع لقولهم . قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾(١) .

المشاء بنميم هو الذي يخلق العداوة ويفصل المودّة بين النّاس ، وقد تواترت الأخبار بذمّ هذه الصفة الكريهة ، فقد قال النبيّ ﷺ لأصحابه :

« **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشِرارِكُمْ ؟** » .

« بلى يا رسول الله » .

« **الْمَشّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ، الْباغُونَ لِلْبُراءِ الْمَعايِبَ** »(٢) .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « **مُحَرَّمَةٌ الْجَنَّةُ عَلَى الْعَيّابينَ الْمَشّائينَ بِالنَّميمَةِ** »(٣)

ولمّا وشي بالإمام الصادق عليه السلام للمنصور طاغية بني العبّاس قال له الإمام :

« **لَا تَقْبَلْ في ذي رَحِمِكَ ، وَأَهْلِ الرِّعايَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ قَوْلَ مَنْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَ مَأْواهُ النّارَ ، فَإِنَّ النَّمّامَ شاهِدُ زُورٍ ، وَشَريكُ إِبْليسَ في الْإِغْراءِ بَيْنَ النّاسِ ، فَقَدْ قالَ تبارك وَتَعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً**

---

(١) سورة القلم : الآيتان ١٠ و ١١ .

(٢) الوافي : ٣/١٦٤ . الكافي : ٢/٣٥٣ .

(٣) الكافي : ٢/٢٧٤ .

بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[١]»[٢].

إنّ النميمة تقطع المودّة بين النّاس، وتلقي بينهم العداوة والبغضاء، كما تؤدّي إلى سلب الأموال، وسفك الدماء، وهتك الأعراض، وقد حذّر أئمّة الهدى عليهم السلام من تصديق النمّام، فقد روى محمد بن المفضّل عن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكره، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات...؟ فقال عليه السلام له:

« يا مُحَمَّد، كَذِّبْ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ عَنْ أخيكَ، فَإِنْ شَهِدَ عِنْدَكَ خَمْسونَ قُسامَةً فَقالَ لَكَ قَوْلاً فَصَدِّقْهُ وَكَذِّبْهُمْ، وَلا تُذيعَنَّ عَنْهُ شَيْئاً يُشينَهُ، وَتَهْدِمْ مروءَتَهُ، فَتَكُونَ مِنَ الَّذينَ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣]»[٤].

إنّ الإسلام يحرص كلّ الحرص على أن تسود المحبّة والوئام بين المسلمين، ولا تحدث بينهم أية ثغرة تفسد حياتهم.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض ألوان الكذب وصوره التي هي من أفحش المحرّمات في الإسلام.

٦ ـ الغيبة

ومن أنواع الكلام الذي حرّمه الله تعالى الغيبة، وهي ذكر المسلم بما يكره، وهي تؤدّي إلى هتك كرامة المسلم، وسقوطه اجتماعيّاً، وكفاها ذمّاً انّ الله تعالى شبّه

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٢) بحار الأنوار: ١٦٨/٤٧.

(٣) سورة النور: الآية ١٩.

(٤) أُصول الكافي: ٣٥٨/٢.

المغتاب بآكل لحم الميتة. قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾[1].

وتواترت الأخبار الواردة عن النبيّ ﷺ، وعن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في ذمّها والتحذير منها، وهذه بعضها:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: « **الْغيبَةُ أَسْرَعُ في دينِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ مِنَ الْآكِلَةِ في جَوْفِهِ** »[2].

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: « **الْغيبَةُ أَنْ تَقُولَ في أَخيكَ ما سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ** »[3].

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: « **لَا تَغْتَبْ فَتُغْتَبْ، وَلَا تَحْفُرْ لِأَخِيكَ حُفْرَةً فَتَقَعَ فيهاَ، فَإِنَّكَ كَما تَدينُ تُدان** »[4].

إنّ الغيبة تثير العداء والبغضاء، وتفرّق الشمل، وتشيع الكراهية بين المسلمين، إلى غير ذلك من المساوئ التي تمزّق شمل المسلمين، واستثنى الفقهاء من الغيبة المحرّمة المتجاهر بالفسق والفجور، فتجوز غيبته بالحرام المتجاهر به، كشرب الخمر دون قذفه بما لم يقترفه.

أمّا كفّارة ذنب الغيبة فيتوب إلى الله تعالى، ويطلب من المغتاب براءة ذمّته، هذا إذا كان حيّاً، وإذا كان ميّتاً فيستغفر الله تعالى له، فإنّ الاستغفار يكون تكفيراً عن اغتيابه له، وقد سئل النبيّ ﷺ عن كفّارة الاغتياب؟ فقال: « **اسْتَغْفِرِ اللهَ تعالىٰ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ كُلَّما ذَكَرْتَهُ** »[5].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٢) أُصول الكافي: ٣٤١/٢.

(٣) الكافي: ٢٦٧/٢.

(٤) بحار الأنوار: ٢٤٨/٧٢. أمالي الصدوق: ٤٢٠.

(٥) بحار الأنوار: ٢٤٩/٧٢، الكافي: ٣٥٧/٢.

٧ ـ السخرية

هي الاستهزاء بالإنسان، وإثارة الضحك عليه، والحطّ من شأنه، وقد حذّر القرآن الكريم منها، وأعلن سخطه على من يقوم بها. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِن نِسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ** ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ** ﴾[٢].

وشجب النبيّ ﷺ وأهل بيته هذه الصفة الممقوتة، وهذه أمثلة من رواياتهم:

١ ـ قال النّبيُّ ﷺ: « **يابْنَ مَسْعُود، إِنَّهُمْ لَيَعيبونَ عَلىٰ مَنْ يَقْتَدي بِسُنَّتي وَفَرائِضِ اللهِ. قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ اتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً... ﴾[٣]** »[٤].

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: « **لَا يَطْمَعَنَّ الْمُسْتَهْزِيءُ بِالنّاسِ في صِدْقِ الْمَوَدَّةِ** »[٥].

٣ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: « **مَنْ حَقَرَ مُؤْمِناً مِسْكيناً أَوْ غَيْرَ مِسْكينٍ لَمْ يَزَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حاقِراً لَهُ ماقِتاً حَتّىٰ يَرْجِعَ عَنْ مَحْقَرَتِهِ إِيّاهُ** »[٦].

وهكذا احتاط الإسلام كأشدّ ما يكون الاحتياط في كرامة الإنسان، فحرّم إهانته، والنيل من شخصيّته ليعيش محترماً مصاناً من أي اعتداء.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٢) سورة المطفّفين: الآيات ٢٩ ـ ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١١٠.

(٤) بحار الأنوار: ١٠٢/٧٧.

(٥) بحار الأنوار: ١٤٤/٧٥.

(٦) بحار الأنوار: ٥٢/٧٢. الكافي: ٢٦٢/٢.

٨ ـ اللمز والتنابز

من ضروب الكلام الذي يكرهه الإسلام اللمز والتنابز، أمّا اللمز فهو أن يذكر شخص معايب غيره بحضوره، ويطعن في شخصيّته أمامه، فإنّ ذلك مدعاة لإثارة البغضاء والعداء، وهذا يتنافى مع الاخوّة الإسلاميّة التي عقد أواصرها الرسول ﷺ.

وأمّا التنابز فهو أن يدعو شخص أخاه المسلم بلقب يكرهه، ولا فرق بين ذلك اللقب المكروه له أو لأبيه أو لأحد من أرحامه، وهو ممّا يوجب الحقد والعداوة بين النّاس، وقد نهى الله تعالى في كتابه الكريم عن كلا الخصلتين بقوله: ﴿ **وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[١].

٩ ـ اللغو

من صنوف الكلام الذي يبغضه الإسلام، ويريد للمسلم أن يتنزّه عنه هو اللغو، وهو الثرثرة والهزل في القول أو الفعل، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم مكرّراً. قال تعالى في وصف عباده المقرّبين: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾[٣].

وقال تعالى أيضاً في وصف المتّقين من عباده: ﴿ **وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً** ﴾[٤].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٥.

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ١ ـ ٣.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٧٢.

إنّ من الأسباب التي ينشدها الإسلام لعزّة المسلمين الاجتناب عن الثرثرة في الكلام الذي يثير الكراهية بينهم، كما أنّ فيه تضييعاً للوقت من غير فائدة، ومن المؤكّد أنّ هذه الخصال الذميمة من نتائج البطالة وعدم العمل، والفراغ الفكري وعدم ثقافة الشخص.

١٠ ـ البذاءة والقذف

من ضروب الكلام القبيح والمنبوذ في الإسلام البذاءة في اللسان والقذف بالألفاظ القذرة للنّاس، ولا يتعاطى ذلك إلّا السفلة الذين أغرقوا بالجهل والآثام:

أمّا البذاءة فقد استنكرها النبيّ ﷺ وأهل بيته، قال النبيّ في ذمّه:

١ ـ «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلىٰ كُلِّ فَحّاشٍ بَذِيءٍ، قَليلِ الْحَياءِ، لا يُبالي ما قالَ وَلَا ما قيلَ لَهُ**»(١).

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِنْ شَرِّ عِبادِ اللهِ مَنْ تُكْرَهُ مُجالَسَتُهُ لِفُحْشِهِ**»(٢).

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ خافَ النّاسُ لِسانَهُ فَهُوَ في النّارِ**»(٣).

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام لكوكبة من شيعته: «**مَعاشِرَ الشّيعَةِ، كُونوا لَنا زَيْناً وَلَا تَكُونوا عَلَيْنا شَيْناً، قولوا لِلنّاسِ حُسْناً، وَاحْفَظوا أَلْسِنَتَكُمْ، وَكُفّوها عَنِ الْفُضولِ وَقَبيحِ الْقَوْلِ**»(٤).

وأمّا القذف فهو الرمي بالفحش، واقتراف الحرام، فهو من المحرّمات، وقد نقل الرواة أنّه كان للإمام الصادق عليه السلام صديق يلازمه ولا يفارقه، فذهب الإمام إلى مكان

---

(١) الوافي: ٢/١٦٠. الكافي: ٢/٣٢٣.
(٢) أُصول الكافي: ٢/٣١٣.
(٣) المصدر المتقدّم: ٣١٥.
(٤) بحار الأنوار: ٦٨/٣١٠.

وهو معه ، وكان له غلام سندي يمشي خلفه ، فالتفت إليـه يـريده ، فـناداه ثـلاث مرّات ، فلم يره ، وفي المرّة الرابعة قال له بعنف : يابن الفاعلة أين كنت ؟

وغضب الإمام وقال له : « **سُبْحانَ اللهِ ! تَقْذِفُ اُمَّهُ ، قَدْ كُنْتُ أرىٰ أَنَّ لَكَ وَرَعاً ، فَإذا لَيْسَ لَكَ وَرَعٌ** » ، فقال : جعلت فداك ، إنّ اُمّه سنديّة مشركة ، فلم يقبل الإمام عذره ، وقال له : « **أما عَلِمْتَ أَنَّ لِكُلِّ اُمَّةٍ نِكاحاً ، تَنَحَّ عَنّي** » ، وفارقه ولم يعد يجالسه[١] .

أمّا المقذوف فله أن يرفع شكواه إلى الحاكم الشرعي ليجري على القاذف التعزير حسبما ذكره الفقهاء .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن أحكام الكلام وأنواعه في الإسلام ، فقد شـرّع له أروع الأحكام ، وأحاط بالآداب جميع صوره وأنواعه .

المشي

أمّا المشي فهو من مستلزمات حياة الإنسان ، فبه يسعى فـي الأرض ، ويـعمل لإعاشة نفسه وعياله ، وغير ذلك من شؤونه ، وقـد قـنّن له الإسـلام أسـمى صـور الآداب والأحكام ، والتي منها :

كيف نمشي على الأرض ؟

علّمنا الإسلام كيفيّة المشي على الأرض بأن نمشي عليها هوناً لا بكبرياء وغرور وخـيلاء . قـال تـعالى : ﴿ **وَلَا تَـمْشِ فِـي الْأَرْضِ مَـرَحاً إِنَّكَ لَـن تَـخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَـن تَـبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً** ﴾[٢] .

والمراد من الآية أنّك أيّها الإنسان لا تمش في الأرض كمشي الجبّارين متبختراً

(١) اُصول الكافي : ٣١٢/٢ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٣٧ .

متكبّراً، فإنّك لن تخرق الأرض بشدّة وطئك عليها، كما أنّك مهما شمخت بأنفك فإنّك لن تبلغ الجبال في الطول.

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾(١).

وروى الإمام الصادق عليه السلام أنّ جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله اجتاز على جماعة فقال لهم:

« **عَلىٰ ما اجْتَمَعْتُمْ ؟** ».

يا رسول، هذا مجنون يصرع فاجتمعنا عليه ».

« **لَيْسَ هذا بِمَجْنُونٍ، وَلٰكِنَّهُ الْمُبْتَلى.. ألا أُخْبِرُكُمْ بِالْمَجْنونِ حَقّاً ؟** ».

« بلى يا رسول الله ».

« **الْمُتَبَخْتِرُ في مَشْيِهِ، النّاظِرُ في عِطْفِهِ، الْمُحَرِّكُ جَنْبَيْهِ بِمَنْكِبَيْه، يَتَمَنّىٰ عَلَى اللهِ تَعالىٰ جَنَّتَهُ وَهُوَ يَعْصيهِ، الَّذي لَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَلَا يُرْجىٰ خَيْرُهُ، فَذلِكَ الْمَجْنونُ، وَهٰذَا الْمُبْتَلىٰ** »(٢).

إنّ التكبّر في المشي ينشأ من جهل الإنسان وغروره. يقول حكيم المعرّة مخاطباً للإنسان:

خَفِّفِ الوَطْءَ ما أظُنُّ ... أَديمَ الأرضِ إلّا مِنْ هذهِ الأجْسادِ

ويقول إيليا أبو ماضي:

نَسِيَ الطِّينُ ساعةً أنَّهُ ... طينٌ حَقيرٌ فَصالَ تيها وعَربَدْ

وَكَسا الخَزُّ جِسمَهُ فَتباهىٰ ... وَحَوَى المالَ كيسُهُ فَتَمرَّدْ

إنّ الإنسان المخلوق من الطين، والذي تواري الأرض جسده، فتستر جيفته،

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٨.

(٢) وسائل الشيعة: ٥/٤٤.

كيف يعمل به الزهو والجبروت والطغيان فيخرجه عن موازين الاستقامة فلا يرى أحداً يستحقّ الحياة سواه ، ومن أمثلة ذلك أنّ رجلاً موسراً جاء إلى النبيّ ﷺ وكان قد لبس ألبسة فاخرة ، فجلس إلى جانب النبيّ ﷺ ، فجاء فقير درن الثياب فجلس إلى جانب الرجل ، فعمد إلى ثيابه فضمّها إليه خوفاً من أن تتوسّخ من ثياب الفقير ، فتأثّر النبيّ ﷺ وقال له :

« **أَخِفْتَ أَنْ يَمَسَّكَ مِنْ فَقْرِهِ شَيْءٌ ؟** » .

« لا » .

« **فَخِفْتَ أَنْ يُوَسِّخَ ثِيابَكَ ؟** » .

« لا » .

« **ما حَمَلَكَ عَلىٰ ما صَنَعْتَ ؟** » .

وانبرى مجيباً بعين الحقيقة والواقع قائلاً :

« يا رسول الله ، إنّ لي قريناً ـ وهو الشيطان ـ يزيّن لي كلّ قبيح ، ويقبّح لي كلّ حسن ، وقد جعلت له نصف مالي ... » .

والتفت النبيّ ﷺ إلى الفقير فقال له :

« **أَتَقْبَل ؟** » .

« لا يا رسول الله » .

والتفت الموسر إليه قائلاً :

« لِمَ لا تقبل ؟ » .

فقال له : « أخاف أن يدخلني ـ من الزهو ـ ما دخلك » .

وجرت خصومة بين سلمان المحمّدي الفارسي وبين رجل من العرب ، فقال لسلمان محتقراً له :

« مَن أنت يا سلمان ؟ » .

فأجابه بمنطق الإيمان ».

« أما أوّلي وأوّلك فنطفة قذرة ، وأمّا آخري وآخرك فجيفة نتنة ، فإذا كان يوم القيامة ووضعت الموازين ، فمن ثقل ميزانه فهو الكريم ، ومن خفّ ميزانه فهو اللئيم »(١).

ومن أمثلة ذلك أنّ شاباً مغروراً من أبناء الأمويّين كان يمشي بزهو وجبروت ، فالتقى به واعظ فقال منكراً ذلك :

« لماذا هذا الزهو في مشيك ؟ ».

فصاح الأموي به بعنف قائلاً:

« أتعرفني من أنا ؟ ».

« نعم ، أعرفك : أوّلك نطفة قذرة ، وآخرك جيفة نتنة ، وما بينهما تحمل العذرة ».

ثمّ تركه وانصرف .. وقد رآى بعض ملوك بني أُميّة صورته في مرآة ففتن بها ، وأخذه الغرور فأمر بإحضار مغنية في قصره ، فلمّا مثلت عنده قال لها هل في الدنيا مثلي في شبابي وصحّتي وملكي ؟ فقالت له :

أنتَ نِعْمَ المَتاعُ لو كُنْتَ باقٍ ... غَيْرَ أَنْ لا بَقاءَ للإِنْسانِ

ولم تمض إلّا أيّام حتّى وارته الأرض ، فدفن زهوه وملكه .

يقول الشرقي :

فَذُو الزَّهْوِ خلّى الزَّهْو عنه وقد ثوى ... وَضَلَّتْ عَلَى الْغَبْرا سِيادةُ أَسيادِ

أنواع المشي

أمّا المشي فله أنواع متعدّدة ومختلفة ، صنف منها طاعة وصنف آخر معصية ، وهذا بيان لها :

---

(١) أمالي الصدوق : ٦١٠.

الطاعة

وهو على أقسام بعضها واجب، والبعض الآخر مندوب، وهذا تفصيلها:

أ ـ الواجب

يجب المشي والسعي لإعاشة الإنسان نفسه وإعاشة عياله، وليس له أن يجلس في داره حتّى يأتيه رزقه، فقد أمر الله تعالى بالسعي. قال تعالى: ﴿ **فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ** ﴾[1]، وكذلك يجب الفحص عن الماء لفاقده ليتوضّأ أو يغتسل به غسل الجنابة، وهذا الوجوب غيري كما يقول علماء الأُصول، قد ترشّح عليه من الأمر بالوضوء والغسل، ومن أمثلة ذلك السعي لتحصيل مقدّمات الحجّ لمن استطاع إليه، فيجب عليه تهيئتها حتّى يتمكّن من السفر إلى بيت الله الحرام.

ب ـ المندوب

أمّا المندوب من السعي فله صور متعدّدة قد ندب إليها الشارع المقدّس، منها:

١ ـ المشي إلى بيت الله الحرام

من الأعمال المندوبة التي يتقرّب بها إلى الله تعالى المشي إلى بيت الله الحرام، فقد حجّ الإمام الزكي الحسن وأخوه أبو الشهداء الإمام الحسين عليهما السلام إلى بيت الله الحرام ماشيَين على أقدامهما، وأنّ النجائب لتقاد بين أيديهما، وقد ثقل ذلك على الحجّاج الذين اعتلوا رواحلهم، فكلّموا سعد بن أبي وقّاص أن يكلّم السبطين إمّا أن يركبا على الرواحل أو يتجنّبا عن الطريق؛ لأنه ليس من الأدب في شيء أن يكونوا على رواحلهم وسبطا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشيان على أقدامهما، فكلّمهما سعد في ذلك فقالا له: «**إِنَّا نَرْغَبُ أَنْ نَمْشِيَ إِلىٰ بَيْتِ اللهِ تَعالىٰ، وَهُمْ عَلىٰ**

---

(١) سورة الملك: الآية ١٥.

رِسْلِهِم ، وَنَحْنُ نَتَجَنَّبُ الطَّرِيقَ » ، فسارا في طريق آخر .

٢ ـ المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام

ويستحبّ المشي مؤكّداً إلى زيارة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام ، وعندنا معاشر الشيعة الإماميّة أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من أفضل الطاعات ، وتفوق بكثير من الأجر والثواب الحجّ المندوب ، فقد تظافرت الأخبار بذلك عن مصابيح الإسلام الأئمّة الطاهرين عليهم السلام ، وقد نقل ابن قولويه في كتابه كامل الزيارات الأخبار الكثيرة في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام ، وأنّها من أعظم ألوان الطاعات أجراً .

فمنها :

١ ـ روى الحسين بن أبي فاختة ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **يا حُسَينُ ، مَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يُريدُ زِيارَةَ قَبْرِ الْحُسَينِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام إنْ كانَ ماشِياً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً ، وَمَحا عَنْهُ سَيِّئَةً ، حَتّىٰ إذا صارَ في الحائِرِ كَتَبَهُ اللهُ مِنَ الْمُفْلِحينَ الْمُنْجِينَ ، حَتّىٰ إذا قَضىٰ مَناسِكَهُ كَتَبَهُ اللهُ مِنَ الْفائِزينَ** »[١] .

٢ ـ روى أبو سعيد القاضي ، قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام في غريفةٍ له وعنده مرازم . فسمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول :

« **مَنْ أَتىٰ قَبْرَ الْحُسَينِ عليه السلام ماشِياً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ يَرْفَعُها وَيَضَعُها عِتْقَ رَقَبَةٍ مِنْ وُلْدِ إِسْماعيلَ** »[٢] .

وقد ألّف بعض فضلاء قم كتاباً ممتعاً أسماه فضل المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام ذكر فيه كوكبة من الأحاديث الصحيحة التي نصّت على عظيم الأجر لمن زار الإمام

---

(١) كامل الزيارات : ٢٥٣ .

(٢) كامل الزيارات : ٢٥٧ .

الحسين عليه السلام ماشياً .

٣ ـ قضاء حوائج النّاس

من الأعمال المندوبة السعي والمشي لقضاء حوائج النّاس ، فقد روى المؤرّخون أنّ الإمام الحسن عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف حول البيت الحرام ، فجاء شخص وعنده حاجة ، وطلب من الإمام عليه السلام قضاءها ، فقطع عليه السلام طوافه ، وسارع إلى قضائها ؛ لأنّها أفضل من الطواف ، وكان الإمام الصادق عليه السلام إذا كلّفه شخص سارع ماشياً إلى قضائها ، فقيل له : ما هذه السرعة في مشيك ؟ فقال عليه السلام : « **أَخافُ أَنْ يُبادِرَ شَخْصٌ إِلىٰ قَضائِها فَيَفوتَني الْأَجْرُ** » .

المشي الحرام

يحرم المشي في بعض المواضع ؛ وذلك لطروّ عنوان ثانوي محرّم عليه ، وهو حاكم على عنوانه الأوّل ، وهو الإباحة حسبما يقوله علماء الأُصول ، ومن أمثلة ذلك :

السعاية بمؤمن

من أفحش المحرّمات وأكثرها جرماً وعقوبةً عند الله تعالى السعي والمشي لهلاك مؤمن في أروقة الظالمين ، ومن المؤكّد أنّه لا يقوم بذلك إلّا من لا يملك رصيداً من الشرف والإنسانيّة ، وما أكثرهم في جميع العصور ، فقد سُعي بالإمام موسى بن جعفر عليهما السلام عند الطاغية هارون فزجّه في سجونه حتّى توفّي مسموماً ، وكذلك سُعي بالإمام الصادق عليه السلام عند الطاغية المنصور الدوانيقي .

إنّ الساعي من ألئم النّاس وأخطرهم جناية وشرّاً ، فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال :

« **شَرُّ النّاسِ الْمُثَلِّثُ ؟** » .

فقيل له : ما المثّلث ؟

قال : « **الَّذي يَسْعىٰ بِأخيهِ إلَى السُّلْطانِ فَيَهْلِكَ نَفْسَهُ ، وَيُهْلِكَ أخاهُ ، وَيُهْلِكَ السُّلْطان** »[١].

أمّا إنّه يهلك السلطان لأنه سلّطه على ظلم مؤمن بريء فجزاؤه العقاب عند الله تعالى ، وأمّا هلاك الساعي فواضح ؛ لأنه السبب في ظلم المؤمن ، وجزاؤه العقاب الصارم من الله تعالى .

إنّ مَن مشى إلى ارتكاب معصية كشرب الخمر أو غيره من الموبقات ، فإنّه يعاقب عند الله تعالى ، وكذلك من سافر لارتكاب الحرام ، فإنّ سفره يكون معصية ، وحكمه الصلاة تامّة في سفره إذا كان يصلّي .. هذه بعض الأمثلة من المشي الحرام ، والحرمة في أمثال هذه المواضع ليست نفسيّة ، وإنّما هي غيريّة والعقاب إنّما يترتّب على ذيها وهو شرب الخمر ، والمشي مقدّمة له .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٢٩/٧٢.

الأصدقاء

والجيران و الأرحام

الصداقة من الشؤون الاجتماعيّة التي لا يستغني عنها الإنسان بحال من الأحوال ، فإنّه لا يمكنه أن يعيش انطوائيّاً ، وبمعزل من النّاس ليس له خدن ولا صديق يشاركه في ميوله واتّجاهاته ، ويواسيه في آلامه ومشاكله ، فإن وجد شخص كذلك فهو مصاب بالكآبة والشذوذ ، ونظراً لأهمّية الصداقة في الترابط الاجتماعي الذي هو جزء من الحياة الإسلاميّة ، فقد أولاها الإسلام المزيد من الاهتمام ، فنظر بعمق وشمول إلى أهمّية الصداقة ، وما ينبغي أن تتوفّر في الصديق من الصفات الفاضلة كما ألقى الأضواء على غير ذلك من شؤون الصداقة ، وهذا ما نتحدّث عنه .

أهمّية الصداقة

الصداقة زينة الحياة الدنيا التي ينعم بها الإنسان في حياته ، وهي من أهمّ المكاسب التي يظفر بها ؛ لأنّها ترتبط بحياته الفكريّة والاجتماعيّة ، وقد قيل لمعاوية ابن أبي سفيان حينما صفا له الملك ، لقد ظفرت بجميع متع الدنيا ، فهل عندك رغبة في متعة اُخرى ، فقال : « نعم ، الجلوس مع الأصدقاء ، وتعاطي الحديث معهم » .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « **لَقَدْ عَظُمَتْ مَنْزِلَةُ الصَّديقِ حَتّىٰ أَنَّ أَهْلَ النّارِ يَسْتَغِيثُونَ بِهِ ، وَيَدْعُونَهُ قَبْلَ الْقَريبِ الْحَميمِ** »[1] .

---

(١) بحار الأنوار : ٧١/١٨٠ .

قال الله تعالى مخبراً عنهم: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[١].

وقيل لحكيم: أيّما أحبّ إليك أخوك أم صديقك ؟ أنا أُحبّ أخي إذا كان صديقاً لي.

مَن نصادق ؟

أرشدنا القرآن الكريم إلى مصاحبة الأخيار والمتحرّجين في دينهم. قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[٢].

أمرنا الله تعالى بهذه الآية بمصاحبة الأتقياء لنقتبس من فضائلهم وآدابهم، ونقتدي بأخلاقهم، وقال تعالى في هذا المعنى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[٣].

إنّ الصديق الصالح رائد خير، وداعية صلاح، ومرشد أمين لاكتساب الفضائل والآداب.

تأثيره النفسي

والشيء المؤكّد أنّ الصديق له الأثر البالغ في تكييف حياة صديقه فكريّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً، وقد قيل:

عَنِ المَرْءِ لا تَسألْ وسَلْ عن قَرينِهِ ... فكُلُّ قَرينٍ بالمُقارنِ مُقْتَدي

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان ١٠٠ و ١٠١.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٣) سورة النجم: الآية ٢٩.

وكان المربّون من العرب يقولون :

لَا تَرْبُط الجَرباءَ حَولَ صَحيحةٍ خَوفاً عَلى تِلكَ الصَّحيحَةِ تَجْرَبُ

إنّ الصديق يؤثّر في تفكير صديقه ،كما أنّه يتأثّر به ، وقد قيل في علم الاجتماع أنّ الحياة الاجتماعيّة حياة تأثير وتأثّر ، فكلّ إنسان يؤثّر بمن حوله ، ويتأثّر كذلك بمن حوله .

صفات كريمة

ندب الإسلام إلى مصاحبة من تتوفّر فيه الصفات الكريمة والآداب الرفيعة ، وهي :

الصادقون

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **عَلَيْكَ بِاخوانِ الصِّدْقِ فَأَكْثِرْ مِنِ اكْتِسابِهِمْ فَإِنَّهُمْ عِدَّةٌ عِنْدَ الرَّخاءِ ، وَجُنَّةٌ عِنْدَ الْبَلاءِ** »[1] .

إنّ أفضل خصلة يتّصف بها الإنسان هي الصدق في القول والعمل ، فمن اتّصف به كان قدوة حسنة لغيره .

الثقات

ندب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مصاحبة الثقات . قال عليه السلام في حديث له :

« **فَأَمّا إِخْوانُ الثِّقَةِ فَهُم الكَفُّ وَالْجَناحُ ، وَالْأَهْلُ وَالْمالُ ، فَإِذا كُنْتَ مِنْ أَخيكَ عَلىٰ حَدِّ الثِّقَةِ فَابْذِلْهُ مالَكَ وَبَدَنَكَ ، وَصافِ مَنْ صافاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَاكْتُم سِرَّهُ وَعَيْبَهُ ، وَأَظْهِر مِنْهُ الْحَسَنَ ، وَاعْلَمْ أَيُّها السّائِلُ أَنَّهُم أَقَلُّ مِنَ الْكِبْريتِ الْأَحْمر** »[2] .

---

(١) بحار الأنوار : ١٨٧/٧١ .

(٢) الوافي : ١٠٥/٣ . الكافي : ٢٤٢/٢ .

أمّا الثقات فهم زينة الرجال وخيرة المجتمع والاتّصال بهم خير ورحمة ، فهم الأدلّاء على مرضاة الله تعالى وطاعته ، ويكتسب الإنسان منهم ما ينفعه في دنياه وآخرته .

صفات ممقوتة

كره الإسلام مصاحبة رجل اتّصف بإحدى الصفات الممقوتة ، وقد جمع بعضها الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين في وصيّته لولده الإمام الباقر ، قال عليه السلام :

« **يا بُنَيَّ ، انْظُرْ خَمْسَةً فَلاَ تُصاحِبْهُم ، وَلا تُخالِطْهُم ، وَلا تُرافِقْهُم** » .

فانبرى الإمام قائلاً :

« **يا أَبَة ، مَنْ هُم ؟** » .

قال : « **إِيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الْكَذّابِ ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرابِ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعيدَ ، وَيُبَعِّدُ لَكَ الْقَريبَ .**

وَإِيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الْفاسِقِ ، فَإِنَّهُ بايِعُكَ بِأُكْلَةٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذلِكَ .

وَإِيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الْبَخيلِ ، فَإِنَّهُ يَخْذُلُكَ في مالِهِ بِأَحْوَجِ ما تَكُونُ إِلَيْهِ .

وَإِيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الْأَحْمَقِ ، فَإِنَّهُ يُريدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ .

وَإِيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الْقاطِعِ لِرَحِمِهِ ، فَإِنّي وَجَدْتُهُ مَلْعوناً في كِتابِ اللهِ تَعالىٰ في ثَلاثِ مَواضِع » ـ الخبر[1] .

وهؤلاء الأصناف لا خير فيهم ، فإنّ مصاحبتهم تجرّ الويل والندامة ، وتلحق بمن صاحبهم الأضرار التي تحدّث عنها الإمام عليه السلام .

كما أنّه ينبغي للمؤمن أن لا يصادق ولا يوادّ من عادى الله ورسوله ، ولو كان

---

(١) الوافي : ١٠٥/٣ . الكافي : ٣٧٥/٢ و ٣٧٦ .

أقرب النّاس إليه. قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ[١] وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُواخِيَنَّ كافِراً، وَلَا يُخالِطَنَّ فاجِراً، وَمَنْ آخىٰ كافِراً أَوْ خالَطَ فاجِراً كان كافِراً فاجِراً»[٣].

على المؤمن أن يبتعد عن هذه الأصناف التي لا صلة لها بالله تعالى، فإنّ مصاحبتها تجرّ الخسران المبين، وقد قال رسول الله ﷺ: «الْمَرْءُ عَلىٰ دينِ خَليلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلْ»[٤].

حدود الصداقة

تحدّث الإمام الصادق عليه السلام عن حدود الصداقة ومكوّناتها، فقال:

«لا تَكُونُ الصَّداقَةُ إِلَّا بِحدُودِها، فَمَنْ كانَتْ فيهِ هٰذِهِ الْحُدودُ أَوْ شَيْءٍ مِنْها فَانْسِبْهُ إِلَى الصَّداقَةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ شَيْءٌ مِنْها فَلا تَنْسِبْهُ إِلىٰ شَيْءٍ مِنَ الصَّداقَةِ.

فَأَوَّلُها: أَنْ تَكونَ سَريرَتُهُ وَعَلانِيَتُهُ لَكَ واحِدَةً.

الثّانِيَةُ: أَنْ يَرىٰ زَيْنَكَ زَيْنَهُ، وَشَيْنَكَ شَيْنَهُ.

الثّالِثَةُ: أَنْ لا تُغَيِّرْهُ عَلَيْكَ وِلايَةٌ وَلا مالٌ.

الرّابِعَةُ: أَنْ لا يَمْنَعْكَ شَيْئاً تَنالُهُ مَقْدِرَتُهُ.

الخامِسَةُ: وَهِيَ تَجْمَعُ هٰذِهِ الْخِصالَ أَنْ لا يُسْلِمْكَ عِنْدَ النَّكَباتِ»[٥].

---

(١) حادّ الله تعالى: عاداه.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٣) صفات الشيعة / الصدوق: ٦.

(٤) بحار الأنوار ـ كتاب العِشرة: ١٩٢/٧١.

(٥) الوافي: ١٠٤/٣. الكافي: ٦٣٩/٢.

وهذه الحدود إنّما هي من صفات الشريف الوفي الذي أُترعت نفسه بالشرف والكمال.

حقوق الصداقة

للصداقة حقوق ينبغي رعايتها، وقد ألمّ بالكثير منها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لولده الزكيّ الإمام الحسن عليه السلام، قال:

«احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ[١] عَلَىٰ الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَىٰ اللَّطَفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَىٰ الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَىٰ الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَىٰ اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَىٰ الْعُذْرِ، حَتَّىٰ كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ».

وأضاف يقول: **«لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً».**

ومن فقراتها:

«وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوْماً مَّا. وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَىٰ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ»[٢].

أرأيتم هذه النصائح الذهبيّة التي أدلى بها رائد الحضارة في الإسلام، فقد سجّل فيها أروع حقوق الصديق.

وقال عليه السلام أيضاً في تحديد الصديق: **«لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّىٰ يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ: فِي نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ»[٣].**

---

(١) الصرم: القطيعة.

(٢) نهج البلاغة: وصيّته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: ٤٠٣.

(٣) وسائل الشيعة: ١٢/٢٦.

هذا هو المقياس بين الصديق الوفي وبين الصديق المزيّف.

نصيحة للأصدقاء

ينبغي للصديق أن لا يدلي بجميع أسراره إلى صديقه لأنه لا يؤمن أن تتغيّر القلوب والعواطف، ويلقي بينهما الشيطان العداوة والبغضاء فيفضح صاحبه ويشهّر به إن كان قد اقترف عملاً سيّئاً فقد أوصى الإمام الصادق عليه‌السلام بعض أصحابه قائلاً:

«لا تُطْلِعْ صَديقَكَ مِنْ سِرِّكَ إلّا ما لَوِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ عَدُوُّكَ لَمْ يَضُرَّكَ، فَإِنَّ الصَّديقَ قَدْ يَكُونُ عَدُوَّكَ يَوْماً مّا»(١).

ويذكر الإمام زين العابدين عليه‌السلام حقّ الصاحب ونصيحته ضمن رسالة الحقوق. يقول عليه‌السلام: **«وَأَمّا حَقُّ الصّاحِبِ فَأَنْ تَصْحَبَهُ بِالْفَضْلِ ما وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبيلاً، وَإِلَّا فَلا أَقَلَّ مِنَ الْإِنْصافِ، وَأَنْ تُكْرِمَهُ كما يُكْرِمُكَ، وَتَحْفَظَهُ كَما يَحْفَظُكَ، وَلَا يَسْبِقْكَ فيما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلىٰ مَكْرَمَةٍ، فَإِنْ سَبَقَكَ كافَأْتَهُ، وَلَا تُقَصِّرْ بِهِ عَمّا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَوَدَّةِ. تُلْزِمُ نَفْسَكَ نَصيحَتَهُ وَحِياطَتَهُ وَمُعاضَدَتَهُ عَلىٰ طاعَةِ رَبِّه ومَعونَتِهِ عَلىٰ نَفْسِهِ فيما لا يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِ رَحْمَةً، وَلَا تَكُونُ عَلَيْهِ عَذاباً وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**(٢).

الجوار

عالج الإسلام بدقّة وحكمة جميع شؤون الإنسان، ولم يترك أي جانب من جوانب حياته إلّا رصد له أروع الأحكام التي تحسم مشاكله، وتهيّئ له حياة آمنة مستقرّة، تسودها المحبّة والوئام، ومن بين القضايا الحسّاسة التي ينعم بها الإنسان أو يشقى هي الجوار، فإنّ الجار إن كان مؤمناً وشريفاً، فإنّ جاره ينعم بجواره،

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤٦/١٢.

(٢) رسالة الحقوق: ٧٨/٢.

وإن كان شقيّاً وشاذّاً في سلوكه ، فإنّه يجرّ الويل والعطب لجاره ، ويكون مصدر وبال وعذاب عليه لا يستريح إلّا بفراقه .

إنّ صلاح الجوار يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتماسك المجتمع الذي هو من أهمّ الأهداف الأصيلة التي ينشدها الإسلام ، وهذا عرض لبعضها :

في رحاب القرآن

أوصى القرآن الكريم برعاية الجار والإحسان إليه . قال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾[١] .

لقد أوصى الله تعالى بالجار ذي القربى ، وهو الجار القريب داراً ، كما أوصى بالجار الجنب ، وهو البعيد جواراً أو نسباً ، وقد قرن الإحسان إليه بعبادة الله تعالى وبالبرّ بالوالدين وبالإحسان لليتامى والمساكين وابن السبيل ، وهو المسافر .

في ظِلال السُّنّة

وتظافرت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة الهداة من أهل بيته عليهم السلام بالإحسان إلى الجار ، وهذه طائفة من الأحاديث :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **حُسْنُ الجِوارِ يُعَمِّرُ الدّيارَ وَيُنْسِيءُ في الْأَعْمارِ** »[٢] .

٢ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **ما آمَنَ بي مَنْ باتَ شَبْعاناً وَجارُهُ جائِعٌ ، وَما مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يَبيتُ فيهِمْ جائِعٌ فَيَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ** »[٣] .

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٦.

(٢) الوافي: ٩٦/٣. الكافي: ٦٦٧/٢.

(٣) الوافي: ٩٦/٣. وسائل الشيعة: ١٢٩/١٢ .

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: «**ما زالَ جِبْريلُ يُوصيني بالْجارِ حَتّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(١).

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ يَعْقُوبَ عليه السلام لَمّا ذَهَبَ مِنْهُ بِنْيامينُ نادىٰ: يا رَبِّ، أما تَرْحَمُني؟ أَذْهَبْتَ عَيْنَيَّ، وَأَذْهَبْتَ ابْنَيَّ؟ فَأَوْحَى اللهُ تَبارَكَ وَتعالىٰ إِلَيْهِ: لَوْ أَمَتُّهُما لَأَحْيَيْتُهُما لَكَ حَتّىٰ أَجْمَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُما، وَلٰكِنْ تَذْكُرُ الشّاةَ الَّتي ذَبَحْتَها وَشَوَيْتَها وَأَكَلْتَ وَفُلانٌ وَفُلانٌ إِلىٰ جانِبِكَ صائِمٌ لَمْ تُنِلْهُ مِنْها شَيْئاً**»(٢).

أرأيتم مدى اهتمام النبيّ ﷺ وأهل بيته بالجار، ولزوم البرّ به والإحسان إليه.

تحديد الجوار

أمّا تحديد الجوار فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله ﷺ تحديده بأربعين داراً من اليمين والشمال والخلف والأمام(٣).

جار الإمام الصادق عليه السلام

كان جار للإمام الصادق عليه السلام بالمدينة فأدركته حاجة فاضطرّ إلى بيعها وسامها بمبلغ من النقود يساوي قيمتها مرّتين، فقيل له في ذلك أنّها تساوي نصف المبلغ، فقال: الجوار يساوي النصف الثاني؛ لأنّه ليس له نظير في الأرض، وبلغ ذلك الإمام عليه السلام فأوصله بما يحتاج إليه وأبقاه على جواره.

دعاء الإمام لجيرانه

ومن سموّ أخلاق الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام دعاؤه لجيرانه. قال عليه السلام:

---

(١) الوافي: ٩٦/٣. شرح نهج البلاغة: ٨/١٧.

(٢) الوافي: ٩٧/٣. الكافي: ٦٦٧/٢.

(٣) الوافي: ٩٧/٣.

«اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَتَوَلَّني في جِيراني وَمَوالِيَّ الْعارِفينَ بِحَقِّنا ، وَالْمُنابِذينَ لأَعْدائِنا بِأَفْضَلِ وَلايَتِك ، وَوَفِّقْهُمْ لإِقامَةِ سُنَّتِك ، وَالْأَخْذِ بِمَحاسِنِ أَدَبِك في إِرْفاقِ ضَعيفِهِمْ ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ ، وَعِيادَةِ مَريضِهِمْ ، وَهِدايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ ، وَمُناصَحَةِ مُسْتَشيرِهِمْ ، وَتَعَهُّدِ قادِمِهِمْ ، وَكِتْمانِ أَسْرارِهِمْ ، وَسَتْرِ عَوْراتِهِمْ ، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ ، وَحُسْنِ مُواساتِهِمْ بِالْماعُونِ ، وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ وَالْإِفْضالِ ، وَإِعْطاءِ ما يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤالِ.

واجْعَلْنِي اللّٰهُمَّ أَجْزي بِالْإِحْسانِ مُسيئَهُمْ ، وَأُعْرِضُ بِالتَّجاوُزِ عَنْ ظالِمِهِمْ ، وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ في كافَّتِهِمْ ، وَأَتَوَلّىٰ بِالْبِرِّ عامَّتَهُمْ وَأَغُضُّ بَصَري عَنْهُمْ عِفَّةً ، وَأُلينُ جانِبي لَهُمْ تَواضُعاً ، وَأَرِقُّ عَلىٰ أَهْلِ الْبَلاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً ، وَأُسِرُّ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً ، وَأُحِبُّ بَقاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً ، وَأُوجِبُ لَهُمْ ما أُوجِبُ لِحامَّتي ، وَأَرْعىٰ لَهُمْ ما أَرْعىٰ لِخاصَّتي.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَارْزُقْني مِثْلَ ذٰلِك مِنْهُمْ ، وَاجْعَلْ لي أَوْفَى الْحُظُوظِ فِيما عِنْدَهُمْ ، وَزِدْهُمْ بَصيرَةً في حَقّي وَمَعْرِفَةً بِفَضْلي ، حَتّىٰ يَسْعَدُوا بِي وَأَسْعَدَ بِهِمْ ، آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ»[١].

أرأيتم هذه الروح الملائكيّة التي هي من نفحات جدّه الرسول ﷺ.

أرأيتم سموّ هذه الآداب.

أرأيتم معالي هذه الأخلاق.

إنّ هذا الإمام الملهم العظيم من معاجز العترة الطاهرة ، ومن ذخائر الإسلام ، وإنّه

---

(١) الصحيفة السجّاديّة: ١٣١.

من سادات العترة الطاهرة ، عدلاء الذكر الحكيم ، ومصابيح الإسلام .

قصّة غريبة

قرأت في بعض كتب الأخلاق أنّ شخصاً كان حاقداً على جاره ويتمنّى زوال نعمته ووقوعه في الهلكة ، فاشترى عبداً وأغدق عليه بالنعم والإحسان ، وطلب منه أن يذبحه على سطح دار جاره ليبتلي بدمه ، وفعلاً تسلّق إلى سطح جاره وشرع العبد في ذبحه ، فسمع جاره ذلك فبادر إلى سطح الدار ، فرأى العبد جاثماً على جاره يذبحه ، فألقى عليه القبض وسلّمه إلى السلطة ، فأقرّ العبد بما عهد إليه سيّده ، فعفت عنه ، وذهب دمه هدراً ، وهكذا يؤدّي الحمق والجهل إلى مثل هذه الأفعال المنكرة .

انعدام روابط الجوار في الغرب

يعيش المجتمع الغربي حياة قد محيت فيها روابط الأُسرة والجوار ، فلا علاقة ولا مودّة ولا صلة للجار مع جاره ، وكذلك لا ربط للأب مع أبنائه ، فإذا بلغوا سنّ الثامنة عشرة انفصلوا ، ذكوراً وإناثاً ، عن آبائهم وأُمّهاتهم ، ويرتع الكثيرون منهم في ميادين اللهو والدعارة ، أمّا الآباء والأُمّهات إذا بلغوا سنّ الشيخوخة فإنّهم يتّخذون الكلاب أخداناً لهم ، وإذا وافتهم المنيّة تقوم البلدية بمواراة أجسادهم ، فهل هذا التسيّب من الحضارة الذي تتمشدق به وسائل إعلامهم .

إنّ الحضارة التي ينعم بها الانسان إنّما هي في ظلّ الإسلام لا في ظلّ دول الغرب التي تهالكت على غزو الشعوب الضعيفة وسلب قدراتها الاقتصاديّة .

الأرحام

من المؤكّد أنّ تضامن المسلمين ، وشيوع المحبّة فيما بين أُسرهم هي النواة الأُولى في الوحدة الشاملة لجميع المسلمين التي هي من الأهداف الأصيلة التي

ينشدها الإسلام كتاباً وسنّة ، فقد أكّد بصورة جازمة على ضرورة التلاحم بين أُولي الأرحام ، ونزع ما في صدورهم من غلّ ، وضمن لهم أرباحاً مهمّة كان منها زيادة العمر ، وتنمية الرزق ، وهما من أهمّ ما يصبو إليه الإنسان .

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض إلى ما ورد في كتاب الله تعالى والسُّنّة المقدّسة من الحثّ على صلة الأرحام ، والتحذير من قطيعتها .

في رحاب القرآن

حذّر القرآن الكريم من قطيعة الرحم ، واعتبره جرماً كبيراً ، وإثماً ماحقاً . قال تعالى : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾ (١) .

لقد قرن الله تعالى قطيعة الرحم بالفساد في الأرض الذي هو من الموبقات والجرائم التي تستحقّ أقصى العقوبات .

وقال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ (٢) . وكذلك : ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ (٣) .

لقد أمر الله تعالى بصلة الأرحام ، فمن قطعها فهو كمن نقض عهد الله بعد ميثاقه ، وكمن سعى في الأرض فساداً ، ومصيرهم جميعاً الخسران .

في ظلال السُّنّة

أمّا السُّنّة ، وهي الأخبار التي أُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، فقد أكّدت

---

(١) سورة محمّد صلى الله عليه وآله : الآية ٢٢.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧.

(٣) سورة الرعد : الآية ٢٥.

على ضرورة صلة الأرحام، وهي على طائفتين:

الطائفة الأُولى: وقد ذكرت الأجر الجزيل والثواب العظيم في الدنيا والآخرة لمن وصل رحمه، وهذه بعضها:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «**أُوصي الشّاهِدَ مِنْ أُمَّتي وَالْغائِبَ مِنْهُمْ، وَمَنْ في أَصْلابِ الرِّجالِ وَأَرْحامِ النِّساءِ إلىٰ يَوْمِ الْقيامَةِ أَنْ يَصِلَ الرَّحِمَ، وَإِنْ كانَ مِنْهُ عَلىٰ مَسيرَةِ سَنَةٍ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنَ الدِّينِ**»[(١)].

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ ضَمِنَ لي واحِدَةً ضَمِنْتُ لَهُ أَرْبَعَةً: يَصِلُ رَحِمَهُ، فَيُحِبَّهُ اللهُ تَعالىٰ، وَيُوَسِّعَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَيُزيدَ في عُمْرِهِ، وَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ الَّتي وَعَدَهُ**»[(٢)].

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمُدَّ اللهُ تَعالىٰ في عُمْرِهِ، وَأَنْ يَبْسُطَ في رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، فَإِنَّ الرَّحِمَ لَها لِسانٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ ذَلِقٌ، تَقُولُ: يا رَبِّ، صِلْ مَنْ وَصَلَني، وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَني**»[(٣)].

٤ ـ أتى رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو رحمه قائلاً: أهل بيتي أبوا إلّا توثّباً عليَّ، وقطيعةً لي، وشتيمةً، فارفضهم؟ فقال ﷺ: «**إذاً يَرْفُضُكُمُ اللهُ جَميعاً**».

فانبرى الرجل قائلاً: «كيف أصنع؟».

فأجابه النبيّ ﷺ:

«**تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّكَ إِذا فَعَلْتَ ذلِكَ كانَ لَكَ مِنَ اللهِ تَعالىٰ عَلَيْهِمْ ظَهيراً**»[(٤)].

---

(١) الوافي: ٩٣/٣. الكافي: ١٥١/٢.

(٢) الوافي: ٩٤/٣. بحار الأنوار: ٦٨/٧١.

(٣) الكافي: ١٢٥/٢.

(٤) بحار الأنوار: ٦٦/٧١.

لقد أوصاه النبيّ ﷺ بروح الإسلام التي شعارها الإحسان والبرّ، ومقابلة المسيئ باللطف، فإنّ بعض الأرحام يأخذه الحسد لمن نبغ من أرحامه فيقابله بالإساءة. يقول بعض الشعراء في أرحامه:

هاموا بِإذْلالي وَهِمْتُ بِعِزّها ... فَأنا بِوادٍ والعَذولُ بِوادِ

وقال شاعر آخر في أرحامه:

وَإنَّ الّذي بَيْني وبَينَ بَني أبي ... وبَينَ بَني عَمّي لَمُختلِفٌ جِدّا
فَإنْ أكلوا لَحمي وفَرتُ لُحومَهُم ... وإنْ هَدَموا مَجْدي بَنَيتُ لَهم مَجْدا
وإنْ ضَيّعوا غَيْبي حَفِظتُ غُيوبَهُم ... وإنْ هُم هَووا عنّي هَويتُ لَهُم رُشْدا
لهُم جُلّ مالي إنْ تَتابعَ لي غِنىً ... وَإنْ قَلَّ مالي لَمْ أكلّفهُم رِفْدا

وهذا هو النبل والشرف والإنسانيّة التي هي موضع فخر واعتزاز لا له فحسب وإنّما لأُسرته وأُمّته.

ومن المؤكّد أنّ ظلم القريب أشدّ مضاضة على النفس من ظلم البعيد.

يقول المتنبّي:

وظُلْم ذَوي القُربىٰ أَشَدُّ مَضاضَةً ... عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ

٥ ـ قال الإمام أبو جعفر عليه‌السلام: «**صِلَةُ الْأَرْحامِ تُزَكِّي الْأَعْمالَ، وَتُنْمي الْأَمْوالَ، وَتَدْفَعُ الْبَلْوىٰ، وَتُيَسِّرُ الْحِسابَ، وَتُنْسِئُ في الْأَجَلِ**»(١).

٦ ـ قال الإمام الصادق عليه‌السلام: «**ما نَعْلَمُ شَيْئاً يَزيدُ في الْعُمُرِ إلَّا صِلَةَ الرَّحِمِ، حَتّىٰ أَنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ أَجَلُهُ ثَلاثَ سِنينَ فَيَكُونُ وَصولاً لِلرَّحِمِ فَيَزيدُ اللهُ في عُمُرِهِ ثَلاثينَ سَنَةً، فَيَجْعَلُها ثَلاثاً وَثَلاثينَ سَنَةً، وَيَكُونُ أَجَلُهُ ثَلاثاً وَثَلاثينَ سَنَةً فَيَكُونُ قاطِعاً لِلرَّحِمِ**

(١) أُصول الكافي: ٢/ ١٥٠.

فَيَنْقُصُهُ اللهُ ثَلاثينَ سَنَةً ، وَيَجْعَلُ أَجَلَهُ ثَلاثَ سِنين »(١) .

٧ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : « **صِلْ رَحِمَكَ وَلَوْ بِشَرْبَةٍ مِنْ ماءٍ ، وَأَفْضَلُ ما تُوصَلُ بِهِ الرَّحِمُ كَفُّ الْأَذىٰ عَنْها ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ مَنْساةٌ في الْأَجَلِ ، مَحْبَبَةٌ في الْأَهْلِ** »(٢) .

٨ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : « **إِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَالْبِرَّ لَيُهَوِّنانِ الْحِسابَ ، وَيَعْصِمانِ مِنَ الذُّنُوبِ ، فَصِلُوا أَرْحامَكُمْ ، وَبِرُّوا بِإِخْوانِكُمْ ، وَلَوْ بِحُسْنِ السَّلامِ وَرَدِّ الْجَوابِ** »(٣) .

وكثير من أمثال هذه الأحاديث الشريفة ، وهي تحثّ المسلمين إلى المبادرة لصلة أرحامهم ؛ وذلك لما لها من الأثر في سعة الرزق ، وزيادة العمر ، ورضا الله تعالى .

الطائفة الثانية من الأخبار : وهي تحذّر المسلمين من قطيعة الرحم ، وتذكر ما يترتّب عليها من العقاب والأضرار ، وهذه بعضها :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **أَرْبَعَةٌ أَسْرَعُ شَيْءٍ عُقُوبَةً : رَجُلٌ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ فَكافَأَكَ بِالْإِحْسانِ إساءَةً ، وَرَجُلٌ لَا تَبْغي عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْغي عَلَيْكَ ، وَرَجُلٌ عاهَدْتَهُ عَلىٰ أَمْرٍ فَوَفَيْتَ لَهُ ، وَغَدَرَ بِكَ ، وَرَجُلٌ وَصَلَ قَرابَتَهُ فَقَطَعُوهُ** »(٤) .

٢ ـ روى الإمام أبو جعفر عليه السلام ، قال في كتاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **ثَلاثُ خِصالٍ لَا يَمُوتُ صاحِبُهُنَّ أَبَداً حَتّىٰ يَرىٰ وَبالَهُنَّ : الْبَغْيُ ، وَقَطيعَةُ الرَّحِمِ ، وَالْيَمينُ الْكاذِبَةُ يُبارِزُ اللهَ تَعالىٰ بِها** »(٥) .

وإنّ أعجل الطاعات ثواباً لصلة الرحم ، وأنّ القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون

---

(١) أُصول الكافي : ١٥٢/٢ و ١٥٣ .

(٢) أُصول الكافي : ١٥١/٢ .

(٣) أُصول الكافي : ١٥٧/٢ .

(٤) الخصال : ٢٣٠/١ .

(٥) الكافي : ٣٤٧/٢ .

فتنموا أموالهم ويثرون ، وأنّ اليمين الكاذبة ، وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها ، وتثقل الرحم ، وأنّ ثقل الرحم انقطاع النسل .

٣ ـ شكا رجل أرحامه إلى الإمام الصادق عليه السلام ، فقال له : إنّ اخوتي وبني عمّي قد ضيّقوا عليَّ الدار ، والجأوني منها إلى بيت ، ولو تكلّمت أخذت ما في أيديهم .

فأمره الإمام عليه السلام بالصبر وقال له :

« **اِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ سَيَجْعَلُ لَكَ فَرَجاً** » .

وانصرف الرجل ووقع وباء فمات أهله جميعاً ، ولم يبق منهم أحد ، وأقبل إلى الإمام عليه السلام فقال له :

« **ما حالُ أَهْلِ بَيْتِكَ ؟** » .

« ماتوا والله كلّهم ولم يبق منهم أحد » .

فانبرى الإمام فأجابه بأنّ هلاكهم كان مستنداً لقطيعة رحمهم له .

« **هُوَ بِما صَنَعُوا بِكَ وَبِعُقوقِهِم إِيَّاكَ ، وَبِقَطْعِ رَحِمِهِم بُتِروا** »(١) .

٤ ـ روى شعيب العقرقوفي ، وهو من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، قال : دخل يعقوب المغزلي على الإمام موسى عليه السلام فبادره الإمام قائلاً :

« **يا يَعْقوبُ ، قَدِمْتَ أَمْسِ وَوَقَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ نِزاعٌ حَتّىٰ شَتَمَ بَعْضُكُم بَعْضاً ، وَلَيْسَ هٰذا ديني ، وَلا دينُ آبائي ، وَلا نَأْمُرُ بِهٰذا أَحَداً مِنَ النّاسِ ، فَاتَّقِ اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، أَما إِنَّكُما سَتَفْتَرِقانِ بِمَوْتٍ ، أَما أَنَّ أَخاكَ يَموتُ في سَفَرِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلىٰ أَهْلِهِ ، وَسَتَنْدَمُ أَنْتَ عَلىٰ ما كانَ مِنْكَ .. وَذٰلِكَ أَنَّكُما تَقاطَعْتُما فَبَتَرَ اللهُ أَعْمارَكُما** » .

والتفت يعقوب إلى الإمام عليه السلام فقال له :

« جعلت فداك ، متى يكون أجلي ؟ » .

---

(١) سفينة البحار : ٥١٦/١ . الكافي : ٣٤٦/٢ .

«**أما إنَّ أجَلَكَ قَدْ حَضَرَ حَتّىٰ وَصَلْتَ عَمَّتَكَ بِما وَصَلْتَها بِهِ، فَزيدَ في أجَلِكَ عِشْرُونَ عاماً**»، قال شعيب: أخبرني يعقوب أنّ أخاه توفّي قبل أن يصل إلى أهله، كما أخبر الإمام عليه السلام، ودفن في الطريق[1].

إنّ قطيعة الرحم لها مضاعفاتها السيّئة، ومن مساوئها أنّها تقصف الأعمار، وتعاجل الإنسان بالفناء، مضافاً إلى ما اقترفه من الإثم، وهو قطعه لما أمر الله تعالى بأن يوصل فلم يستجب القاطع لرحمه لذلك.

وعلى أي حال، فإنّ قطيعة الرحم تدع الديار بلاقع وتوجب سخط الله تعالى.

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ٢/٢٦٤ و ٢٦٥.

بناء الشخصية
على المثل الإسلامية

((أضواء على التربية الإسلامية))

تبنّى الإسلام في دعوته الخلّاقة جميع الصفات الكريمة والمُثُل العليا التي يسمو بها الإنسان وترفعه إلى أرقى مدارج الكمال ، فقد عنت بتهذيب الضمير ، وإصلاح النفس ، ونكران الذات ، وإشاعة الفضيلة ، وإسداء الخدمة والنفع للنّاس ، فخير النّاس من نفع النّاس ، كما في الحديث .

إنّ الطاقات النديّة الخلّاقة التي فجّرها الرسول ﷺ ورفع شعارها قد خلقت اُمّة كريمة رفعت رسالة الله تعالى ، وأبلت في سبيله بلاءً حسناً ، ونوّرت العقول ، وأنارت الطريق ، وهدت الاُمم والشعوب ، وبنت لها حضارة قائمة على العدل الخالص والحقّ المحض ، وكان شعارها أحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك ، واكره لغيرك ما تكره لنفسك ، كما كان شعارها الأمن والرخاء لجميع النّاس .

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض نماذجاً من المُثل الإسلاميّة التي أحبّ الإسلام أن يتحلّى بها المسلمون ، وتكون من عناصرهم ومقوّماتهم ، وهي :

نكران الذات

والشيء البارز في المثل الإسلاميّة نكران الذات ، وتبنّي المصلحة العامّة ، وكان ذلك من صفات النبيّ ﷺ وجزءً من حياته .

فقد روى المؤرّخون أنّ شخصاً جاء النبيّ ﷺ فأخذته الرعدة من هيبة النبيّ ﷺ ، فنهره وقال له :

«وَيْلَكَ ، إِنَّما أَنا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيْدَ[(١)]»[(٢)].

أرأيتم هذا التواضع وعدم الاعتناء بمظاهر الحياة ، وكان من أخلاق أئمّة الهدى : ذلك ، وقد أكّدوا على ضرورته في كثير من أحاديثهم ، منها :

«أَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَه لِغَيْرِكَ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ» .

على هذا الخطّ الرسالي المشرق أراد الإسلام أن يكون منهجاً للمسلمين في حياتهم .

الوعي الاجتماعي

من مظاهر التربية الإسلاميّة نشر الوعي الاجتماعي والديني بين المسلمين ، ففي الحديث المشهور والمتواتر : «كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» .

إنّه ليس من الإسلام في شيء أن لا يهتمّ المسلم بالشؤون العامّة في اُمّته ووطنه ، وإنّما عليه أن ينظر بعمق إلى مجريات الأحداث والشؤون السياسيّة الوافدة وغيرها التي تتّفق مع مصلحة المسلمين فيتبنّاها ، والمجافية لهم فيشجبها بكلّ قواه .

ومن صور الوعي الاجتماعي التبصّر بالاُمور والأحداث التي تنقلها وكالات الأنباء والصور الفضائيّة التي لا تتحرّى الواقع فيما تنشره وتبثّه من أنباء وأحداث ، وإنّما الغرض منها خدمة المصالح الاستعماريّة وغيرها ، وقد أمرنا القرآن الكريم بالتثبّت وعدم الاسراع في تصديق الأنباء . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[(٣)] .

إنّ التبصّر في الاُمور من معالم التربية الإسلاميّة الرشيدة التي ينبغي للمسلم أن

---

(١) **القديد** : هو اللحم اليابس .

(٢) تاريخ بغداد : ٢٢/٦ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ٦ .

يتربّى عليها، وتكون له منهجاً في سلوكه.

إنّ الإسلام حرّم التعويل على الظنّ والأخذ به. قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً** ﴾(١)، وندّد بالذين يعملون بالظنّ. قال تعالى: ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ** ﴾(٢).

إنّ الظنّ الذي لا يستند إلى الدليل يؤدّي ـ على الأكثر ـ بصاحبه إلى الوهم الباطل، وقد اعتمد عليه الدهريّون الذين أنكروا الله تعالى، وأنكروا البعث والنشور، فقالوا: ﴿ **مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا الَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِن عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾(٣).

ولم ينجرف الدهريّون إلى هذه العقائد السخيفة إلّا لتعويلهم على الظنّ الذي لا يغني من الحقّ شيئاً.

التربية النفسيّة

من مناهج التربية الإسلاميّة تربية النفس، والسيطرة على نزعاتها الشريرة التي تؤدّي إلى شقاء الإنسان وهلاكه. قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾(٥).

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٦.

(٢) سورة النجم: الآية ٢٣.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

(٤) سورة النازعات: الآيتان ٤٠ و ٤١.

(٥) سورة الشمس: الآيات ٧ ـ ١٠.

إنّ الإنسان فيه نفحة من روح الله تعالى تبعثه إلى الخير وضبط النفس عمّا نهى الله تعالى عنه ، وفيه نزعات قويّة وحادّة من نزعات الشيطان لا ضبط لها ولا حصر تدفعه إلى عالم من الشهوات التي تصدّه عن الطريق القويم ، وتلقيه في متاهات سحيقة من مآثم الحياة .

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض الفلاسفة في ايران خطب في جماعة من أهل العلم ، فقال : ليس بيني وبين الله تعالى إلّا مسافة قدمين : قدم أضعها على النفس وقدم أضعها على الشيطان ، فانبرى إليه فيلسوف فقال له : طوّلت المسافة ، ليس بيننا وبين الله تعالى إلّا مسافة قدم واحد نضعها على النفس ، فإذا سيطرنا على النفس فقد هرب الشيطان .

إنّ الإسلام لاحظ بدقّة نشاطات الغرائز الشريرة ، فحدّد فعاليّاتها ، ودفع القوى الخيّرة للسيطرة على النفس ، وذلك بما أعدّه الله تعالى من النعيم الدائم للمتّقين ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ** ﴾(٢) .

أرأيتم هذا الوصف الرائع لنعيم الجنّة الذي يدفع الإنسان دفعاً إلى الاستقامة وعدم الاستجابة إلى دوافع الهوى والغرور .

ووصف تعالى ذلك النعيم الخالد بقوله : ﴿ **عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِن مَعِينٍ ***

(١) سورة المطفّفين : الآيات ٢٢ ـ ٢٤ .

(٢) سورة الغاشية : الآيات ٨ ـ ١٦ .

لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾(٢).

إنّ هذا الجزاء العظيم يحرّر النفس من أفانين الشذوذ والانحراف، ويمدّها بطاقات كبيرة من النور.

ووصف تعالى العذاب المفزع الذي ينصبّ على من يتّبع قيادة هواه ويعرض عن ذكر الله تعالى، بقوله: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِن حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِن غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾(٣).

أرأيتم هذا الجزاء المفزع للذين صدّوا عن ذكر الله واتّبعوا أهواءهم وظلموا النّاس.

وقال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ أَذْلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ

---

(١) سورة الواقعة: الآيات ١٥ ـ ٢٤.

(٢) سورة الكهف: الآيتان ١٠٧ و ١٠٨.

(٣) سورة الحجّ: الآيات ١٩ ـ ٢٢.

(٤) سورة الحاقّة: الآيات ٣٠ ـ ٣٧.

مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾[١].

إنّ هذا الجزاء الذي أعدّه الله تعالى للظالمين يرعب النفس ويملأها ذعراً وخوفاً، ومن الطبيعي أنّ ذلك يقيم الحواجز عن معاصي الله تعالى ويصدّ النفس عن ارتكاب الآثام.

إنّه ليس هناك شيء أملك لقيادة النفس ولا أكثر سيطرة عليها من عالم الخوف الذي يملك زمام النفس، ويكبح من نزواتها[٢].

تنمية الإرادة

وشيء بالغ الأهمّية في التربية الإسلاميّة، وهو أنّها تسعى لتنمية الإرادة وقوّتها في نفس الإنسان المسلم. ومن المؤكّد أنّ قوّة الإرادة لها الأثر الفعّال في بناء الشخصيّة القويّة التي لا تنحرف مع التيّارات المضلّلة، ولا تتصدّع أمام زوابع الفتن والأحداث.

إنّ الإسلام يمنح الإنسان المسلم طاقات من العزم والإرادة، ويجعله بمنجاة من عوامل الضعف والفزع والخوف.

لقد كان الرسول الأعظم ﷺ المثل الأعلى لقوّة العزم والتصميم، فقد وقف وحده صامداً أمام التيّارات الجاهليّة بقيادة الجاهلي أبي سفيان والد معاوية وجدّ يزيد، فلم يحفل بها، ومضى مجاهداً ومعه عمّه حامي الإسلام ومؤمن قريش بطل الدعوة الإسلاميّة أبو طالب، وابنه القائد الأعلى في الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ضاقت الأمور بأبي طالب، فقد أحاطت به زعماء قريش

(١) سورة الصافّات: الآيات ٦٢ ـ ٦٨.

(٢) النظام التربوي في الإسلام: ٢٢٠.

يهدّدونه ويتوعّدونه إن لم ينته ابن أخيه عن دعوته ، فعرض ذلك عليه ، فأجابه بهذه الكلمات التي سارت مع الفلك وارتسمت فيه لتكون نبراساً للمصلحين قائلاً :

« يا عَمّ ، وَاللهِ لَوْ وَضَعوا الشَّمْسَ بِيَميني وَالْقَمَرَ بِيَساري عَلىٰ أَنْ أَتْرُكَ هٰذَا الْأَمْرَ ما تَرَكْتُهُ حَتّىٰ أَمُوتَ دُونَهُ ، أَوْ يُظْهِرَهُ اللهُ تَعالىٰ » .

بهذه الإرادة الصلبة والعزم الجبّار تغلّب على جميع الأحداث ، فطوى معالم الجاهليّة ، وحطّم أصنامها ، ورفع كلمة الله تعالى في الأرض ، وبنى حياة جديدة للإنسان قائمة على الوعي والصلابة في الحقّ .

وطعّم النبيّ ﷺ أصحابه بهذه الإرادة ، فكانوا على قلّتهم كالجبال ، فهزموا قوى الشرك ، وأقاموا الدولة الإسلاميّة العظمى التي تبنّت حقوق المظلومين والمضطهدين في الأرض ، وتمثّلت هذه الإرادة النبويّة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي حصد رؤوس المشركين بسيفه ، وأذلّ القوى المعادية للإسلام ، وقهر اليهود وأذلّهم ، وهو القائل :

« لَوْ تَظَافَرَتْ الْعَرَبُ علىٰ قِتالي لَما فَرِرْتُ مِنْها » .

إنّ هذه الإرادة الجبّارة التي هي نفحة من روح الله تعالى قد تمثّلت بأروع صورها عند سبط الرسول ﷺ أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، فقد وقف صامداً على صعيد كربلاء وهو يسجّل البطولات الرائعة ، بطولات جدّه وأبيه ، فخاطب عصابات الشرك والضلال قائلاً :

« فَإِنّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً ، وَالْحَياةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَماً . . . » .

وترجّل إلى ساحات الشرف ومعه النخبة الممجّدة من أهل بيته وأصحابه ، وقابلوا تلك الجيوش ببسالة لم يعرف العالم لها نظيراً في جميع عمليات الحروب ، حتّى استشهدوا جميعاً .

وقد تسلّحت بالصبر وقوّة الإرادة عقيلة بني هاشم زينب الكبرى حفيدة

الرسول ﷺ ، فلم يرَ في الدنيا نظيراً لها في بطولتها وقوّة عزمها ، فقد خاطبت يزيد وهو في بهو أروقة حكمه قائلةً له :

« **إِنّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ ، وَأَسْتَعْظِمُ تَوْبيخَكَ ، وَأَسْتَكْثِرُ تَقْريعَكَ** » .

أرأيتم هذه الاستهانة والتحقير لهذا الطاغية المتجبّر الذي استهان بجميع القيم الإنسانيّة ، إنّها حفيدة الرسول ﷺ التي غيّرت مجرى التأريخ بخطبها البليغة في أروقة الحكم الأموي ، وعلى الجماهير الحاشدة في الكوفة ، وقد ألبست الأمويّين ثياب العار والخزي ، وأخرجتهم من حظيرة الإسلام .

وعلى أي حال ، فإنّ قيمة الإنسان إنّما هي بقوّة إرادته وصلابة عزيمته ، فإذا تجرّد عنها فليس بشيء .

يقول ديكارت : « ليس في الإنسان ما هو لاصق بشخصيّته أكثر من الإرادة .. إنّ قوّة الإرادة لها الأثر التامّ في تكوين الشخص وفي خلوده ، وإنّ الشخص الضعيف الإرادة يستحيل أن يحقّق لنفسه ومجتمعه أي هدف من أهدافه » .

التسلّح بالصبر

من مناهج التربية الإسلاميّة التسلّح بالصبر ، وهو يدعو إلى تماسك الشخصيّة وتوازنها ، وعدم انهيارها أمام محن الأيّام وخطوبها ، وقد حثّ الإسلام على التحلّي به ، وورد التأكيد عليه في الكتاب والسُّنّة .

في رحاب القرآن

ووردت آيات في كتاب الله العظيم تحثّ على الصبر منها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[١] .

---

(١) سورة الزُّمر : الآية ١٠.

وحكت الآية أنّ الأجر الجزيل يمنحه الله تعالى للصابرين بغير حساب .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[(١)] .

وأي مكسب يظفر به الإنسان أعظم وأسمى من حبّ الله تعالى له ، فإنّ من يحبّه يدخله الجنّة ويغفر ما اقترفه من ذنوب .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُو يَعْمَلُونَ ﴾[(٢)] .

إنّ الله تعالى يمنح الصابرين أجراً ومثوبة بأحسن ما كانوا يعملون من الحسنات .

٤ ـ قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾[(٣)] .

إنّ الصبر نفحة من نفحات الله تعالى يعتصم به المؤمن فيتّقي به المكاره والمصاعب ، ولولاه لانهارت قواه وأصبح عاجزاً عن السير في معترك الحياة .

ولأهمّيته البالغة فقد ذكره القرآن الكريم في سبعين آية ، ولم يذكر فضيلة أُخرى بهذا العدد .

في ظلال السُّنّة

وحثّ الأئمّة العظام على التمسّك بالصبر ، وقد أُثرت عنهم أحاديث كثيرة فيه ، منها :

١ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام : « **الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكارِهِ وَالصَّبْرِ ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكارِهِ في الدُّنْيا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذاتِ وَالشَّهَواتِ ، فَمَنْ أَعْطىٰ نَفْسَهُ لَذَّتَها وَشَهْوَتَها دَخَلَ النّارَ** »[(٤)] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٦ .

(٢) سورة النحل : الآية ٩٦ .

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) الكافي : ٢/٨٩ .

٢ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه‌السلام : « **الصَّبْرُ مِنَ الْإيمانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإذا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ ، كَذلِكَ إذا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإيمانُ** »(١).

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه‌السلام : « **لَمّا حَضَرَتْ أبي الْوَفاةُ ضَمَّني إلىٰ صَدْرِهِ وَقالَ : يا بُنَيَّ ، اصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ وَإنْ كانَ مُرّاً تُوَفَّ أجْرَكَ بِغَيْرِ حِسابٍ** »(٢).

٤ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام : « **مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أهْلَكَهُ الْجَزَعُ** »(٣).

وكثير من أمثال هذه الأحاديث عن أهل بيت النبوّة ، وهي تحثّ المسلمين على التمسّك بالصبر ، فإنّه تسلية لنفوس الذين يعانون من محن الأيّام وخطوبها ، فالصبر بلسم لها .

أنواع الصبر

الصبر على أنواع ذكرها علماء الأخلاق ، وهي :

١ ـ **الصبر على نوائب الزمن وحوادث الأيّام** ، وقد حرّضت الآية الكريمة على الاعتصام به .

قال تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾(٤).

٢ ـ **الصبر على طاعة الله تعالى** ، وهو من أفضل أنواع الصبر .

قال الإمام الصادق عليه‌السلام : « **اصْبِروا عَلىٰ طاعَةِ اللهِ وَتَصَبَّرُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، فَإنَّما الدُّنْيا ساعَة ، فَما مَضىٰ فَلَسْتَ تَجِد لَهُ سُروراً وَلَا حَزْناً ، وَما لَمْ يَأْتِ فَلَسْتَ تَعْرِفه ، فاصْبِرْ**

---

(١) الكافي : ٢/٨٧.

(٢) الوافي: ٣/٦٥. وسائل الشيعة: ١٥/٢٣٨.

(٣) شرح نهج البلاغة : ١٨/٤١٥.

(٤) سورة البقرة : الآيتان ١٥٥ ـ ١٥٧.

عَلىٰ تِلْكَ السّاعَةِ»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ يَقُومُ عُنُقٌ مِنَ النّاسِ فَيَأْتُونَ بابَ الْجَنَّةِ فَيَضْرِبُونَهُ، فَيُقالُ لَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الصَّبْرِ، فَيُقالُ لَهُمْ: عَلىٰ ما صَبَرْتُمْ؟ فَيَقولونَ: كُنّا نَصْبِرُ عَلىٰ طاعَةِ اللهِ تَعالىٰ، وَنَصْبِرُ عَنْ مَعاصي اللهِ تَعالىٰ، فَيَقولُ اللهُ تَعالىٰ: صَدَقوا أَدْخِلوهُمُ الْجَنَّةَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[٢]»[٣].

٣ ـ **الصبر في مواطن الخوف**، وهو في ميدان الحرب، والصبر على وقاية النفس والعِرض والمال.

هذه بعض أنواع الصبر، وذكرت كتب الأخلاق صوراً أُخر له.

إنّ الصبر بمفهومه الواسع الذي تبنّاه الإسلام من أبرز الفضائل النفسيّة، وأكثرها عائدة على الإنسان بالنفع، وقد قيل: إنّ أعزّ الشعوب، وأرفعها شأناً، وأعزّها سلطاناً هو الشعب الذي عرف بالصبر والثبات في مواطن الأخطار، والصمود أمام الزوابع.

وليس من الصبر في شيء الاستسلام للمكروه والتقاعد عن دفعه بالوسائل المشروعة.

كما أنّه ليس من الصبر الخلود إلى الراحة، وانتظار أسباب الرزق، فإنّه منافٍ لما أمر به الإسلام من السعي في الأرض لطلب الرزق. قال تعالى: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ**﴾[٤]، فإنّ الواجب السعي لتحصيل العيش، ولا تجوز البطالة بحال

---

(١) الكافي: ٢/٤٥٩.

(٢) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٣) الكافي: ٢/٧٥.

(٤) سورة الملك: الآية ١٥.

من الأحوال ، فإنّها من ضروب الجهل وخمول الفكر ، ومن أبواب الموبقات والرذائل[١].

الشجاعة

من العناصر المهمّة في تكوين شخصيّة الإنسان هي الشجاعة ، فهي تحمل صاحبها على ضبط النفس حينما تتلبّد الأجواء بالأحداث الجسام ، وعدم انهيارها عند مداهمة الخطوب والكوارث .

إنّ الإسلام أوْلى اهتمامه البالغ بغرس هذه الظاهرة الفذّة في نفوس المسلمين ، وأكّد على رعايتها في جميع مجالاتها التربويّة والنفسيّة ، وقد برز إلى ساحات البطولات وميادين التضحية كوكبة من أعلام الإسلام ، فتسابقوا إلى اعتناق السيوف والرماح حتّى استطاعوا على قلّتهم أن يهزموا قوى الشرك والإلحاد ، ويقيموا دولة الإسلام ، وفي طليعة هؤلاء الأفذاذ الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فهو من أشجع النّاس قلباً ، وأثبتهم جناناً ، وأربطهم جأشاً ، وهو صاحب المواقف المشهودة والمقامات المشهورة كيوم بدر والأحزاب وأُحد وخيبر وغيرها ، ولم يحجم في تلك المواقف ، وإنّما مضى قدماً ومجاهداً في سبيل الله تعالى ، وهو القائل :

« لَا تَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً وَلَوْ أَسْلَمَنِي النَّاسُ جَميعاً لَمْ أَكُنْ مُتَضَرِّعاً » .

وقد استوعبت مواقفه البطوليّة جميع لغات الأرض ، فكان فيما أجمع عليه المؤرّخون من ألمع صور الشجاعة والبطولات في العالم بأسره .

وارتقى من بعده في هذا الميدان المشرق ولده الإمام الحسين أبو الأحرار ، وقائد الحركات التحرّريّة في الإسلام ، فكان نسخة لا ثاني لها في البطولات في العالم بعد

---

(١) النظام التربوي في الإسلام : ٢٣٧.

أبيه ، فقد استقبل السيوف والرماح في صعيد كربلاء بثغر باسم غير حافل بشهادة الكوكبة من أصحابه وأهل بيته . . لقد وقف أبي الضيم كالطود الشامخ وهو يلقي على الدنيا أروع الدروس من الكرامة والإباء ونكران الذات ، وقد خاطب العصابات المجرمة من جيوش بني اُميّة قائلاً :

« **وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدي إِعْطاءَ الذَّلِيلِ ، وَلَا أُقِرُّ لَكُمْ إِقْرارَ الْعَبِيدِ** ، . . .

أَلَا وَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً ، وَالْحَياةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَماً . . . » .

وقد تحامت جيوش الشرك من الاجهاز عليه خوفاً منه ، وهو صريع على الأرض . يقول السيّد حيدر :

فَما أَجْلَتِ الحَرْبُ عَنْ مِثْلِهِ   صَرِيعاً يُجَبِّنُ شُجْعانَها

وبقي صامداً لم يجزع أمام تلك الكوارث المذهلة التي تزعزع من هولها الجبال ، وقد سجّل بمواقفه العظيمة أعظم الانتصارات للإسلام ، وبقي صورة مشرقة في سماء العالم تنير الطريق لجميع الشعوب المكافحة عن حرّيّتها واستقلالها .

الشجاعة الأدبيّة

ونعني بها الجهر بالحقّ بشجاعة وبسالة ونكران للذات ، وهذا ما يريده الإسلام للمسلم أن يكون قائلاً بالحقّ غير هيّاب ولا خائف ولا وجل ، وقد جاء في الحديث :

« **قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ كانَ مُرّاً** » .

وفي حديث آخر :

« **لَا تَخَفْ في الْحَديثِ لَوْمَةَ لَائِمٍ** » .

وفي حديث للإمام أمير المؤمنين مع ولده الإمام الحسن عليهما‌السلام :

« **وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُما كَانَ** » .

ومن وصيّته لأُمراء جيشه:

« **وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ** ».

وقال النبيّ ﷺ: « **إذا رَأَيْتَ أُمَّتي تَهابُ الظّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: إِنَّكَ ظالِمٌ، فَقَدْ تَوَدَّعَ مِنْها** ».

ومن أبرز الصحابة الذين كانوا يملكون الشجاعة الأدبيّة الصحابي العظيم أبوذرّ الغفاري، فقد اندفع بوحي من عقيدته الإسلاميّة أن يجهر بالحقّ في أحلك الظروف السياسيّة وأشدّها عنفاً، فقد قاوم السلطة الأمويّة بزعامة عثمان بن عفّان الذي حوّل البلاد الإسلاميّة إلى مزرعة للأمويّين وعملاء سلطته، فصاح أبو ذرّ في وجهه وطالبه بالاعتدال في سياسته، فلم يعن عثمان بذلك.

إنّ صيحة أبي ذرّ كانت صيحة رجل يقظ وعى الإسلام، ووقف على أهدافه وواقعه، فأنكر على عثمان سياسته التي تدعو إلى التلاعب بمقدّرات الدولة ونهب ثروات الأُمّة، ومنحها للوجوه والأعيان في حين أنّ المجاعة قد عمّت جميع أنحاء البلاد.

يقول السيّد قطب: « إنّ صيحة أبي ذرّ كانت دفعة من دفعات الروح الإسلامي أنكرها الذين فسدت قلوبهم، ولا يزال ينكرها أمثالهم من مطايا الاستغلال في هذه الأيّام.

لقد كانت هذه الصيحة يقظة ضمير لم تخدّره الأطماع، أمّا تضخّم فاحش في الثروات يفرّق الجماعة الإسلاميّة طبقات، ويحطّم الأُسس التي جاء هذا الدين ليقيمها »(١).

لقد انطلق أبو ذرّ بكلّ بسالة وشجاعة إلى شجب سياسة شيخ الأمويّين وعميدهم، ويبدي سخطه البالغ على تصرّفاته التي شذّت عن كتاب الله تعالى وسنّة

---

(١) العدالة الاجتماعية: ٢١١.

نبيّه ، فنفاه عثمان إلى الربذة ليس فيها أي مورد للعيش ، فمات جوعاً وفي يد عثمان ذهب الأرض يصرفه بسخاء على بني أُميّة وآل أبي معيط ، ويحرمه على هذا الصحابي العظيم الذي وهب حياته لله تعالى ، وهو كما قال النبيّ ﷺ فيه : « **إنَّهُ شَبيهُ الْمَسيحِ عيسى بْنِ مَرْيَم في هَدْيهِ وَسَمْتِهِ** » .

وعلى أي حال ، فإنّ الجرأة الأدبيّه وشجب السياسة القاتمة التي لا تعنى بالحقّ كانت السمت البارز لقادة الشيعة ، فقد اندفعوا بحماس بالغ إلى شجب السياسة الأمويّة ، فهذا حجر بن عديّ الزعيم الشيعي قد ثار في وجه الأمويّين وعملائهم ، وأعلن كلمة الحقّ ، وقد اعتقله الطاغية معاوية ابن هند ، ثمّ أعدمه في مرج عذراء ، وهذا عبدالله بن عفيف الأزدي صاحب الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ثار في وجه الطاغية المجرم عبيدالله بن زياد حينما خطب في جامع الكوفة بعد قتله لسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه‌السلام ، فقد فتح خطابه بقوله :

« الْحَمْدُ لِلهِ الَّذي أَظْهَرَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ وَنَصَرَ أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْياعَهُ ، وَقَتَلَ الْكَذَّابَ ـ يعني الإمام الحسين عليه‌السلام ـ ابْنَ الْكَذّابِ ! » .

ولم يزد على هذه الكلمات حتّى ردّ عليه بهذه الكلمات التي كانت كالصاعقة على رأس الطاغية قائلاً بأعلى صوته :

« إنَّ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذّابِ أَنْتَ وَأَبُوكَ ، وَمَنِ إسْتَعْمَلَكَ وَأَبُوهُ ـ وهو يزيد ـ ، يا عَبْدَ بَني عِلاج ، يا عَدُوَّ اللهِ ، أَتَقْتُلُونَ أَبْناءَ النَّبِيِّينَ وَتَتَكَلَّمُونَ بِهٰذَا الْكَلَامِ وَتَصْعَدُونَ عَلىٰ مَنابِرِ الْمُسْلِمينَ . . .

واغَوْثاهُ ، أَيْنَ أَبْناءُ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ لِيَنْتَقِمُوا مِنْكَ وَمِنْ طاغِيتِكَ اللَّعِينِ ابْنِ اللَّعِينِ ـ مشيراً إلى يزيد وأبيه معاوية ـ عَلىٰ لِسانِ النَّبي الْأَمِين ؟ » .

وهذه عقيلة بن هاشم حفيدة الرسول ﷺ قد خاطبت الإرهابي الرجس الأثيم ابن مرجانة حين أظهر شماتته بقتل الإمام الحسين عليه‌السلام فقالت له :

« **هٰؤُلَاءَ قَوْمٌ** ـ وأشارت إلى الإمام الحسين عليه السلام والكواكب من أهل بيته وأصحابه ـ **قَدْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ ، فَبَرَزُوا إِلىٰ مَضاجِعِهِمْ ، وَسَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتُحاجُّ وَتُخاصَمُ ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلَجُ يَوْمَئِذٍ ، ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَابْنَ مَرْجانَةَ** » .

فكانت هذه الكلمات كالصاعقة على رأس هذا المجرم الحقير ، وحينما وقفت في قصر الطاغية وهو يعلن زهوه وشماتته لإبادته عترة رسول الله صلى الله عليه وآله انبرت وهي أسيرة بكلّ شجاعة قائلة في خطابها التأريخي الخالد :

« **إِنّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ ، وَأَسْتَعْظِمُ تَوْبِيخَكَ ، وَأَسْتَكْثِرُ تَقْرِيعَكَ** » .

وأضافت قائلةً :

« **فَكِدْ كَيْدَكَ ، وَاسْعَ سَعْيَكَ ، وَناصِبْ جَهْدَكَ ، فَوَاللهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنا ، وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنا ، وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنا ، وَلَا تَرْحَضُ عَنْكَ عارَها .**

وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَد ، وَأَيّامُكَ إِلَّا عَدَد ، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَد ، يَوْمَ يُنادِي الْمُنادِي : أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمِينَ » .

وقد أنزلت حفيدة الرسول وبطلة الجهاد الطاغية من عرشه إلى قبره ، ولم يطق أن يتكلّم بحرف واحد .. وقد ورثت هذه الشجاعة من جدّها وأبيها الذين هم من معدن البطولات في الأرض .

وظهر على مسرح البطولات الكميت الشاعر الملهم العظيم ، فقد قابل الأمويّين بالهجاء المقذع ، وأشاد بفضل السادة العلويّين ، فقال :

سـاسَةٌ لا كَـمَنْ يَـرىٰ رَعِـيَّةَ ... النّاسِ سَواءً ورَعيّةَ الأغـنامِ
لا كَـعَبدِ المَـليكِ أو كَـوَليدٍ ... أَوْ سُـلَيمانَ بَـعدُ أَوْ كَـهُشامِ

وهجا الطاغية هشام بقوله :

مُصيبٌ عَلَى الأَعْوادِ يـومَ رُكـوبِها ... بِما قـالَ فـيها مُـخْطِئٌ حـينَ يَـنْزِلُ

كــلامُ النَّــبِيّينَ الهُـداةِ كَـلامُنا   وَأَفْــعالُ أَهْـلِ الجـاهِلِيَّةِ نَـفْعَلُ

وخاطب الأمويّين بهذا الشعر الجريء :

فَقُل لبَـني أُمَـيَّةَ حيثُ كـانوا   وَإنْ خِفْتَ المُـهَنَّدَ وَالقَـطيعا

أَجــاعَ اللهُ مَــنْ أَشْـبَعتُموهُ   وَأشْبَعَ مَنْ بِـجَورِكُمُ أُجيعا

وبالغ الأمويّين في اضطهاده وإرهاقه ، ولكنّه ازداد تصلّباً لعقيدته وإيماناً بمبادئه .

وظهر على مسرح البطولات شاعر آخر ، وهو الفرزدق ، فانتقد الأمويّين ، وجاهر في ذمّهم ، وانتصر للسادة من أهل البيت دعاة الحقّ والعدل في دنيا الإسلام ، وكان من أهمّ مواقفه المشرّفة مدحه للإمام زين العابدين عليه السلام ، وانتقاصه لهشام بن عبدالملك الذي أنكر معرفة الإمام أمام أهل الشام ، فقال يخاطبه :

هذا الَّذي تَعْرِفُ الْبَطْحاءُ وَطْأَتَهُ   وَالبَيتُ يَعرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ

هـذا ابـنُ خَيرِ عِبادِ اللهِ كُـلِّهِمُ   هذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطاهِرُ العَلَمُ

ولَـيسَ قَـولُكَ مَنْ هـذا بِضائِرِهِ   العُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ والعَجَمُ

وتعرّض لسخط الأمويّين ونقمتهم إلّا أنّه لم يحفل بذلك ، فانطلق يهجو هشام بجرأة بقوله :

يُقلِّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رأسَ سَيِّدٍ   وَعَـيْناً لهُ حَـولاءَ بادٍ عُـيوبُها

وهذا دعبل الخزاعي شاعر المظلومين والمضطهدين قد جهر بالحقّ ، ونقم على ملوك العبّاسيّين الذين جهدوا على ظلم الرعية وإرهاقها ، فقد هجا الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم ، وإبراهيم بن المهدي ، وكان من أروع هجائه ، وأكثره صلابة في الحقّ ما قاله في المعتصم :

وقـامَ إمـامٌ لمْ يَكُـن ذا هـدايَـةٍ   فَــلَيسَ لهُ ديـنٌ ولَـيسَ لَـهُ لُبُّ

مُلوكُ بَني العبّاسِ في الكُتْبِ سَبْعَةٌ   ولمْ يَـأتِنا عَـنْ ثـامِنٍ لَهُمُ كُـتْبُ

كَذلِكَ أهلُ الْكَهْفِ في الكَهْفِ سَبْعةٌ خِيارٌ إذا عُدّوا وَثامِنُهُم كَلْبُ
وإنّي لأُعْلي كَلبَهُم عَنْكَ رِفْعَةً لِأنّكَ ذو ذَنْبٍ ولَيسَ لَهُ ذَنْبُ

لقد اندفع هذا العملاق العظيم بوحي من دينه وعقيدته إلى مناصرة الحقّ ومناهضة الجور، فهجا الظالمين من حكّام بني العبّاس الذين ابتزّوا أمر هذه الأُمّة، وأمعنوا في إذلالها وقهرها، ولم يستطع أحد أن يجهر بكلمة الحقّ ويدافع عن مصالح البؤساء والمحرومين سوى أعلام شيعة أهل البيت عليهم السلام.

الحلم

من الصفات الرفيعة التي أكّد على ضرورتها الإسلام الحلم وكظم الغيظ، وقد عنى القرآن الكريم والسُّنّة الشريفة بهذه الظاهرة الفذّة.

في رحاب القرآن

أثنى القرآن الكريم على الحلم في كوكبة من الآيات، وهذه طائفة منها:

١ ـ قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾[١].

إنّ الذي يدفع بالتي هي أحسن هو الحليم، وهذه الظاهرة من أبرز صفاته، وعاقبة هذا الخلق الرفيع أنّ العدوّ اللدود المتمادي في عدائه يصبح صديقاً حميماً، وكانت سيرة أئمّة الهدى عليهم السلام على هذه الخطّة، فقد قابلوا من أساء إليهم بالعفو والصفح، وأغدقوا عليهم الإحسان والمعروف حتّى أصبح العدوّ لهم صديقاً مخلصاً.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً** ﴾[٢].

---

(١) سورة فصّلت: الآيتان ٣٤ و ٣٥.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

من أبرز صفات الحليم أنّه إذا التقى بجاهل لا وعي له قابله بالتحيّة والسلام ليتّقي شرّه.

٣ ـ قال تعالى: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (١).

إنّ من صفات الحليم المحسن الذي يحبّه الله تعالى كظم الغيظ والعفو عن المسيئ إليه.

٤ ـ قال الله تعالى في صفة شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ** ﴾ (٢).

٥ ـ قال الله تعالى لرسوله محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ (٣).

إنّ الحلم من أبرز الصفات النفسيّة، وأكثرها دلالة على سعة الصدر وعلوّ الهمّة.

في ظلال السُّنّة

وتظافرت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وعن أئمّة الهدى: في تعظيم الحلم، وإكبار المتّصفين به، وهذه بعضها:

١ ـ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: « **اللّهُمَّ أغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزَيِّنّي بِالْحِلْم** » (٤).

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **ما أعزَّ اللهُ بِجَهْلٍ قَطُّ، وَلا أذَلَّ اللهُ بِحِلْمٍ قَطُّ** » (٥).

٣ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: « **لَيْسَ الْخَيْرُ أنْ يَكْثُرَ مالُكَ وَوُلْدُكَ، وَلكِنَّ الْخَيْرَ**

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

(٢) سورة هود: الآية ٧٥.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٤) بحار الأنوار: ٣٦٨/٩٧.

(٥) أصول الكافي: ١٢٠/٢.

أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ ، وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ »[١].

٤ ـ سمع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قنبراً ، ورام قنبر أن يردّ عليه ، فناداه ، وقال له :

« يا قَنْبَر ، دَعْ شاتِمَكَ مُهاناً ، تُرْضي الرَّحمـٰنَ ، وَتُسْخِطُ الشَّيْطانَ ، وَتُعاقِبُ عَدُوَّكَ ، فَوالَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ ، ما أَرْضى الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ بِمِثْلِ الْحِلْمِ ، وَلا أَسْخَطَ الشَّيْطانَ بِمِثْلِ الصَّمْتِ ، وَلا عوقِبَ الْأَحْمَقُ بِمِثْلِ السُّكوتِ »[٢].

٥ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **أَوَّلُ عِوَضُ الْحَليمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النّاسَ أَنْصارُهُ عَلَى الْجاهِلِ** »[٣].

٦ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : « **كَفىٰ بِالْحِلْمِ ناصِراً** »[٤].

٧ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام : « **إِنَّهُ لَيُعْجِبُني الرَّجُلُ أَنْ يُدْرِكَهُ حِلْمُهُ عِنْدَ غَضَبِهِ** »[٥].

وكانت هذه الظاهرة الكريمة من صفات أئمّة أهل البيت : ، فكان الإمام الحسن عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته وسيّد شباب أهل الجنّة مضرب المثل في سعة حلمه ، وقد شهد له بذلك مروان بن الحكم حينما بادر إلى حمل جنازته فبهر الإمام الحسين عليه السلام ، وقال له :

« أَتَحْمِلُ الْيَوْمَ جنازَتَهُ ، وَقَدْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ تُجَرِّعُهُ الْغَيْظَ » .

فقال مروان :

---

(١) النظامر التربوي في الإسلام : ٢٣٨.

(٢) الأمالي / المفيد: ١١٨.

(٣) شرح نهج البلاغة : ٢٦/١٩.

(٤) و (٥) أصول الكافي : ١٢٠/٢.

« إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال »[(١)].

وكان الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام من أكثر النّاس حلماً، وأوسعهم صدراً، حتّى لقّب بالكاظم لكظمه الغيظ، وقد أوصى عليه السلام ولده بهذه الوصيّة القيّمة، قال لهم:

« **يا بَنِيَّ، إنّي موصيكُم بِوَصِيَّةٍ فَمَنْ حَفِظها لَمْ يَضِعْ مَعَها، إنْ أتاكُم آتٍ فَأسْمَعَكُم في الْأُذُنِ الْيُمْنىٰ مَكْرُوهاً، ثُمَّ تَحَوَّلَ إلَى الْأُذُنِ الْيُسْرىٰ فَاعْتَذَرَ وَقالَ: لَمْ أقُلْ شَيْئاً، فَاقْبَلوا عُذْرَهُ** »[(٢)].

وروى المؤرّخون عن حلم الإمام الكاظم عليه السلام أنّ رجلاً من أحفاد عمر بن الخطّاب كان يؤذي الإمام عليه السلام ويشتم آباءه، فقال للإمام بعض حاشيته: دعنا نقتل هذا الفاجر فنهاهم عن ذلك، وسأل عن مكانه، فأخبروه أنّه في مزرعة من نواحي المدينة، فركب عليه السلام بغلته ومضى إليه فوجده في المزرعة، فصاح بالإمام: لا توطئ زرعنا، فلم يجد الإمام بدّاً فسلك في المزرعة وقابله بمنتهى التكريم، وقال له:

« **كَمْ غَرِمْتَ عَلىٰ زَرْعِكَ؟** ».

« مائة دينار ».

« **كَمْ تَرْجو أنْ تُصيبَ مِنْه؟** ».

« لست أعلم الغيب ».

« **إنَّما قُلْتُ لَكَ: كَمْ تَرْجو أنْ يَجيئَكَ مِنْه؟** ».

« أرجو أن يجيئني منه مائتا دينار ».

وأخرج الإمام عليه السلام صرّة فيها ثلاثمائة دينار، وقال له:

« **هٰذا زَرْعُكَ عَلىٰ حالِهِ، وَاللهُ يَرْزُقُكَ فيهِ ما تَرْجُو** »، وقام الرجل فقبّل رأس

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٥/٤.

(٢) كشف الغمّة: ٢١٨/٢.

الإمام عليه السلام وسأله أن يصفح عنه ، فتبسّم الإمام وانصرف ، وقفل الإمام راجعاً إلى المسجد ، فوجد الرجل جالساً ، فقام إليه رافعاً عقيرته قائلاً :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء » .

وقابل الإمام جلساءه وأخبرهم بما صنع معه من المعروف ، الذي غيّر حالته وقال لهم :

« أيُّما كانَ خَيْراً : ما أَرَدْتُم أَمْ ما أَرَدْتُ . إِنِّي أَصْلَحْتُ أَمْرَهُ بِالْمِقْدارِ الَّذي عَرَفْتُمْ ، وَكَفَيْتُ شَرَّهُ »(١) .

إنّ الحلم يقضي على كثير من المشاكل ، ويحسم التنافر ، ويوجب نشر المحبّة والمودّة بين النّاس ، فلذا اهتمّ الإسلام به اهتماماً بالغاً ، ودعا المسلمين إلى التحلّي به .

الإحسان

الإحسان إلى النّاس من المناهج التربويّة التي تبنّاها الإسلام ، فإنّه يشيع المودّة والحبّ بين النّاس ، فقد جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها ، وقد دعا إليه القرآن الكريم في كوكبة من الآيات منها :

١ ـ قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾(٢) .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾(٣) .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ**

---

(١) تاريخ بغداد : ٢٨/١٣ و ٢٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٦٠ .

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[١].

٤ ـ قال تعالى: **﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾**[٢].

٥ ـ قال تعالى: **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُم مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾**[٣].

إنّ الإحسان إلى النّاس في شريعة الإسلام من أفضل الوسائل الهادفة إلى نشر المحبّة والمودّة بين النّاس التي هي من أهمّ الركائز في بناء المجتمع الإسلامي.

العفو

من الصفات الكريمة التي دعا إليها الإسلام العفو عن المعتدي والصفح عن المسيئ، وقد حثّ القرآن الكريم في كثير من الآيات على التحلّي بهذه الصفة الرفيعة. قال تعالى: **﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٤]، وقال الله تعالى: **﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾**[٥].

أمّا كتب الحديث فقد حفلت بالكثير من الأخبار التي أُثرت عن النبيّ ﷺ، وهي تحثّ المسلمين على العفو، فقد جاء عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ خَلائِقِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ؟ الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ،

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٢.

(٣) سورة النمل: الآية ٨٩.

(٤) سورة التغابن: الآية ١٤.

(٥) سورة فصّلت: الآية ٣٤.

وَالْإِحْسانُ إِلىٰ مَنْ أَساءَ إِلَيْكَ ، وَإِعْطاءُ مَنْ حَرَمَكَ »[١] .

وقال ﷺ : « **عَلَيْكُمْ بِالْعَفْوِ ، فَإِنَّ الْعَفْوَ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزّاً ، فَتَعافُوا يُعِزَّكُمُ اللهُ** »[٢] .

وكانت هذه النزعة الشريفة من صفات النبيّ ﷺ ، فقد قابل من أساء إليه بالعفو والإحسان ، فقد عفا عن مشركي قريش الذين آذوه وسخروا منه ، وأخرجوه من دياره ، وقادوا الجيوش لمحاربته ، وعذّبوا أشدّ أنواع العذاب مَن آمن برسالته ، ولم يتركوا لوناً من ألوان الظلم إلّا صبّوه عليه ، ولمّا فتح الله تعالى له الفتح المبين واحتلّ مكّة خاطبهم قائلاً :

« **ما تُرَوْنَ أَنّي فاعِلٌ بِكُمْ ؟** » .

فانبروا جميعاً قائلين :

« أخ كريم ، وابن أخ كريم » .

فأصدر عفواً عامّاً لهم قائلاً :

« **اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ . . .** » .

ومن معالي إحسانه ما رواه أنس بن مالك ، قال : كنت مع النبيّ ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية ، فجذبه أعرابي من ردائه جذبة شديدة حتّى أثّرت حاشية البرد في عنقه ، وقال له بنبرات غيظ وغضب :

« يا محمّد ، احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك ، فإنّك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك » .

فأجابه النبيّ ﷺ :

« **الْمالُ مالُ اللهِ ، وَأَنا عَبْدُهُ . .** » .

---

(١) أُصول الكافي : ٢/١٠٧.

(٢) المصدر المتقدّم : ١٠٨.

ثمّ خاطب الأعرابي قائلاً :

« **وَيُقادُ مِنْكَ يا أَعْرابيُّ ما فَعَلْتَ ؟** » ، أشار النبيّ ﷺ إلى اعتدائه عليه .

فقال الأعرابي :

« لا » .

« لِمَ ؟ » .

« لأنّك لا تكافئ بالسيّئة السيّئة » .

فتبسّم النبيّ ﷺ وأمر بأن يحمل له على بعير شعير ، وعلى الآخر تمر[١] .

وهكذا كان أوصياؤه أئمّة أهل البيت : ، فقد روى المؤرّخون أنّ الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام قابله رجل بالسبّ والشتم ، فأراد من كان مع الإمام أن ينتقموا منه ، فنهاهم عن ذلك وقال للرجل :

« **يا هٰذا ، أنا أَكْثَرُ مِمّا تَقُولُ ، وَما لا تَعْرِفُهُ أَكْثَرُ مِمّا عَرِفْتَهُ** » .

فخجل الرجل واستحيى من الإمام عليه السلام ، فقام الإمام وخلع عليه قميصه ، وأمر له بألف درهم ، وطفق الرجل قائلاً :

« أشهد أنّ هذا الشاب من نسل رسول الله ﷺ »[٢] .

ومن أمثلة ذلك أنّ شخصاً من أهل الشام اجتاز على الإمام الزكيّ الحسن عليه السلام ، فأخذ يشتمه ، وبعد انتهائه قابله الإمام ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً له :

« **أَيُّها الشَّيْخُ ، أَظُنُّكَ غَرِيباً ، لَوْ سَأَلْتَنا أَعْطَيْناكَ ، وَلَوِ اسْتَرْشَدْتَنا أَرْشَدْناكَ ، وَلَوِ اسْتَحْمَلْتَنا حَمَلْناكَ ، وَإِنْ كُنْتَ جائِعاً أَطْعَمْناكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مُحْتاجاً أَغْنَيْناكَ ، وَإِنْ كُنْتَ طَرِيداً آوَيْناكَ** » .

---

(١) النظام التربوي في الإسلام : ٢٤٣ .

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ٧٦/١ .

وما زال الإمام عليه‌السلام يلاطفه بهذه الكلمات الناعمة حتّى قلع روح الشرّ من نفسه ، فلم يطق أن يتكلّم بكلمة إلّا بطلب العفو عنه قائلاً :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء »[١].

وهكذا إذا استعرضنا سيرة أئمّة الهدى ومصابيح الإسلام لوجدناها طافحة بهذه الأخلاق الرفيعة ، فقد تجرّدوا من جميع نزعات الانتقام ممّن اعتدى عليهم ، وقد وضعوا أمامهم قوله تعالى : ﴿ **وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ** ﴾[٢].

السخاء

وما من صفة يسمو بها الإنسان ، ويسعد بها المجتمع إلّا وهي من عناصر التربية الإسلاميّة ، ومن بين تلك الصفات الرفيعة السخاء ، فإنّه ينمّ عن شرف النفس وسلامتها من الاصابة بداء الشحّ والبخل ، وقد دعا النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله اُمّته إلى التحلّي به ، وهذه لقطات من أحاديثه وأحاديث أهل بيته :

١ ـ قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : « **السَّخِيُّ إِنَّما يَجُودُ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ** »[٣].

٢ ـ قال الصادق عليه‌السلام : « **إِصْنَعِ المَعْرُوفَ إِلى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلَىٰ مَنْ لَيْسَ أَهْلِهِ ، فَإِن لَمْ يَكُنْ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ فَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ** »[٤].

٣ ـ قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : « **السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ بعيدٌ مِنَ النّارِ ، وَالبخيلُ بَعيدٌ مِنَ اللهِ بَعيدٌ مِنَ النَّاسِ بَعيدٌ مِنَ الجَنَّةِ قَريبٌ مِنَ النّارِ ، وَالجاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ الْعابِدِ الْبَخيلِ** »[٥].

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه‌السلام : ١/٢٩٣.

(٢) سورة الرعد : الآية ٢٢.

(٣) كنز العمّال : ٦/٣٩٢.

(٤) فروع الكافي : ٤/٢٧.

(٥) إرشاد القلوب : ١/١٣٦.

٤ ـ قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : « **السَّخيُ الْحَسَنُ الْخُلُقِ في كَنَفِ اللهِ تَـعالىٰ لا يَسْتَخْلي اللهُ تَعالىٰ مِنْهُ حَتّىٰ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَما بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً وَلا وَصِيّاً إلّا سَخِيّاً ، وَما زالَ أبي يوصيني بِالسَّخاءِ حَتّىٰ مَضىٰ** »(١) .

إنّ السخاء إنّما يكون ظاهرة كريمة إذا كان لمساعدة البؤساء والفقراء ورفع شبح الفقر عنهم ، فإنّه يكون في سبيل الله تعالى ، وابتغاء رضوانه ، وهذا من أرقى أنواعه .

وكانت هذه النزعة الشريفة من الصفات البارزة في أئمّة الهدى سلام الله عليهم ، فقد كان الإمام الحسن عليه السلام لا يردّ سائلاً ، وقيل له في ذلك فقال :

« **إنّي للهِ سائِلٌ ، وَفِيهِ راغِبٌ ، وَأنا أسْتَحي أنْ أكُونَ سائِلاً وَأرُدَّ سائِلاً ، وَإنَّ اللهَ عَـوَّدَني عادَةً أنْ يُفِيضَ نِعَمَهُ عَلَيَّ ، وَعَوَّدْتُهُ أنْ اُفِيضَ نِعَمَهُ عَلَى النّاسِ ، فَأَخْشىٰ إنْ قَطَعْتُ الْعَادَةَ أنْ يَمْنَعَني الْعادَةَ** » ، وأنشأ يقول :

« إذا ما أتاني سائِلٌ قُـلتُ مَـرْحَباً ... بِـمَنْ فَـضْلُهُ فَـرْضٌ عَـلَيَّ مُـعَجَّلُ

وَمَنْ فَضْلُهُ فَضْلٌ عَلىٰ كُـلِّ فـاضِلٍ ... وَأفْضَلُ أيّامِ الْفَتىٰ حِينَ يُسْأَلُ »(٢)

ويقول الكميت في سخائهم :

والغُيوثُ اللُّيوثُ إنْ أمْـحَلَ النّـا ... سُ فَـمأوىٰ حَـواضِـنِ الأَيْـتامِ

وقد حفلت سيرتهم بالكثير من بوادر الكرم والسخاء على الفقراء ممّا يدرّ من ذاتياتهم وعناصرهم .

الإيثار

من الصفات الشريفة التي تبنّاها الإسلام لتكون من مـناهج التـربية الإسـلاميّة ، وتكون من معالم الحياة الاجتماعيّة للمسلمين ، وقد أثنى القرآن الكريم على كوكبة

---

(١) فروع الكافي : ٣٩/٤.

(٢) حياة الإمام الحسن عليه السلام : ٢٩٥/١.

من نبلاء المسلمين وأفذاذهم ؛ لأنّهم آثروا إخوانهم على أنفسهم. قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

وسبب نزول هذه الآية الكريمة أنّ سبعة أشخاص سقطوا جرحى في واقعة اُحد ، فقد فتك بهم العطش وأضرّ بهم ، فبادر شخص من المسلمين فجاءهم بماء ، ولكنّه لا يكفي إلّا واحداً منهم ، فناوله لشخص منهم ، فأبى أن يشرب ، وقال له : ناوله للآخر لعلّه أكثر ظمأً منّي ، فانبرى إليه وناوله له ، فلمّا أراد أن يشرب سمع أنين جريح يشكو الظمأ ، فامتنع من الشرب وآثره على نفسه ، وهكذا كلّ واحد من هؤلاء السبعة يؤثر صاحبه على نفسه ، فقد سارع إلى السابع منهم فوجده ميّتاً ، فأقبل يسقي الآخر فوجده ميّتاً ، وهكذا قد ماتوا جميعاً (٢).

لقد صهرهم الإسلام بهذه الروح العظيمة وغذّاهم بهذه المُثل النبيلة ، فكانوا أمثلة للإنسانيّة بجميع ما تحمل من السموّ.

ومن أروع صور الإيثار في الإسلام وأعطره ذكراً ، وأبقاه أثراً إيثار أهل البيت : عدلاء الذكر الحكيم ، وسفن نجاة هذه الاُمّة ، وقد نزلت فيهم سورة مباركة وهي سورة « هل أتى » ، وكان سبب نزولها فيما أجمع عليها المفسّرون أنّ السبطين : الحسن والحسين عليهما‌السلام مرضا ، فعادهما جدّهما مع بعض الصحابة ، فقالوا للإمام عليه‌السلام : « لو نذرت إن عافى الله تعالى ولديك » ، فنذر صوم ثلاثة أيّام إن عافاهما الله تعالى ، وتابعت في النذر سيّدة نساء العالمين وجاريتها فضّة ، ولمّا أبل الحسنان من المرض صاموا جميعاً ، ولم يكن عند الإمام شيء من الطعام ، فاستقرض ثلاثة أصواع من الشعير ، فعمدت في اليوم الأوّل إلى طحن صاع وخبزته ، فلمّا آن وقت

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩.

(٢) مجمع البيان : ٥ / ٩٦٠.

الإفطار طرق الباب مسكين يستميحهم شيء من القوت ، فتبرّعوا جميعاً بقوتهم ، وطووا ليلتهم لم يتناولوا من الطعام شيئاً ، وفي اليوم الثاني عمدت سيّدة النساء سلام الله عليها إلى الصاع الثاني فطحنته وخبزته ، وفي وقت الإفطار طرق الباب يتيم يشكو الجوع فتبرّعوا جميعاً بقوتهم وطووا ليلتهم لم يتناولوا شيئاً من الطعام ، وفي اليوم الثالث قامت سيّدة نساء العالمين فطحنت ما فضل من الشعير وصنعته خبزاً ، وفي وقت الإفطار طرق الباب أسير يشكو الجوع ، فقدّموا إليه قوتهم ، وهم يرتعشون من الضعف ، وزارهم رسول الله ﷺ ، فرأى الصفرة بادية على وجوههم وهم يرتعشون من الجوع ، فتألّم وقال :

« **وَاغَوْثاهُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ يَمُوْتُونَ جِياعاً** » .

وهبط جبرئيل على النبيّ ﷺ وهو يحمل سورة هل أتى[1] تكريماً لأهل بيت النبوّة على هذا الإيثار الذي عزّ نظيره في عالم المبرّات والإحسان ، وقد عوّضهم تعالى في الفردوس الأعلى جنّة وحريراً ، كما جعل ذكرهم في الدنيا خالداً ، وجعلهم قادة للأمّة حتّى يرث الله الأرض ومن عليها .

العفّة

من الفضائل التي دعا إليها الإسلام : العفّة ، وهي من أنبل الصفات النفسيّة ، ومن صورها صيانة البطن والفرج من التلوّث بالحرام ، فإنّ الإفراط في المطعم والجنس له مضاعفاته السيّئة التي منها إخراج الإنسان من اطار الفضيلة إلى الاندراج بالحيوان السائم الذي لا يعرف إلّا شبع بطنه وفرجه .

وقد حذّر النبيّ ﷺ من إشباع البطن والرغبات الجنسيّة ، قال :

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ٣٩٢/٨ . روح البيان : ٥٤٦/٦ . أسباب النزول : ٣٣ . ينابيع المودّة : ٩٣/١ . الرياض النضرة : ٢٢٧/٢ .

«أَكْثَرُ ما تَلِجُ بِهِ اُمَّتي النّارَ الأَجْوَفانِ: الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ»[١].

وقال الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «**ما مِنْ عِبادَةٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ**»[٢].

وقال رجل للإمام الباقر عليه السلام: «إنّي ضعيف العمل، قليل الصلاة، قليل الصيام، ولكنّي أرجو أن لا آكل إلّا حلالاً، ولا أنكح إلّا حلالاً»، فأكبره الإمام وقال له:

«أيُّ جِهادٍ أَفْضَلُ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ»[٣].

إنّ العفّة من أفضل الصفات النفسيّة، فإنّها تنمّ عن شرف النفس وسموّ الذات، والسلامة من مرديات الجشع والشره التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق من الرذائل.

القناعة

القناعة من أبرز الصفات الرفيعة التي يتحلّى بها الإنسان، فهي تريحه وتسعده، وتنفي عنه الهمّ، وتنجيه من شره الطمع، وقد قيل في سموّ مكانتها أنّها كنز لا يفنى، فإذا اتّصف بها الشخص فهو من أغنى النّاس، قد اكتفى بما رزقه الله تعالى، وقد أوصى الإمام محمّد الباقر عليه السلام بعض خواصّه بها.

قال عليه السلام: «**إيّاكَ أَنْ يَطْمَحَ بَصَرُكَ إِلىٰ مَنْ هُوَ هُوَ فَوْقَكَ، فَكَفىٰ بِما قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ** صلى الله عليه وآله: ﴿ **وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ** ﴾[٤].

وقال: ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ**

---

(١) اُصول الكافي: ٧٩/٢.

(٢) اُصول الكافي: ٨٠/٢.

(٣) المحاسن: ٢٩٢/١.

(٤) سورة التوبة: الآية ٨٥.

الدُّنْيَا ﴾[١] ، **فَإِنْ دَخَلَكَ مِنْ ذلِكَ شَيْءٌ فَاذْكُرْ عَيْشَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِنَّما كـانَ قُـوتُهُ الشَّعيرَ ، وَحَلْواهُ التَّمْرَ ، وَوَقُودُه السَّعَفَ إذا وَجَدَهُ »**[٢] .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « **مَنْ قَنَعَ بِما رَزَقَهُ اللهُ فَهُوَ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ** »[٣] .

وكان العالم الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي يقاسي الضيق في حياته الاقتصاديّة ، فوجّه إليه سليمان بن عليّ العبّاسي رسولاً لتعليم ولده ، وينال بذلك الثراء العريض ، فأخرج الخليل قطعاً من الخبز اليابس ، وقال له : « ليس عندي غيره ، وما دمت أجده فلا حاجة لي إلى سليمان وغيره » ، فقال له الرسول : « فماذا أقول له ؟ » ، فقال له هذه الأبيات :

« أَبْلِغ سُلَيمانَ أَنّي عَنْهُ في سَعَةٍ	وفي غِنىً غَيْرَ أَنّي لَسْتُ ذا مالِ
والفَقْرُ في النَّفسِ لا في المالِ فاعرفه	ومِثْلُ ذاكَ الغِنىٰ في النَّفْس لا المالِ
فالرِّزقُ عَن قَدرٍ لا العَجْزُ يُنْقِصُهُ	ولا يَزيدُكَ فيهِ حَولُ مُحْتالِ[٤]

ووجّه الطاغية اللئيم الدوانيقي رسالة إلى الإمام الصادق عملاق هذه الأُمّة ورائد نهضتها الحضاريّة رسالة يريد أن يستدرجه ويجعله من حاشيته ، وجاء في رسالته :

« لِمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر النّاس ؟ » .

فأجابه سليل النبوّة :

« **لَيْسَ لَنا مِنَ الدُّنْيا ما نَخافُكَ عَلَيْهِ ، وَلا عِنْدَكَ مِنَ الآخِرَةِ ما نَرْجوكَ لَهُ ، وَلا أَنْتَ في نِعْمَةٍ فَنُهَنّيكَ بِها ، ولا في نِقْمَةٍ فَنُعَزّيكَ بِها** »[٥] .

---

(١) سورة طه : الآية ١٣١ .

(٢) الكافي : ١٣٧/٢ .

(٣) الوافي: ٧٨/٣. الكافي: ١٣٩/٢ .

(٤) سفينة البحار: ٤٢٦/١ .

(٥) مستدرك الوسائل : ٣٠٧/١٢ .

إنّه ليس عند الإمام عليه‌السلام من متع الدنيا ما يخاف على مصادرته من المنصور، كما أنّه ليس عنده من المُثل العليا التي تقرّب الإنسان إلى الله، فقد كان خالياً من كلّ عمل صالح، وكان قاموس حياته مليئاً بالظلم والجور، فكيف يأتيه الإمام.

وأراد المنصور خديعة الإمام فكتب له:

«إنّك تصحبنا لتنصحنا».

انظروا إلى جواب الإمام عليه‌السلام وما فيه من روعة الحكم:

«مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيا لا يَنْصَحُكَ، وَمَنْ يَطْلُبُ الْآخِرَةَ لا يَصْحَبُكَ»(١).

حقّاً إنّ من يطلب الدنيا من منصب أو مال فإنّه لا ينصح المنصور، وإنّما يحبّب له كلّ ما يقترفه من ظلم وإثم، كما أنّ من يطلب مرضاة الله تعالى فإنّه لا يصحب هذا الطاغية الجلف.

وقد أرسل عثمان بن عفّان عميد الأمويّين وشيخهم كيساً فيه دراهم إلى الصحابي الجليل أبي ذرّ الغفاري الذي وعى الإسلام وآمن بقيمه وأهدافه، وقد ظنّ عثمان أنّه يقبلها، فيكفّ عن معارضته، وحمل غلامه الكيس إلى أبي ذرّ فرفضها وعلم أنّها خديعة منه، فألحّ عليه الغلام في قبوله فامتنع فقال له الغلام بخضوع:

«اقبلها، فإنّ فيه عتقي».

انظروا إلى جواب أبي ذرّ، قال:

«نعم، ولكنّ فيه رقّي».

نعم إنّ فيه عبوديّته ورقّه وتخلّيه عن معارضة عثمان الذي وهب أموال المسلمين لبني أُميّة وآل أبي معيط وحملهم على رقاب المسلمين.

---

(١) حياة الإمام الصادق عليه‌السلام: ٧/١٤٤.

صفات ممقوتة

تحدّثنا في البحوث السابقة عن الصفات الحسنة الكريمة التي ينعم بها الإنسان وتشرق بها حياته ، وذكرنا في أثنائها بعض الصفات السيّئة التي يبغضها الله تعالى ، والتي تهوي بالإنسان إلى مستوى سحيق .

إنّ الإسلام أشاد بالقيم الكريمة ، وحرّم نقائضها ، وهي تدلّ على مدى اهتمامه بقيمة الإنسان ، وأنّه جهد على أن يبلغ أرقى مستويات الكمال ، ونعرض على سبيل الإجمال لبعض الصفات السيّئة ، وهي :

الغضب

الغضب من الرذائل الخُلقيّة ، وهو رأس الإثم ومفتاح الشرّ ، يفقد الإنسان رشده وصوابه ، ويصبح وحشاً مفترساً يقترف الضرب للغير وقتله وشتمه وغير ذلك ، وقد جعل الله تعالى العفو عند الغضب من صفات المؤمنين الأخيار .

قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾[١] ، وقد حذّر منه أئمّة الهدى في كثير من الأخبار ، وهذه أمثلة منها :

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **اِحْذَرِ الْغَضَبَ ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ** »[٢] .

٢ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ** »[٣] .

---

(١) سورة الشورى : الآية ٣٧.

(٢) نهج البلاغة : ٤٥٩.

(٣) شرح نهج البلاغة : ٦٦/١٩.

٣ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام : « **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فَما يَرْضىٰ أَبَداً حَتّىٰ يَدْخُلَ النّارَ** »[١].

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : سَمِعْتُ أَبي عليه السلام يَقُولُ : إِنَّ رَجُلاً بَدَوِيّاً أَتـى رَسُـولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقالَ لَهُ : إِنّي أَسْكُنُ الْبادِيَةَ فَعَلِّمْني جَوامِعَ الْكَلَامِ ، فقالَ لَـهُ : « **آمُـرُكَ أَنْ لَا تَغْضَبَ** » ، فَأَعادَ الْأَعْرابي الْكَلامَ عَلَيْهِ ثَلاثَ مَرّاتٍ وَالنَّبِيُّ يُجيبُهُ : « **لَا تَغْضَبْ** » ، فَقالَ الْأَعرابي : ما أَمَرَني رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلَّا بِالْخَيْرِ.

قالَ : وكانَ أَبي يَقُولُ : « **أيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنَ الْغَضَبِ ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ ، وَيَقْذِفُ الْمُحْصَنَةَ** »[٢].

إنّ الغضب المذموم هو الذي يخرج الإنسان عن موازين الاعتدال ، ويلقيه في شرّ عظيم .

وليس من الغضب المذموم في شيء الغضب على من انتقص شريعة الإسلام ، أو نال من كرامة أحد المؤمنين من الأخيار ، فإنّ الغضب في محلّه ، والردّ عليه من الأعمال الصالحة إذا لم يكن في ذلك ضرر عليه ، فإنّه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد عرضت مصادر الأخلاق إلى بواعث الغضب والطرق في علاجه .

سوء الخُلق

من الصفات الممقوتة : سوء الخُلق ، وهو من رذائل الصفات التي ينفر منها ، ولا تترك للإنسان صديقاً حتّى مع أهله ، وقد خاطب الله تعالى رسوله الكريم بالآية : ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ** ﴾[٣] ، وقد حذّر النبيّ صلى الله عليه وآله منه

---

(١) أُصول الكافي : ٢/٣٠٢.

(٢) المصدر المتقدّم : ٣٠٣.

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٥٩.

قال : « **إيّاكُمْ وَسُوءُ الْخُلُقِ ، فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ في النّارِ لا مَحالَةَ** »(١) .

وقال ﷺ : « **أبىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصاحِبِ الْخُلُقِ السَّيِّئِ بِالتَّوْبَةِ** » ، قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : « **لِأَنَّهُ إذاتابَ مِنْ ذَنْبٍ وَقَعَ في ذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْهُ** »(٢) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **مَنْ ساءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ** »(٣) .

وكثير من أمثال هذه الأحاديث دوّنت في مصادر الأخبار والأخلاق ، وهي تحذّر المسلمين من الاتّصاف بهذه الظاهرة الممقوتة .

الحرص

من النزعات الشريرة التي ندّد بها الإسلام : الحرص ، وهو من الخصال السيّئة التي تصدّ الإنسان عن فعل الخير ، وتمنعه من صلة الأرحام والفقراء ، وقد ندّد بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وهذه طائفة من أخبارهم :

١ ـ قال الإمام محمّد الباقر عليه السلام : « **مَثَلُ الْحَريصِ عَلَى الدُّنْيا مَثْل دودَةِ الْقَزِّ كُلَّما ازْدادَتْ عَلىٰ نَفْسِها لَفّاً كانَ أَبْعَدَ لَها مِنَ الْخُروجِ حَتّىٰ تَموتَ غَمّاً** »(٤) .

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : « **إنَّ فيما نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّماءِ ، لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وادِيَيْنِ يَسيلانِ ذَهَباً وَفِضَّةً لابْتَغىٰ لَهُما ثالِثاً . يابْنَ آدَمَ ، إِنَّما بَطْنُكَ بَحْرٌ مِنَ الْبُحورِ ، وَوادٍ مِنَ الْأَوْدِيَةِ لَا يَمْلَأُهُ شَيْءٌ إِلّا التُّرابُ** »(٥) .

٣ ـ قال الإمام الحسن الزكيّ سلام الله عليه : « **هَلاكُ النّاسِ في ثَلاثٍ : الْكِبْرُ ، وَالْحِرْصُ ، وَالْحَسَدُ . فَالْكِبْرُ هَلاكُ الدِّينِ ، وَبِهِ لُعِنَ إِبْليسُ ، وَالْحِرْصُ عَدُوُّ النَّفْسِ ،**

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٣١/٢ .

(٢) و (٣) اُصول الكافي : ٣٢١/٢ .

(٤) الوافي: ٣١٦/٢ .

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٤١٨/٢ .

وَبِهِ أُخْرِجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ. والحَسَدُ رائِدُ السُّوءِ، وَمِنْهُ قَتَلَ قابيلُ هابيلَ»(١).

إنّ الحرص يدفع الإنسان إلى الجهد الشاقّ والعسير في طلب المال من أي طريق كان، لا يبالي أكان من حلال أم من حرام، كما أنّه يصدّه عن أعمال الخير وإغاثة الفقراء وصلة الأرحام، وغير ذلك ممّا يقرّبه إلى الله تعالى زلفى.

البخل

من الصفات الممقوتة: البخل، وهو من أرذل النزعات، وقد ذمّه القرآن الكريم والسُّنّة، وحذّرا منه؛ لأنّه جامع لجميع المساوئ الذميمة، وهذه طائفة من الآيات والأخبار في ذمّه:

في رحاب القرآن

أمّا الآيات الذامّة للبخل والمحذّرة منه، فهذه بعضها:

١ ـ قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً**﴾(٢).

إنّ الله تعالى أعدّ للذين يبخلون ناراً وقودها النّاس والحجارة لبخلهم وعدم إنفاقهم من المال في سبيل الله تعالى.

٢ ـ قال تعالى: ﴿**هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنكُم مَن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾(٣).

إنّ المصابين بداء البخل لا ينفقون في أي مشروع خير، ولا يفكّرون إلّا في جمع المال وتكديس الثروة، وهم لا يعلمون أنّهم إنّما يبخلون على أنفسهم، فإنّ الأموال

---

(١) بحار الأنوار: ١١١/٧٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٧.

(٣) سورة محمّد ﷺ: الآية ٣٨.

التي حرصوا عليها سوف يغادرونها إلى قبورهم ، فيكون الهناء لغيرهم والوزر عليهم .

٣ ـ قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[(١)] .

حكت الآية مصير الذين يبخلون بما آتاهم الله تعالى من فضله إنّ ذلك هو خير لهم ولكن لا يعلمون ، أنّ تلك الأموال ستكون أطواقاً من النّار في أعناقهم يوم القيامة .

وقد أُثرت طائفة من الأخبار في ذمّ البخلاء كان منها ما يلي :

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **عَجِبْتُ لِلْبَخيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذي مِنْهُ هَرَب ، وَيَفوتُهُ الْغِنَى الَّذي إِيّاهُ طَلَب ، فَيَعيشُ في الدُّنْيا عَيْشَ الفُقَراءِ ، وَيُحاسَبُ في الآخِرَةِ حِسابَ الأَغْنِياء** »[(٢)] .

٢ ـ روى الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « **السَّخِيُّ قَريبٌ مِنَ اللهِ ، قَرِيبٌ مِنَ النّاسِ ، قَريبٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَالْبَخيلُ بَعيدٌ مِنَ اللهِ ، بَعيدٌ مِنَ النّاسِ ، قَريبٌ مِنَ النّارِ** »[(٣)] .

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ** ﴾[(٤)] ، قال : « **هُوَ الرَّجُلُ يَدَعُ مالَهُ لا يُنْفِقُهُ في طاعَةِ اللهِ تَعالىٰ بُخْلاً ، ثُمَّ يَمُوتُ فَيَدَعهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فيهِ بِطاعَةِ اللهِ تَعالىٰ أَوْ في مَعْصيةِ اللهِ تَعالىٰ ، فَإِنْ عَمِلَ فيهِ بِطاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ رَآهُ في ميزانِ غَيْرِهِ حَسْرَةً ، وَقَدْ كانَ الْمالُ لَهُ ، وَإِنْ كانَ عَمِلَ بِهِ في**

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٠ .

(٢) جامع الأخبار : ١٣١ .

(٣) مستدرك الوسائل : ١٣/٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٦٧ .

مَعْصِيَةِ اللهِ تَعالىٰ قَوّاهُ بِذلِكَ الْمالِ حَتّىٰ عَمِلَ بِهِ في مَعْصِيَةِ اللهِ تَعالىٰ »[١] .

هذه أمثلة من الأخبار دلّت على عقاب البخيل ، وأنّـه قـد جـرّ لنـفسه العـقاب الأليم ، خصوصاً إذاكان البخل في عدم دفع الأموال التي فرضها الله تعالى كالخمس والزكاة ، فإنّ حسابه يكون عسيراً وعقابه عظيماً .. وبهذا نطوي الحديث عن المُثل التربويّة في الإسلام .

(١) فروع الكافي : ٤٢/٤.

مع الحياة الاقتصادية

أقام الإسلام للمسلمين نظاماً اقتصاديّاً متطوّراً يشيع الرخاء ، ويحسم الحاجة ، ويقضي على البؤس والحرمان ، وينقذ البلاد من الأزمات الاقتصاديّة التي تعصف بالمجتمع ، وتدمّر أمنه واستقراره ، وتلقي به في ويلات الفوضى والتأخّر والانحطاط ، وكان من بين مناهجه وبنوده ما يلي :

الاهتمام بالعمل

العمل في الإسلام يحتلّ مكانة رفيعة ، فقد أضفى عليه مسحة من التقديس ، وهي :

١ ـ العمل شرف .

٢ ـ العمل شعار الأنبياء .

٣ ـ العمل جهاد .

٤ ـ العمل عبادة .

وإنّما أضفى عليه هذه الألوان من التقديس لأنّه المصدر الوحيد لخلق المنافع الاجتماعيّة ، وأنّ البطالة هي التي تخلق الأزمات وشلّ الحركة الاقتصاديّة في البلاد ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنمو الأُمّة في مجالاتها الحضاريّة ، وهي ترزح في ظلمات البطالة تاركة للعمل . قال تعالى : ﴿ **فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ**

﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[1]، وقد أخذ النبيّ ﷺ بيد عامل فجعل يقلّبها أو يقبّلها ويقول: «هٰذِهِ يَدٌ يُحِبُّها اللهُ وَرَسُولُه».

إنّ اليد العاملة هي التي تبني الحياة، وتحقّق الانتاج بجميع صوره وألوانه الذي هو من شرايين الحياة الاقتصاديّة في العالم، إنّ من المستحيل أن تنهض أيّة اُمّة، وقد سئمت العمل وخلدت إلى الراحة والسكون.

إنّ العمل في الإسلام من أركان النهضة الاقتصاديّة والحضاريّة، وقد أكّد على ضرورته في الانتاج الزراعي الذي هو العمود الفقري للاقتصاد في تلك العصور.

ومن الجدير بالذكر أنّ الماركسيّة اعتبرت العمل أساس القيمة، وبنت على ذلك الكثير من فلسفتها القائمة على مناهضة الملكيّة الفرديّة، وتسليم الملكيّة بجميع صورها للدولة، وتجريد القطاع الخاصّ منها، وقد شنّت حملة شعواء على الرأسماليّة العالميّة واعتبرتها سارقة الشعوب.

وقد ذكرت في كتابنا «العمل وحقوق العامل في الإسلام» زيف الفكرة الشيوعيّة، وأنّها لم تبتن على فكرة سليمة، وقد ذكر كبار الاقتصاديّين في العالم الكثير من المؤاخذات عليها، وأنّها مجافية لميول الإنسان وتطلّعاته للحياة، ومن ثمّ فقد منيت بالفشل الذريع، وانهارت في الاتّحاد السوفياتي الذي هو الوطن لها.

وعلى أيّ حال، فإنّ العمل أهم ركيزة في الاقتصاد الإسلامي، فبه تتطوّر الحياة في ميادين الزراعة والصناعة وسائر الحرف الاُخرى.

المال مال الله

المال في شريعة الإسلام مال الله تعالى، والإنسان مستخلف عليه، وليس له

---

(١) سورة الملك: الآية ١٥.

التلاعب فيه. وأكّد القرآن الكريم أنّ المال لله تعالى، والإنسان مستخلف فيه:

قال تعالى: ﴿ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ قُل لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾(٣).

والمال إمّا أن يكون للقطّاع الخاصّ أو للدولة، وقد نظر الإسلام لهما بعمق وشمول، واحتاط فيهما كأشدّ ما يكون الاحتياط، ولننظر إلى ذلك.

مال القطّاع الخاصّ

أمّا الأموال التي تعود إلى القطّاع الخاصّ، فالبحث فيها من جهات:

تنمية الأموال

للإنسان الحريّة التامّة في تنمية أمواله وزيادتها، ولكن بالطرق المشروعة، وهو المعبّر عنه بالكسب الحلال، وقد منع من تنمية المال بالوسائل التالية:

١ ـ الربا

حرّم الإسلام الاكتساب الربوي؛ لأنّه يؤدّي إلى نشر الفاقة، واضطراب الحياة الاقتصاديّة، وشلّ حركتها، وقطع صلات المودّة والرحمة بين النّاس.

لقد اعتبر الإسلام الربا منكراً عظيم الإثم، فجاء حكمه الصارم بالتحريم. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ *

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٨٤ و ٨٥.

(٣) سورة النُّور: الآية ٣٣.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (٢).

وقد صوّرت هذه الآية الكريمة حال المرابي بالذي فيه مسّ من الجنون يذهب ويجيء، ويأخذ ويعطي لا همّ له إلّا الاستيلاء على أموال النّاس وأخذها بغير حقّ.

وقد نهى النبيّ ﷺ عن الربا واعتبره من الجرائم الكبرى.

قال ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الرِّبا مَلأَ اللهُ بَطْنَهُ مِنْ نارِ جَهَنَّمَ بِقَدَرِ ما أَكَلَ، وَإِنْ اكْتَسَبَ مِنْهُ مالاً لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ، وَلَمْ يَزَلْ في لَعْنَةِ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ ما كانَ عِنْدَهُ قيراطٌ» (٣).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «آكِلُ الرِّبا وَمُوَكِّلُهُ وَكاتِبُهُ وَشاهِدُهُ فيهِ سَواءٌ» (٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «دِرْهَمُ رِبا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ سَبْعينَ زِنْيَة كُلُّها بِذاتِ مَحْرَمٍ في بَيْتِ اللهِ الْحَرامِ» (٥).

أرأيتم هذا التشديد والعقاب الصارم على المرابي؛ لأنّه من مصادر البؤس والفاقة في المجتمع.

إنّ الربا من وسائل الاستعمار، فقد ثبت أنّ الغزو الاقتصادي على المعاملات

---

(١) سورة البقرة: الآيات ٢٧٨ ـ ٢٨٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨/١٢٢.

(٤) فروع الكافي: ٥/١٤٤.

(٥) وسائل الشيعة: ١٨/١٢٣.

الربويّة كان الممهّد للاحتلال العسكري للدول التي اقترضت من الدول الرأسماليّة وعجزت عن تسديده.

٢ ـ الاحتكار

ويمنع تنمية المال وزيادة الثراء عن طريق الاحتكار؛ لأنّه يؤدّي إلى إشاعة الفقر والبؤس بين النّاس.

يقول رسول الله ﷺ: «**لَا يَحْتَكِرُ الطَّعَامَ إِلّا خاطِئٌ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنِ احْتَكَرَ الطَّعامَ أَرْبَعينَ يَوْماً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ وَبَرِئَ مِنْ رَسُولِه**»(٢).

وتحدّث الإمام أمير المؤمنين في عهده الذهبي للزعيم مالك الأشتر عن جريمة الاحتكار بقوله: «**وَاعْلَمْ ـ مَعَ ذٰلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ** ـ مِنَ التُّجّارِ وَذَوي الصِّناعاتِ ـ **ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَىٰ الْوُلَاةِ. فَامْنَعْ مِنَ الْاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّىٰ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ. فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ**»(٣).

إنّ الدولة الإسلاميّة مسؤولة عن حماية المواطنين من الاحتكار وعليها أن تمنع ذلك وتعاقب عليه، وتسعّر السلع حسب المصلحة العامّة من دون إضرار بأربابها.

٣ ـ بيع الخمر والمخدّرات

من الوسائل المحرّمة في الإسلام التعامل بالخمور والمخدرات، بيعاً وشراء؛

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢٦١/٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ٢٧٣/١٣.

(٣) نهج البلاغة: ٤٣٨.

وذلك لما فيهما من الأضرار البالغة على الصحّة وعلى الحياة العامّة، وقد ذكرنا في البحوث السابقة الأضرار الفظيعة في الخمر.

٤ ـ الغبن

حرّم الإسلام الغرر في المعاملة، وهو البيع بدون ثمن المثل أو الشراء بأكثر من قيمته السوقيّة مع الجهل بالقيمة، كأن يبيع ما قيمته خمسون بمائة أو أكثر، وقد جعل الشارع للمغبون خيار الفسخ رفعاً للضرر.

٥ ـ الاستغلال

إنّ المبدأ الاقتصادي في الإسلام يمنع استغلال الإنسان للإنسان، فلا يسوّغ للفرد أو الدولة أن تستغل الإنسان.

٦ ـ التلاعب بالأوزان

حذّر الإسلام من تنمية المال بالتلاعب بالأوزان. قال تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَـٰئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** ﴾ (٢).

إنّ الأموال التي تنشأ من التلاعب بالوزن مغصوبة لا يجوز التصرّف فيها، ويجب إرجاعها لأهلها.. هذه بعض البحوث في المنع من تنمية أموال الفرد:

التحجير عليه

ويحجر على أموال الفرد ويمنع شرعاً من التصرّف فيها وذلك في مورد:

---

(١) سورة المطفّفين: الآيات ١ ـ ٦.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٩.

التبذير

من معالم الاقتصاد الإسلامي النهي عن تبذير الأموال وإنفاقها بغير وجه مشروع. قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾[١].

فالمبذّر المتلاف إذا أساء التصرّف في أمواله وجب التحجير عليه، ولا يؤتى من أمواله إلّا ما يسدّ حاجاته، كما منع الإسلام من إعطاء السفهاء الأموال؛ لأنهم يبذّرون فيها ويتلفونها بغير وجه مشروع. قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[٢].

هذه بعض البحوث التي تتعلّق بأموال الفرد، وهي تعمل على توازن الاقتصاد.

الاعتدال في الصرف

وأرشدنا الإسلام إلى الاعتدال في الصرف والإنفاق بعيداً عن البخل والإسراف. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾[٣]، وحدّدت الآية الإنفاق بالقدر الذي يسدّ حاجة الإنسان.

أموال الدولة

واحتاط الإسلام كأشدّ ما يكون الاحتياط في أموال الدولة فليس لرئيس الدولة ولا لأي عضو في جهاز الحكم أن يتلاعب في الأموال العامّة، وإنّما يجب صرفها بدقّة على الشؤون العامّة للمسلمين، ومن أهمّها الإنفاق على ما يلي:

١ - إشاعة العلم وذلك ببناء المدارس الابتدائيّة والثانوية والمعاهد والجامعات

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان ٢٦ و ٢٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٥.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

الإسلاميّة وغيرها.

٢ ـ القيام بالإنفاق على المعلّمين والأساتذة وكوادر العلماء بما ينعش حياتهم الاقتصاديّة من بناء السكن وغيره ممّا يحتاجون إليه.

٣ ـ إنشاء المستشفيات ودور الصحّة والولادة والتمريض، وغير ذلك ممّا يحتاجه الإنسان، فقد أصبحت هذه الأُمور من الضروريّات التي لا غنى عنها في هذا العصر.

٤ ـ الإنفاق على المشاريع الإصلاحيّة، ومن أهمّها إبراز القيم الأصيلة والمثل العليا في الإسلام، وإشاعتها بين النّاس من طرق التلفزيون والإذاعة والصحف المحلّية وتغذية النشء بها.

٥ ـ القيام بتسديد الأعواز من الذين لا تكفيهم رواتبهم من الموظّفين والعمّال، فعلى الدولة الإنفاق عليهم بما يحتاجون إليه، وهذه من روائع النظام الاقتصادي في الإسلام.

٦ ـ تسديد ديون العاجزين عن وفاءها، كالدين للزواج أو لشراء مسكن أو لبنائه، وغير ذلك من الجهات، فإنّ الدولة مسؤولة عن وفائه، وقد ورد في الحديث: «**مَنْ تُوفِّيَ فَتَرَكَ دَيْناً فَعَلَيَّ قَضاؤُهُ**»(١).

يقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «**مَنْ طَلَبَ هـٰذَا الرِّزْقَ مِنْ حِلِّهِ لِيَعُودَ بِهِ عَلىٰ نَفْسِهِ وَعِيالِهِ كانَ كالْمُجاهِدِ في سَبِيلِ اللهِ تَعالىٰ، فَإِنْ غُلِبَ عَلَيْهِ فَلْيَسْتَدِنْ عَلَى اللهِ وَعَلىٰ رَسُولِهِ ما يُقَوِّتُ بِهِ عِيالَهُ، فَإِنْ ماتَ فَلَمْ يَقْضِهِ كانَ عَلَى الْإِمامِ قَضاؤُهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْضِهِ** ـ أي الإمام ـ **كانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ. إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ﴾**(٢)، **وَهـٰذا**

(١) صحيح البخاري: ٣/٢٢٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ٦٠.

فَقيرٌ مِسْكينٌ مُغْرَم»[١].

٧ ـ الإنفاق على العاجزين عن العمل لمرض أو شيخوخة، ولم يكن لهم مال ولا ولد ولن ينفق عليهم، فإنّ الدولة مسؤولة عن الإنفاق عليهم لئلا يبقى في المجتمع متسوّل.

٨ ـ الإنفاق على الضعفاء، والدولة مسؤولة عن تقديم المبرّات لهم والخدمات. يقول الإمام عليه السلام في عهده لمالك الأشتر:

«**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَىٰ وَالزَّمْنَىٰ**[٢]، **فإِنَّ فِي هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً**[٣] **وَمُعْتَرّاً**[٤]»[٥].

الضرائب الماليّة

من بنود الاقتصاد الإسلامي الضرائب الماليّة لمكافحة الفقر والحاجة، منها.

الزكاة

اهتمّ الإسلام بالزكاة اهتماماً بالغاً، وقرنها القرآن الكريم بالصلاة، فما من آية فيها أمر بالصلاة إلّا مقرونة بالزكاة. قال تعالى: ﴿ **فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ **فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ** ﴾[٧].

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ٢٢٣/١.

(٢) **الزَّمنى**: وهم ذوو العاهات التي تمنعهم من الكسب.

(٣) **القانع**: السائل.

(٤) **المعترّ**: المتعرّض للعطاء بلا سؤال.

(٥) نهج البلاغة: ٤٣٨.

(٦) سورة الحجّ: الآية ٧٨.

(٧) سورة التوبة: الآية ١١.

وهي فريضة إجباريّة تقاتل الدولة على مانعها، وقد رصدها الإسلام لمكافحة الفقر والبؤس، كما تحمي الفرد في حاضره ومستقبله من الحاجة، وتضمن له ولأسرته مستوىً لائقاً من المعيشة.

إنّ الزكاة حقّ للفقير وليس منحة ولا هبة من الدولة ولا لأي فرد. قال تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[1]. إنّ للسائل والمحروم حقّاً في أموال الأغنياء، وليس في استيفائه منّة.

ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى بعض بحوثه.

على مَن تجب الزكاة ؟

تجب الزكاة على البالغ العاقل، فلا تجب على الصبي، ولا على المجنون لحديث الرفع، وكذلك لا تجب على العبد لعدم ملكه.

المواد الخاضعة للزكاة

أمّا المواد التي تجب فيها الزكاة فهي:

١ ـ **الأنعام الثلاث**: الإبل والبقر والغنم.

٢ ـ **الغلات الأربع**: الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب.

٣ ـ **النقدين**: الذهب والفضّة. وما عداها فلا تجب فيها الزكاة.

نعم تستحبّ في بقيّة الحبوب كالأرز والعدس والماش والحمص وغيرها، أمّا المقدار الذي تجب فيه الزكاة من الأمور الثلاثة، فقد عرضت له البحوث الفقهيّة.

مستحقّو الزكاة

عيّن النصّ القرآني مصرف الزكاة. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ

---

(١) سورة الذاريات: الآية ١٩.

وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

قد بيّن القرآن الكريم أصنافهم، وهم:

١ و ٢ ـ **الفقراء** و **المساكين**، وكلاهما لا يملكان مؤونة سنتهما اللائقة بحالهما، لهما ولعيالهما، والثاني أسوء حالاً من الأوّل بحسب حالته الاقتصاديّة.

٣ ـ **العاملون عليها**، وهم الذين يعملون على جمع الزكاة، وأخذها من أربابها، ويعطون على قدر أعمالهم، والأجير يأخذ سواء أكان فقيراً أم غنيّاً لأنّ العمل له أجر.

٤ ـ **المؤلّفة قلوبهم**، وهم المسلمون الذين ليس عندهم رصيد من الإيمان يعطون لتمكين المثل الإسلاميّة في قلوبهم.

٥ ـ **في الرقاب**، وهم العبيد المكاتبون الذين عجزوا عن تسديد ما عليهم من الكتابة مطلقة كانت أو مشروطة.

٦ ـ **الغارمون**، وهم الذين ركبتهم الديون وعجزوا عن أدائها، ولكن بشرط أن لا يكون الدين مصروفاً في المعصية.

٧ ـ **ابن السبيل**، وهو المسافر الذي نفذت نفقته وعجز عن الوصول إلى بلده فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى وطنه.

٨ ـ **سبيل الله تعالى**، ويشمل جميع سبيل الخير من بناء القناطر والمساجد والمدارس وإصلاح ذات البين وغيرها من الجهات العامّة.

ولا يلزم استيعاب هذه الجهات الثمانية ويجوز صرفها في جهة واحدة منها.

إنّ الزكاة نظام اجتماعي يحفظ التوازن بين طبقات الأُمّة، ولا يدع ظلّاً للفقر

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٠.

والحاجة ، وهو ضمان اجتماعي شامل لكلّ محتاج وكافل لجميع حاجاته هو وأُسرته التي يعول بها .

زكاة الفطرة

وهي التي تجب في ليلة عيد شهررمضان المبارك ، ووقت إخراجها طلوع الفجر من يوم العيد ويمتدّ وقتها إلى الزوال ، والمقدار الواجب إعطاؤه صاعاً ممّا يسمّى قوتاً ، كالحنطة والشعير والأرز والتمر والزبيب وغيرها .

أمّا مستحقّ هذه الزكاة فهم الأصناف الثمانية من المستحقّين للزكاة ، وتحرم مطلق الزكاة على الهاشمي ، وتحلّ زكاة الهاشمي على الهاشمي ، أمّا الصاع فهو يساوي ثلاث كيلوغرامات من الطعام أو ما يساوي ثمنها من النقود ، ومن المؤكّد أنّ هذه الزكاة لو أخرجها المسلمون لوسعت جمهرة كبيرة من الفقراء ونفت عنهم الحاجة .

وعلى أي حال ، فإنّ مشكلة الفقر قد احتلّت الصدارة الأُولى في النظام الاقتصادي الإسلامي ، فرصد لها الكثير من تشريعاته الكفيلة بإقصائه ، فليست الزكاة وحدها في الميدان ، وإنّما هناك نفقات المقتدرين من الأقارب والصدقات المستحبّة ، وعطايا الدولة الإسلاميّة ، كلّ هذه الوسائل تعمل على إذابة الفقر من المجتمع .

الخمس

أمّا الخمس فهو ضريبة ماليّة بالغة الأهمّية ، وذلك لضخامة وارداتها التي تنفق على الحوزات العلميّة الرائدة وغيرها من المشاريع التي تنفع النّاس .

أمّا هذه الضريبة فقد جاء النصّ بها صريحاً في القرآن الكريم . قال تعالى :
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وقد ألغى أبو بكر هذه الضريبة ، وهو من الاجتهاد قبال النصّ ـ حسبما يقول المحقّقون ـ وفيما أحسب أنّ السبب في إلغائه لها كان لدوافع سياسيّة ، لعلّ من أهمّها أن لا تقوى شوكة الإمام أمير المؤمنين على مناهضة أبي بكر ، وهو حرب اقتصاديّة يراد منها إضعاف القوى المناهضة للسياسة القائمة .

وعلى أي حال ، فقد تمسّكت القوى الموالية لأهل البيت عليهم السلام بالآية الكريمة وغيرها من النصوص المتواترة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام بهذه الفريضة الماليّة ، وخضعوا لمقرّراتها .

موارد الخمس

أمّا الموارد التي يجب فيها الخمس فقد حدّدها فقهاء الإماميّة تبعاً للنصوص في الأُمور التالية :

١ ـ **الغنائم** ، وهي التي تكتسب من القوى الكافرة في حال الحرب وغيره ، سواء أكان قتالها بإذن الإمام عليه السلام أم بغيره ، أمّا ما يؤخذ بغير القتال فليس فيه خمس الغنيمة ، بل خمس الفائدة .

٢ ـ **المعدن** ، وهي معادن النفط والذهب والفضّة والكبريت والنحاس وغيرها من المعادن ، ويشترط أن يبلغ المأخوذ منه النصاب ، وهو عشرون ديناراً ذهبيّاً يساوي ثلاثة المثقال الصيرفي من الذهب ، كما أنّ هناك شروطاً أُخرى ذكرها الفقهاء في رسائلهم العمليّة .

٣ ـ **الكنز** ، وهو المال المذخور تحت الأرض أو غيرها ، بشرط أن لا يعلم أنّه

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤١.

لمسلم ، وهنا شروط لذلك ذكرها الفقهاء .

٤ ـ ما يخرج من البحر ، وهو ما يخرجه الغوّاصون من البحر من الجواهر وغيرها ، كالعنبر وغيره ، لا في مثل السمك ونحوه من الحيوانات البحريّة .

٥ ـ الذمّي الذي اشترى أرضاً من المسلم ، ولا فرق في الأرض بين الزراعيّة وغيرها ، فإنّه يجب فيها الخمس .

٦ ـ المال المخلوط بالحرام ، ويشترط فيه أن لا يعرف مقدار المال الحرام ولا صاحبه ولا عينه فإنّه لا يحلّ إلّا بإخراج خمسه .

٧ ـ ما يفضل عن مؤونة السنة ، من فوائد التجارة والصناعة والزراعة وغيرها ، وهو أكثر عوائد الخمس ، ويشمل كلّ فائدة يستفيدها كالهبة والهدية ونماء الوقف بقسميه العامّ والخاصّ ، وهنا فروع كثيره ذكرها الفقهاء لهذه المسألة .

مصرف الخمس

أمّا مصرف الخمس فيقسم الخمس في حال غيبة الإمام أرواحنا له الفداء إلى قسمين : **سهم الإمام** عليه السلام و **سهم بني هاشم** : أيتامهم ، ومساكينهم ، وأبناء سبيلهم ، ويشترط فيهم جميعاً الإيمان كما يعتبر الفقر في الأيتام ، وأمّا سهم الإمام عليه السلام فينفق على ما يوافق رضا الإمام عليه السلام به ، ومن أهمّ مصارفه إقامة دعائم الدين ورفع أعلامه ، ونشر قواعده وأحكامه ، وطبع الكتب التي تتحدّث عن قيم الإسلام ومثله ، وردّ الشبهة الوافدة من القوى المنحرفة عن الإسلام ، فإنّ ذلك ممّا يرضى به الإمام عليه السلام ، كما أنّ هذه التصرّفات تكون تحت نظر المرجع للطائفة وهو الفقيه المأمون العارف بما يرضى الإمام عليه السلام .

وبهذا نطوي الحديث عن الاقتصاد الإسلامي الذي هو من شؤون الحياة الإسلاميّة .

مع النهاية الأخيرة للإنسان

صاحب الإسلام الإنسان في جميع مراحل حياته، فلم يترك فصلاً من فصول حياته إلّا وضع له منهجاً لإصلاحه، وكان مع الجولة الأخيرة من حياته فرصد الإسلام لها أسمى ما قنّن من التشريعات وقبل التحدّث عنها نعرض إلى رأي الإسلام في موت الإنسان.

حتميّة الموت

أمّا الموت فهو من الأُمور الحتميّة على جميع الكائنات الحيّة، ولا بدّ للإنسان أن يتجرّع كأس الحمام. قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾[٢].

إنّ طموحات الإنسان وزهوه وفخره بأمواله وعلمه ومنصبه لا بدّ أن تتلاشى وتنطوي، يقول الشرقي:

فَذو الزَّهوِ خلّ الزَّهو وضَلّتْ عَلَى الغَبراءِ سيادةُ أسيادِ

إنّ جميع متع الحياة الدنيا لا بدّ أن تزول، وتدرج في قائمة العدم، وإنّ صاحب الثراء العريض لا بدّ أن تُرفع عنه يده، ويستلمه غيره، وكذلك كلّ ملك ورئيس

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٨.

جمهوريّة أو وزير لا بدّ أن توارى أجسامهم في التراب ، وما أروع هذه الأبيات التي استشهد بها إمام المتّقين عليّ الهادي عليه السلام أمام الطاغية المتوكّل العبّاسي الذي خلد في جميع أيّام ملكه إلى الفسق والفجور ، فقد طلب من الإمام عليه السلام أن ينشده بعض الأبيات من الشعر ظانّاً أنّها من الغزل أو من الإشادة بملكه ، فأجابه بهذه الأبيات التي طيّرت السكر من رأسه ، وأزالت غروره وطيشه واندفع إلى البكاء على ما فرّط من أمر نفسه أنشد الإمام عليه السلام :

« باتُوا عَلىٰ قُلَلِ الْأَجْبالِ تَحْرُسُهُمْ … غُلْبُ الرِّجالِ فَما أَغْنَتْهُمُ الْقُلَلُ
وَاسْتُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَراتِبِهِمْ … فَأُودِعُوا حُفَراً يا بِئْسَ ما نَزَلُوا
ناداهُمُ صارِخٌ مِنْ بَعْدِ ما قُبِرُوا : … أَيْنَ الْأَسِرَّةُ وَالتِّيجانُ وَالْحِلَلُ ؟
أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كانَتْ مُنَعَّمَةً … مِنْ دُونِها تُضْرَبُ الْأَسْتارُ وَالْكِلَلُ ؟
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ ساءَلَهُمْ : … تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْها الدُّودُ يَقْتَتِلُ
قَد طالَما أَكَلُوا دَهْراً وَما شَرِبُوا … فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أُكِلوا »[١]

وما أروع هذه الأبيات التي وصفت الدنيا بوصف كامل وهي من نظم الشاعر عدي بن زيد :

أيُّها الشامتُ المُعْيّرُ بالدَّهـ … ـرِ أأنتَ المُبَرّأُ المَوفورُ
أَمْ لديكَ العَهدُ الوثيقُ منَ الأيّامِ … بَلْ أنتَ جاهلٌ مَغرورُ
مَنْ رأيتَ المَنُون خلدْنَ أَمْ مَنْ … ذا عَلَيهِ مِنْ أنْ يُضامَ خَفيرُ
أينَ كِسرىٰ كِسرىٰ المُلوكِ أنوشِرْ … وانَ أمْ أَينَ قَبْلَهُ سابورُ[٢]
وَبَنو الأصفَرِ الكِرامُ ملوكُ الرّومِ … لَمْ يَبقَ مِنْهُمُ مَذْكورُ

---

(١) حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام : ٢٦٠.

(٢) سابور : من ملوك العجم .

وأخو الحضْرِ إذْ بناهُ وإذْ دِجلَةُ ... تُجبىٰ إليهِ وَالخابورُ[١]
لَم يَهَبْهُ ريبُ المَنونِ فَبادَ ... المُلكُ عَنهُ فَبابُهُ مَهجورُ
شادَهُ مَرمراً وَجَلَّلهُ كِلْساً ... فَلِلطَّيرِ في ذَراهُ وُكورُ
وتَبيّنْ ربّ الخورنق إذْ ... أشرف يوماً ولِلهُدىٰ تَفكيرُ
سرّهُ حالهُ وكَثرةُ ما يَملِكُ ... وَالبَحرُ معرضاً والسَّديرُ
فَارْعوىٰ قلبُهُ وقالَ: فَما ... غِبْطَةُ حيٍّ إلَى المَماتِ يَصيرُ
ثُمَّ بعدَ الفَلاحِ والمُلكِ ... والأُمَّةِ وارتْهُم هُناكَ القُبورُ[٢]
ثُمَّ أَضْحوا كَأنَّهُم ورَقٌ جَفَّ ... فَألوَتْ بهِ الصَّبا والدَّبورُ[٣]

إنّه وصف دقيق لحالة الدنيا وغرورها، وفناء الملوك عنها.

ومن الجدير بالذكر أنّ الشاعر الكبير مهدي الجواهري اجتاز في سامراء على قصر العاشق، وهو من أضخم القصور وأهمّها للمتوكّل وقد أنفق عليه أموالاً هائلة، وقد حطّمه الزمان، ولم تبق منه إلّا بعض المعالم الخربة، وقد وصفه الجواهري بهذه الأبيات:

العاشِقُ المَهجورُ قوَّضَ رُكنهُ ... كالعاشِقِ الآسي لِفَقدِ خَليلِهِ
إنّي سألتُ الدَّهرَ عَن تَخطيطِهِ ... عَنْ سَطحِهِ عَنْ عرضِهِ عَنْ طولِهِ
فَأَجابَني هذي الخَريبةُ صَدرُهُ ... وَالبَلقَعُ الخالي مَجَرُّ ذُيولِهِ
وتَعلمَنَّ أَنَّ الزَّمانَ إذا انْتَحىٰ ... شُهبُ السما كانَت مداسُ خُيولِهِ[٤]

---

(١) **الخابور**: اسم نهر كبير.

(٢) **الأُمّة**: النعمة.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١١/١٧١ ـ ١٧٢.

(٤) **انتحى**: قصده ومشى إليه. ديوان الجواهري: ٢/٣٨.

هكذا تطوى قصور الظالمين ، ولا يبق لهم أي رصيد في المجتمع ولا يبقى إلّا الحقّ فهو الخالد ، ولذا كتب الخلود والبقاء لأئمّة أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنّهم دعاة الحقّ الاجتماعي في دنيا الإسلام .

بقاء الروح

أمّا الروح فإنّها جوهر لا يطرأ عليها العدم والفناء ، وإنّما الذي يفنى هو هيكل الإنسان وبدنه . يقول حكيم المعرّة :

خُلِقَ النّاسُ لِلبَقاءِ فَضَلَّتْ ... أُمَّةٌ يَحسَبونَها لِلفَناءِ
إنَّما يُنقَلونَ مِنْ دارِ أَعْمالٍ ... إلىٰ دارِ شِقْوَةٍ أَو رَشادِ

وقد وصف ابن سينا هبوط الروح وحلولها في بدن الإنسان ، ومفارقتها له بعد الوفاة ، وأنّها سوف تبصر ما لا تدركه العيون في دار الدنيا . يقول :

هَبَطَتْ إلَيكَ مِنَ المَحلِّ الأَرفَعِ ... وَرقاء ذاتَ تَعزُّزٍ وتَمنُّعِ
مَحجوبَةٌ عن كُلِّ مُقْلَةِ عارِفٍ ... وهِيَ الَّتي سَفَرَتْ وَلَم تَتَبَرقَعِ
وَصَلَت عَلىٰ كُرهٍ إلَيكَ وَربَّما ... كَرِهَت فِراقَكَ وَهيَ ذات تَفَجُّعِ
أَنِفَتْ وَما أَنِسَتْ فَلَمّا واصَلَتْ ... أَلفَتْ مجاوَرَة الخَرابِ البَلْقَعِ
وأظُنُّها نَسِيَتْ عُهوداً بِالحِمىٰ ... وَمنازِلاً بِفِراقِها لَمْ تَقْنَعِ

ومنها :

حَتّىٰ إذا قَرُبَ المَسيرُ إلَى الحِمىٰ ... ودَنا الرَّحيلُ إلَى الفَضاءِ الأَوْسَعِ
سَجَعتْ وقَد كُشِفَ الغِطاءُ فَأَبْصَرَتْ ... ما لَيْسَ يُدْرَكُ بِالعُيونِ الهُجَّعِ
وَغَدَتْ مُفارِقَةً لِكُلِّ مخلّفٍ ... عَنْها حَليف التُّربِ غَير مُشيّعِ

وسينكشف الغطاء للإنسان بعد وفاته فيبصر بعين كالحديد ، كما جاء في القرآن

الكريم : ﴿ **فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾(١) في قوّتها ، ليبصر أعماله التي عملها في دار الدنيا فينال جزاءه العادل .

الوصيّة

وتتأكّد الوصيّة إذا شعر الإنسان بدنوّ الأجل المحتوم منه ، وهي تارة تكون واجبة وأُخرى تكون مستحبّة ، أمّا الواجبة وهي الوصيّة بالدين إذا كان عليه فيجب أن يوصي به ، كذلك تجب إذا كانت عليه حقوق شرعيّة كالخمس والزكاة ولم يؤدّيهما ، وتستحبّ كالبرّ للفقراء من بعده وغيره من ألوان الخير كزيارة الأئمّة الطاهرين عليهم السلام وإهداء ثوابها له .

التوبة

ويستحبّ للإنسان أن يتوب إلى الله تعالى في حال مرضه عمّا اقترفه من الذنوب ، فقد روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : « **مَنْ تابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ تابَ اللهُ عَلَيْهِ** » ، ثمّ قال : « **إنَّ السَّنَةَ لَكَثيرَةٌ ، مَنْ تابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ تابَ اللهُ عَلَيْهِ** » ، ثمّ قال : « **إنَّ الشَّهْرَ لَكَثيرٌ ، مَنْ تابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ تابَ اللهُ عَلَيْهِ** » ، ثمّ قال : « **إنَّ يَوْماً لَكَثيرٌ ، مَنْ تابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِساعَةٍ تابَ اللهُ عَلَيْهِ** » ، ثمّ قال : « **وَإنَّ السّاعَةَ لَكَثيرَةٌ ، مَنْ تابَ وَقَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُ هٰذِهِ** ـ وَأَهْوىٰ بِيَدِهِ إِلىٰ حَلْقِهِ ـ **تابَ اللهُ عَلَيْهِ** »(٢) .

الرضا والطمأنينة

ينبغي للمؤمن أن يستقبل الموت بالرضا والطمأنينة ، ولا يجزع إذا حلّ بناديه ، فإنّه حتم في رقاب العباد لا مفرّ منه .

---

(١) سورة ق : الآية ٢٢ .

(٢) وسائل الشيعة : ٢/٤٦١ .

انظروا إلى سيّد الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام حينما أحسّ بلذع السيف الذي شقّ رأسه من قِبل المجرم عبدالرحمن بن ملجم رفع الإمام صوته مدوّياً في رحاب بيت الله قائلاً :

« **فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَة** » .

لقد فاز برضا الله تعالى ورضوانه ، وفاز بملاقاته لله تعالى ، فقد اعتبر مفارقة الحياة فوزاً كبيراً وذلك لكثرة أعماله الصالحة .

انظروا إلى سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام حينما جثا المجرم شمر بن ذي الجوشن على صدره يحزّ نحره الشريف ، والإمام يبتسم فقال له شمر :

« إنّك تبتسم وأنا أُحزّ نحرك ؟ » .

فأجابه أبو الأحرار :

« **إنّي قادِمٌ عَلىٰ مُلاقاةِ اللهِ وَجَدّي رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَكَيْفَ لَا أَكُونُ مَسْروراً** » .

هكذا النفوس الآمنة المطمئنّة تستقبل الموت بثغر باسم لملاقاتها لله تعالى ، وأمّا النفوس التي شذّت في سلوكها وانحرفت عن الطريق القويم فإنّ الموت يكون عليها كارثة ، وقد أُثر عن بعض الخلفاء أنّه لمّا حلّ به الموت ، أخذ يقول بندم وحسرات :

« ليتني كنت حيضة ، ليتني لم أُخلق » ، لماذا هذا الجزع من الموت والخوف منه ؟ إن كان قد عمل صالحاً واتّقى ربّه .

توجيه المحتضر إلى القبلة

كان من تكريم الإسلام للإنسان المسلم إذا حلّ به الموت أن يجعل وجهه إلى القبلة ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « **إذا ماتَ لِأَحَدِكُم مَيِّتٌ فَسَجّوهُ تِجاهَ الْقِبْلَةِ** »[١] .

---

(١) وسائل الشيعة : ٤٥٢/٢ .

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**دَخَلَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلىٰ رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ وَهُوَ في السّوقِ** -أي النَّزْعِ- **وَقَدْ وُجِّهَ بِغَيْرِ الْقِبْلَةِ، فَقالَ: وَجِّهوهُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَإِنَّكُمْ إِذا فَعَلْتُم ذلِكَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ، وَأَقْبَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِوَجْهِه**»[(١)].

إنّ الإنسان المسلم في حال وفاته على أهله أن يوجّهوا وجهه إلى أقدس بيت إنّه بيت الله الحرام، فأي احتفاء بالإنسان مثل هذا الاحتفاء والتكريم.

تلقينه الشهادتين

ويستحبّ أن يلقّن المحتضر الشهادتين. روى الحلبي عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إذا حَضَرْتَ الْمَيِّتَ قَبْلَ أَنْ يموتَ فَلَقِّنْهُ شَهادَةَ أَنْ لَا إِلـٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَه، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُه**»[(٢)].

إنّ آخر لحظة من حياة الإنسان ينبغي أن تختم بالشهادتين اللتين هما من أجلّ وأسمى ما في هذا الكون، ومن المؤكّد أنّ هذا من الإعزاز والتكريم للمسلم، كما يستحبّ أن نقرأ عند رأسه بعض سور القرآن الكريم، وقد ذكر منها سورة الصافّات وسورة يس[(٣)].

تجهيزه

وإذا توفّي الإنسان المسلم تجري عليه المراسيم التالية:

١ ـ تغسيله:

يغسّل الميّت ثلاثة أغسال: بعد إزالة النجاسة عمّا في بدنه وهي:

---

(١) وسائل الشيعة: ٢/٤٥٣.

(٢) المصدر المتقدّم: ٤٥٤.

(٣) المصدر المتقدّم: ٤٦٥.

١ ـ يغسل بماء السدر.

٢ ـ يغسل بماء الكافور.

٣ ـ يغسل بماء القراح.

وكيفيّة الغسل بهذه المياه الثلاثة ذكرت بالتفصيل بالرسائل العمليّة لمراجع المسلمين.

٢ ـ تكفينه

ويجب تكفينه بثلاثة أثواب، وهي:

١ ـ **المئزر**: ويجب أن يكون ساتراً ما بين السرّة والركبة.

٢ ـ **القميص**: يجب أن يكون ساتراً ما بين المنكبين إلى نصف الساق.

٣ ـ **الإزار**: يجب أن يغطّى ويستر جميع بدنه، وقد ذكر الفقهاء في رسائلهم شروطاً للتكفين وما يعتبر فيه من الطهارة وغيرها.

٣ ـ تشييعه

ندب الإسلام إلى تشييع جنازة المسلم، وحمله على الأكتاف ليوارى في مقرّه الأخير، وقد أُثرت كوكبة من الأخبار في ثواب المشيّعين، فقد روى إسحاق بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**أَوَّلُ ما يُتْحَفُ بِهِ الْمُؤْمِنُ في قَبْرِهِ أَنْ يُغْفَرَ لِمَنْ تَبعَ جَنازَتَه**»[(١)].

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «**مَنْ تَبعَ جَنازَةَ مُسْلِمٍ أُعْطِيَ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَرْبَعَ شَفاعات**»[(٢)].

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤٣/٣.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٤١.

وكثير من أمثال هذه الأحاديث ندبت إلى تشييع جنازة الإنسان المسلم تعظيماً وتكريماً له .

الصلاة على الميّت

وتجب الصلاة على الميّت ، ذكراً أم اُنثى ، عادلاً أم فاسقاً ، مؤمناً أم مخالفاً ، وهذا الوجوب كفائي على جميع المسلمين ، فإن قام به بعض سقط الوجوب عن الآخرين أمّا كيفيّة الصلاة فهي :

١ ـ التكبير وشهادة الشهادتين .

٢ ـ التكبير والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله .

٣ ـ التكبير والدعاء للمؤمنين .

٤ ـ التكبير والدعاء للميّت .

٥ ـ التكبير ثمّ ينصرف المصلّي .

ولا يشترط في هذه الصلاة الوضوء ، ولا طهارة البدن ، ومن ثمّ فقد قيل إنّها دعاء ، ولها أحكام ذكرت في كتب الفقه .

الدفن

ويجب وجوباً كفائيّاً مواراة الإنسان المسلم في الأرض بحيث يؤمن على جسده من الحيوانات المفترسة ، وستراً لرائحته الكريهة ، ويجب أن يوجّه نحو القبلة المقدّسة ، ويدعى له بالمغفرة والرحمة ، وأن يلقّنه وليّه بعد انصراف المشيّعين عنه ، وهذه عقبى الإنسان قميص وحفرة ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ويستحبّ في ليلة الدفن أن يصلّى عليه ، ويقرأ على روحه بعض سور القرآن .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن مسايرة الإسلام للإنسان في جميع مراحل حياته ، ومن المؤكّد أنّه ليس هناك دين من الأديان السماويّة قد عنى بالإنسان كالإسلام .

المحتويات

مع الإنسان في الشؤون الصحّيّة

٥٥ ـ ٧٦

الغذاء والمشروبات

٧٧ ـ ٩٦

الحياة الجنسيّة

الكلام والمشي

١١٥ ـ ١٤٤

الأصدقاء والجيران والأرحام

١٤٥ ـ ١٦٣

بناء الشخصيّة على المُثُل الإسلاميّة

«أضواء على التربية الإسلاميّة»

١٦٥ ـ ٢٠٤

مع الحياة الاقتصاديّة

مع النهاية الأخيرة للإنسان

محتويات الكتاب



الإسلام
منهج مشرق للحياة

هذا الكتاب

نظر الإسلام بعمق وشمول إلى الإنسان فأولاه المزيد من الاحتفاء والتكريم وأضفى عليه أسمى ألوان الأوسمة فقد جعله خليفة اللّه في أرضه وأقامه علماً على مخلوقاته

أما الإسلام فقد أنشأ نظاماً مشرقاً قد توفّرت فيه الأصالة والابداع فقد عالج بصورة موضوعيّة ومتميزة جميع قضايا الإنسان وقد نفذت تعاليمه إلى أعماق النفوس ودخائل القلوب

ولم تقتصر رسالة الإسلام الخالدة في إصلاحها الشامل لحياة الإنسان على منهج خاصّ وإنّما استوعبت بعمق وشمول جميع جزئيّات الحياة وشؤونها فقد وضعت لها البرامج الفذّة التى تؤدي إلى سعادة الإنسان و سلامته من الأزمات

هذه الدراسة تتناول مسيرة الإسلام بقيمه الخالدة مع الإنسان منذ تكوينه ونشأته حتّى النهاية الأخيرة من حياته فلم تترك جانباً من جوانب سلوكه إلا قنّن له منهجاً عالج فيه بدقّة وموضوعية إصلاحه وتهذيبه حتّى يعود الإنسان بمعطيات الإسلام له سعيداً في حياته ومتميزاً في تربيته و سائر شؤونه